달러구트 꿈 백화점

متجر دالوجوت للأحلام

لي مي ييه

ترجمة: سلمى حسنين



عصير الكتب

달러구트 꿈 백화점

متجر دالوجوت للأحلام

لي مي ييه

ترجمة: سلمى حسنين



عصير الكتب

عصير الكتب
للنشر والتوزيع

إدارة التوزيع
00201150636428

لمراسلة الدار:
email:P.bookjuice@yahoo.com
Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: 달러구트 꿈 백화점
- العنوان العربي: متجر دالوجوت للأحلام
- طُبع بواسطة: 팩토리나인
- حُقوق النشر: 이미예
- الطبعة الأولى: يناير/2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: سلمى حسنين
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: آلاء الشربيني
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 2023/21258م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-317-8

عصير الكتب

LTI
LITERATURE TRANSLATION
INSTITUTE OF KOREA
تُرجمت بدعم من المعهد الكوري
للترجمة الأدبية

كلمة الكاتبة

تُرى لمَ يحلم الناس؟ لماذا نقضي ثلث حياتنا نائمين؟ تلك المشاهد الغامضة الغريبة التي لا أدري كيف تخيلتُها، ذلك الشخص الذي يظهر في أحلامي باستمرار، تلك الأماكن التي لم أذهب إليها من قبل، كل ما رأيته بوضوح في حلم البارحة، أجميعها أشياء ابتدعها عقلي الباطن ليس إلا؟ كلها أسئلة خطرت على بالنا جميعًا يومًا ما، لكنني تشبثتُ بها كما تتشبث الطفلة بدُميتها.

تمكنت الإنسانية من اكتشاف العديد من الأشياء بسبب عدم قدرة الإنسان على كبح فضوله، ولكن لم يكن ذلك كافيًا ليرضي فضولنا بأكمله. فكلما ازدادت معرفتنا ازداد فضولنا وازدادت معه أسئلتنا تعقيدًا وازددنا توقًا لمعرفة الإجابات.

بالنسبة لي، فطالما كان لديَّ فضول تجاه النوم والأحلام. فكنت أملأ الفراغ بين الأمس واليوم بخيالات سعيدة. ومع اقتراب خيالاتي من الواقع شيئًا فشيئًا بدأتُ بسعادة في كتابة هذه القصة.

قرية تحوي متاجر لا يمكنك دخولها إلا في أثناء النوم، وأماكن مذهلة تجذب النائمين، عربات طعام تبيع أطعمة تساعد على النوم، وكائنات النوكتيلوكا التي لا تكف عن التذمر بينما تُلبس الزبائن العرايا أردية النوم، ورشة ماكسيم صانع الكوابيس في نهاية الحارة المظلمة، صُناع الأحلام الغامضين الذين يسكنون جبل الثلج الدائم، أجانيب كوكو التي تصنع أحلام

التبشير بالحمل، وورشة جنيَّات ريبراهون اللائي يصنعن أحلام الطيران في السماء.

ملأت قصتي بحكايات من المتجر الأكثر شهرة بين الزبائن، متجر دالوجوت للأحلام. قد تجد شخصًا لم يذهب إلى متجر دالوجوت من قبل، ولكنك لن تجد أبدًا شخصًا ذهب إليه مرة واحدة فقط. ذلك المكان الذي يحوي أدوارًا تبيع كلٌّ منها نوعًا مختلفًا من الأحلام، وصناديق الأحلام المكومة ذات الأغلفة المزينة بمختلف الأشكال، أتمنى أن ينال إعجابكم. فأنا لا آمل في شيء أكثر من أن تُسهِم تلك القصة في إثراء حياتكم اليومية، وأن تساعدكم ولو بالقليل على النوم ورؤية أحلام جيدة.

لي مي ييه



المقدمة

متجر التلميذ الثالث العريق

جلست بيني بجانب النافذة بالطابق الثاني من مقهاها المفضل، كانت ترتدي قميصًا مريحًا وقد انتفش شعرها من أثر الرطوبة. لقد تلقت اليوم صباحًا اتصالًا من متجر دالوجوت يخبرها أنها اجتازت مرحلة فحص السير الذاتية ويجب عليها القدوم الأسبوع القادم من أجل المقابلة. أرادت بيني التجهيز لأسئلة المقابلة فذهبت إلى متجر الكتب بالحارة المجاورة، واشترت جميع الكتب المتعلقة بمقابلات التوظيف والأسئلة المتوقعة في المقابلة، وأخذت تقرأهم بشكلٍ عشوائي.

لكنها لم تكن تستطيع التركيز إطلاقًا، فالشخص الجالس بجوارها أخذ يهزُّ قدميه باستمرار تحت الطاولة بينما يحتسي الشاي، كان يرتدي جوارب نوم زاهية اللون تجعلها تتشتت كلما هزَّ قدميه.

كان يرتدي رداءً ثقيلًا مخصصًا للنوم ويغلق عينيه برفق بينما يحتسي الشاي، كلما نفخ في الشاي لتبريده فاحت رائحة منعشة كرائحة الغابات، بالتأكيد كان يشرب شايًا عشبيًّا لعلاج الإرهاق.

- همم، شايٌ لذيذ للغاية... دافئ.. كوبٌ آخر... بكم...؟

كان يهمهم ببعض الكلمات كأنه يخطرف ثم لعق شفتيه وأخذ يهزُّ قدميه مرَّة أخرى.

أدارت بيني كرسيها لتتجنب النظر إلى جواربه.

كان هناك العديد من الزبائن يرتدون ملابس نوم غير هذا الرجل، فالفتاة الجالسة بجانب السلم الذي يصل بالطابق الأول أخذت تحكُّ رقبتها وهي ترتدي رداءً استأجرته للنوم. كانت بين الحين والآخر تتحرك في كرسيها متململة.

تقوم المدينة التي تعيش فيها بيني على بيع المنتجات التي تساعد الناس على النوم منذ زمن طويل حتى أصبحت الآن مدينة كبيرة يزورها الكثيرون، واختلط السكان بالزائرين ذوي ثياب النوم حتى اعتادوا مظهرَهم. كانت الحال كذلك أيضًا بالنسبة لبيني التي وُلدت وترعرعت في هذه المدينة.

شربت بيني رشفة من قهوتها الباردة. بمجرد أن مرت القهوة المُرة عبر حلقها، هدأت الضوضاء من حولها وشعرت أن الهواء المحيط يغلف جسدها برفق. أحسنت الاختيار بدفع مبلغ إضافي لإضافة ملعقتين من «شراب التهدئة» إلى القهوة. قرَّبت بيني كتاب الأسئلة المفتوح على الطاولة إليها وبدأت مرَّة أخرى في قراءة السؤال الذي احتارت في إجابته منذ قليل.

س. اختر الإجابة الصحيحة، ما هو الحلم الحاصل على الجائزة الكبرى بإجماع لجنة الحكام في حفل جوائز «حلم السنة» لعام 1999 ومن هو صانع الحلم؟

أ. كيك سلامبر - «حلم التحوُّل إلى حوت قاتل يعبر المحيط الهادئ».

ب. ياسنوز أوترا – «حلم العَيْش كوالديك لمدة أسبوع».

ج. واوا سليب لاند – «حلم السباحة في الفضاء ورؤية كوكب الأرض».

د. دو چيه – «حلم احتساء كوب من الشاي مع إحدى الشخصيات التاريخية».

هـ. أجانيب كوكو – «حلم تبشير زوجين عقيمين بحصولهما على توأم ثلاثي».

انتابتها الحيرة وأخذت تعضُّ غطاء القلم. سنة 1999 كانت منذ زمن بعيد. إذًا لا يمكن للإجابة أن تكون مؤلفي أحلام صغار السن مثل كيك سلامبر أو سليب لاند. شطبت بيني بالقلم على الإجابتين. إذًا ماذا عن «حلم العيش كوالديك لمدة أسبوع» الذي صنعته ياسنوز أوترا؟ إذا لم تخنها ذاكرتها فهو حلمٌ قد أُطلِقَ مؤخرًا. فأحلام ياسنوز أوترا كلها تُعلَن بشكل مكثف قبل إطلاقها. تتذكر بيني بوضوح شكل العارضة في الإعلان وهي تصرخ بحماس «لا ترهق نفسك بتوبيخ أطفالك غير المطيعين، اجعلهم يعيشون كآباء لمدة أسبوع!».

احتارت بيني بين الإجابتين المتبقيتين ثم وضعت علامة بجانب الإجابة رقم هـ أجانيب كوكو – «حلم تبشير زوجين عقيمين بحصولهما على توأم ثلاثي» ثم حركت يدها لتأخذ رشفة من قهوتها مرَّة أخرى.

لكن في تلك اللحظة ظهرت يد حيوان ذات فرو كثيف فوق السؤال. تفاجأت بيني وكادت تطيح كوب القهوة بظهر يدها.

- بالطبع لا، إجابة السؤال هي رقم أ.

قال صاحب اليد دون أن يبدأ بالتحية.

- شهدت سنة 1999 الظهور الأول لكيك سلامبر. كانت سنةً مميزة لأنه حصل على الجائزة الكبرى في أول ظهور له. وقتها ادخرتُ النقود

لمدة ستة أشهر واشتريتُ حلمه. كانت المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها حلمًا بهذا الوضوح. شعور الزعنفة وهي تقطع المحيط والمنظر الطبيعي تحت المياه. كم شعرت بعدها بالظلم أنني لم أُولَد كحوت! بيني، إن كيك سلامبر عبقريٌّ بحق. أتعرفين كم كان عمره وقتها؟ بالكاد تم ثلاثة عشر عامًا.

قال صاحب اليد بزهو كأنه يتفاخر بإنجازاته الشخصية.

- أسام! إنه أنت. كنت أتساءل مَن تكون.

أبعدت بيني كوب القهوة.

- كيف عرفت أنني هنا؟

- لقد رأيتكِ منذ قليل تغادرين متجر الكتب بعد أن اشتريتِ العديد منها. فعرفت أنكِ سوف تأتين للدراسة هنا. فأنتِ لا تقومين بالدراسة في المنزل.

نظر أسام إلى كومة الكتب فوق الطاولة.

- أتجهزين للمقابلة؟

- كيف عرفت هذا أيضًا؟ لقد تلقيت الاتصال اليوم صباحًا.

- لا يوجد شيء يحدث في هذه الحارة يُخفى على النوكتيلوكا.

كان أسام أحد كائنات النوكتيلوكا التي تعمل في هذا الحي. تحمل كائنات النوكتيلوكا أكثر من مئة رداءٍ للنوم وتطارد الزبائن النائمين لإلباسهم إياها حتى لا يتجولوا عرايا. كانت أجسادها مناسبة لعملها، حيث يمتلك كلٌّ منها أرجلًا أمامية ضخمة مقارنةً بحجم جسده، وأظفارًا طويلة ليستطيع حمل العديد من أردية النوم، فضلًا عن شكلها الذي يبعث على الراحة. كانت لا تحتاج إلى ارتداء الملابس بفضل الفرو الكثيف الذي يغطي أجسادها، وهو أمر يدعو للسخرية لكن تعتقد بيني أن الأمر سيكون أقل إحراجًا للزبائن

العارِين عندما يتلقون الملابس من حيوانات عارية مثلهم على أن يتلقوها من بشر في كامل لباسهم.

- هل يمكنني الجلوس؟ قدماي تؤلمانني من المشي طوال اليوم.

قبل أن ترد بيني جلس أسام على الكرسي المقابل لها وأخذ يهزُّ ذيله المنفوش الذي تدلى من ظهر الكرسي المفتوح.

- الأسئلة صعبةٌ للغاية.

راجعت بيني على السؤال الذي أخطأت في إجابته.

- أسام، كم تبلغ من العمر لتعرف كل هذه الأشياء؟

أجاب أسام ببرود: «ليس من الأدب أن تسألي النوكتيلوكا عن عمره».

ثم أكمل وهو يربت على أردية النوم المربوطة حول كتفيه: «أنا أيضًا درست كثيرًا لأحصل على وظيفة في المتجر، لكنني بعدها استقلت لأن عملي الآن يناسبني أكثر. على أيّة حال، عشت لأرى اليوم الذي تذهب فيه بيني المُشتتة لمقابلة عمل في متجر دالوجوت للأحلام!».

- يبدو أن عملي الطيب في حياتي السابقة يُرد إليَّ الآن.

كانت بيني تعتقد بحق أن نجاحها في المرحلة الأولى هو معجزة.

كان الشباب يتهافتون للحصول على وظيفة في متجر دالوجوت. حيث كانت الوظيفة هناك تتمتع بمميزات لا تُحصى، مثل المرتب العالي، وفرصة العمل في المبنى الفاخر الذي يُعد مَعلمًا من معالم المدينة، وأنظمة الحوافز المُتعددة، ونظام رفاهية الموظفين، حيث يحصلون على أحلام باهظة الثمن في الأعياد، ولكن كل ذلك كان لا يعني شيئًا أمام شرف العمل مع دالوجوت شخصيًا.

كان جميع سكان المنطقة يعرفون شجرة عائلة دالوجوت ويعرفون من هم أجداده. فعائلته تعتبر أصل هذه المدينة، فمجرد تخيُّل العمل معه جعل

قلب بيني يتراقص فرحًا وجعلها تشعر أن جسدها قد انتفخ كالبالون وطار في الهواء.

ضمَّت بيني كفيها ودعت: «أتمنى أن أنجح في المقابلة».

- لكن أتُجهِّزين للمقابلة باستخدام هذه الكتب فقط؟

تناول أسام كتاب الأسئلة التي كانت بيني تحلُّ فيه وأخذ يتفحصه ثم وضعه مجددًا على الطاولة.

- يجب عليَّ أن أحفظ كل ما يمكنني حفظه أولًا. قد يطلبون مني التحدث عن أساطير صناعة الأحلام الخمسة، أو يسألونني عن أكثر حلمٍ تمَّ بيعه في السنوات العشر الأخيرة، أو ربما عن نوعية الزبائن الذين يأتون خلال وقت معين. في الوقت الذي من المفترض أنني سوف أعمل فيه يأتي أكثر الزبائن من غرب أستراليا ومن آسيا. لقد درست أيضًا عن خطوط التوقيت وفروقه. أتعلم لماذا يأتي الزبائن لمدينتنا طوال الأربعة والعشرين ساعة بلا انقطاع؟ أتريدني أن أشرح لك؟

أخذها الحماس وكادت تبدأ في إلقاء خطاب عن ذلك. إلا أن أسام هزَّ رأسه رفضًا.

- لن يسألك دالوجوت عن هذه الأشياء التافهة. فهذه معلومات يعرفها حتى طلاب الإعدادية.

تجهَّمت بيني فمد أسام قدمه الأمامية وربَّت على كتفها.

- لا تقلقي يا بيني. أنا سمعت الكثير عنه بينما أقوم بجولاتي. تعرفين كم أنا اجتماعي، فأنا أعمل في هذه المنطقة منذ عشرات السنين.

ثم أكمل أسام بسرعة قبل أن تسأله بيني عن عمره مرة أخرى.

- يقولون إن دالوجوت يحب التحدث عن الأحلام بشكلٍ غامض. لست متأكدًا، ولكنه على الأرجح سوف يطرح عليكِ أسئلة ليست لها إجابة محددة. لذلك في الحقيقة أنا أتيت لأعطيك هذا.

وضع أسام أردية النوم التي كان يربطها حول كتفيه على الأرض وبدأ في البحث عن شيءٍ ما. أخذ يقلب في أردية النوم المكومة حتى سقطت حزمة صغيرة من بينها. فكَّ أسام الحزمة فخرجت منها كومةٌ من جوارب النوم.

- لا، ليست هذه، هذه جوارب نُلبسها للزبائن الذين يعانون برودة الأطراف... آه، صحيح. ها هي ذي!

أخرج أسام من الحزمة كُتيبًا في حجم كف اليد.

كُتب العنوان بحروفٍ ذهبية فاخرة على غُلاف الكتاب السميك ذي اللون الأزرق الفاتح.

(حكاية إله الوقت وتلاميذه الثلاثة)

- لم أرَ هذا الكتاب منذ زمن!

تعرفت بيني على الكتاب من أول نظرة. ليست بيني وحدها وإنما كل من تربَّى في هذه المدينة كان ليتعرف عليه. فقد كان كتابًا مشهورًا يتوجب على جميع أطفال المدينة قراءته.

- من الممكن أن يطرح عليكِ دالوجوت أسئلة متعلقة بهذا الكتاب، ربما عن انطباعك عنه أو رأيكِ فيه. إذا لم تقرئيه مرة ثانية منذ طفولتك فاقرئيه بتمعُّن. فكما تعلمين هي قصةٌ مهمةٌ للغاية بالنسبة لدالوجوت.

اقترب أسام ناحية بيني وجلس ثم قرَّب وجهه منها وقال: «سأخبركِ سرًّا، يقول موظفو متجر دالوجوت أن كلًّا منهم تلقى هذا الكتاب كهدية من دالوجوت».

- حقًّا؟

أخذت بيني الكتاب من أسام على الفور.

- بالطبع! إذا أهدى هذا الكتاب لموظفيه فهو بالتأكيد يعتبره مهمًّا للغاية، يا إلهي! يجب عليَّ الذهاب للعمل الآن.

نظر أسام خارج نافذه الشرفة خلف ظهرها.

- أظنني رأيت أحد النائمين يتجول بسرواله الداخلي.

ارتعش أنف أسام ذو اللون الكستنائي.

لملم أسام أردية النوم المُبعثرة على الأرض على عجل، ساعدته بيني في وضع جوارب النوم داخل الحزمة مجددًا.

حظًّا موفقًا في المقابلة يا بيني. عليكِ إخباري ما سيحدث فيها.

ظلَّ أسام ينظر خارج النافذة وهو يقوم من كرسيه.

تمتم قائلًا: «على الأقل هو يرتدي سرواله الداخلي اليوم لحُسن الحظ».

- شكرًا يا أسام.

هزَّ أسام ذيله يمينًا ويسارًا بدلًا من قول «عفوًا» ثم نزل للطابق الأول.

تلمست بيني الكتاب الذي تركه أسام.

كان أسام على حق. لماذا لم تفكر بيني في قراءة هذا الكتاب؟ فهذا الكتاب يحوي قصة بداية هذه المنطقة التجارية، وقصة ميلاد هذه المدينة، وأصل متجر دالوجوت للأحلام. لو كان دالوجوت يهتم بالتاريخ فعلى الأرجح ستكون الإجابة داخل هذا الكتاب.

أمسكت بيني أوراق الأسئلة المملوءة بالإجابات الخاطئة ووضعتها في حقيبتها بلا تردد، ثم احتست المتبقي من قهوتها دفعة واحدة، ثم فردت ظهرها وفتحت الكتاب الذي أعطاها إياه أسام.

حكاية إله الوقت وتلاميذه الثلاثة

في قديم الزمان، عاش إلهٌ يحكم وقت الناس. في يومٍ ما، بينما يتناول غداءه بتأنٍ، أدرك أنه لم يعد لديه الكثير من الوقت. فجمع تلاميذه الثلاثة وأخبرهم هذا.

تلميذه الأول كان جريئًا يتحلى بالشجاعة، فسأله ماذا سيفعلون في المستقبل. وتلميذه الثاني كان ذا قلبٍ كبير، أخذ يسترجع ذكرياته مع معلمه ويبكي بصمت. أما تلميذه الثالث فأخذ ينتظر كلام معلمه في صمت.

- تلميذي الثالث، لطالما كنت حكيمًا متدبرًا، لذا سأسألك. إذا قسمنا الوقت إلى ثلاثة أجزاء، الماضي والحاضر والمستقبل، أي جزءٍ ستأخذ؟

فكر التلميذ الثالث قليلًا ثم قال إنه سيأخذ الجزء المتبقي بعد أن يختار زميلاه.

أسرع التلميذ الأول قبل أن يُضيع الفرصة وقال إنه سيأخذ المستقبل. ثم أضاف قائلًا: «اجعلني لا أتقيد بالماضي حتى أستطيع التحكم في المستقبل».

كان التلميذ الأول دائمًا ما يعتقد أن التخلي عن الماضي والتمسك بالمستقبل هو أفضل ما يمكن فعله. فأعطاه إله الوقت المستقبل كما وهبه القدرة على نسيان الماضي بسهولة.

عندها قال التلميذ الثاني بحذر إنه سيأخذ الماضي. كان التلميذ الثاني يعتقد أنه ما دام في صحبة ذكرياته،

لن يشعر بالندم ولن يفكر في عدم جدوى الحياة وسيصبح سعيدًا إلى الأبد. فأعطاه إله الوقت الماضي ومعه القدرة على الاحتفاظ بالذكريات لوقتٍ طويل.

أمسك إله الوقت الحاضر في يده، كان صغيرًا وحادًّا مقارنةً بالماضي والمستقبل. سأل إله الوقت التلميذ الثالث: «هل ستُحسِن حُكم الحاضر؟».

عندها أجاب التلميذ الثالث: «لا، فضلًا وزِّعه بالعدل على كل الناس».

استغرب إله الوقت.

قال إله الوقت بنبرةٍ تنمُّ عن خيبة الأمل: «ألا يوجد أيُّ جزءٍ من الزمن وجدته مميزًا في أثناء تعلُّمك على يدي؟».

فأجاب التلميذ الثالث بصعوبة: «إن أكثر وقتٍ أحببته هو عندما يخلد الجميع للنوم. لأنه في أثناء النوم يختفي الندم على الماضي والقلق بشأن المستقبل. لكن عندما يسترجع الناس ذكرياتهم السعيدة في الماضي لا يتذكرون وقت النوم أيضًا، وهؤلاء الذين يحلمون بمستقبلٍ باهر لا يتطلعون لوقت النوم. حتى النائمون لا يدركون أن حاضرهم قد خلد للنوم. فكيف على شخصٍ قليل الحيلة مثلي أن يتطوع لحكم مثل هذا الوقت الحرج؟».

ضحك التلميذ الأول بسخرية في سرِّه بعد أن سمع كلامه. بينما تفاجأ التلميذ الثاني. ذلك لأنهم دائمًا ما

كانوا يعتقدون أن وقت النوم هو وقتٌ لا فائدة منه. لكن إله الوقت أعلن أنه سيعطيه إلى تلميذه الثالث.

- هل يمكنني أن أقتطع من وقتكم وقت النوم وأعطيه لتلميذي الثالث؟

بمجرد أن طرح إله الوقت السؤال لم يتردَّدا في الإجابة.

- بالطبع.

تلقى كلٌّ منهم وقته وتفرقوا.

في البداية شعر التلميذ الأول والثاني بالرضا عن القدرة التي أعطاهما إياها إله الوقت.

اندمج التلميذ الأول وأتباعه في المستقبل ونسوا كل ما حدث في الماضي. فغادروا بلدتهم واستقروا في أرضٍ أوسع وأخذهم الحماس وهم يخططون لمستقبل جديد.

أما التلميذ الثاني وأتباعه ممن يقدِّرون الماضي فكانوا غاية في السعادة. كانوا شاكرين لقدرتهم على تذكُّر وجوههم وهم صغار وتذكر الأشياء التي فعلوها معًا.

ولكن قبل أن يمرَّ وقتٌ طويل، بدأت المشكلات في الظهور.

فبينما انشغل التلميذ الأول وأتباعه في التفكير في المستقبل فقط بدأت ذكريات الماضي المنسية في التراكم كالضباب في أرضهم. فأصبح من الصعب عليهم

التعرُّف على أصدقائهم وعائلاتهم داخل هذا الضباب. اختفت ذكرياتهم مع أحبائهم، فأصبحوا لا يتذكرون لما كانوا يحلمون بالمستقبل. فبدلًا من رؤيتهم للمستقبل البعيد أصبحوا لا يستطيعون رؤية ما أمامهم بخطوة واحدة.

لم يكن التلميذ الثاني وأتباعه أفضل حالًا. كانوا محبوسين داخل ذكرياتهم السعيدة فأصبحوا لا يستطيعون تقبل مرور الوقت ولا فراق الأحبة وموتهم. فصنعت دموعهم التي انهالت بلا توقف كهفًا كبيرًا تحت الأرض، واتخذه ضعفاء القلب منهم مخبئًا.

كان إله الوقت يراقب الوضع. فانتظر حتى خَلد الجميع إلى النوم وأدار ظهره لضوء القمر وتسلل داخل غرف نومهم. أخرج الإله الحاضر الحاد وأمسكه جيدًا ثم قطع به ظلهم المتدلي تحتهم.

ثم حمل الظلال المقطوعة بيد وباليد الأخرى زجاجةً فارغةً وخرج إلى الظلام مرّة أخرى.

في البداية أخذ إله الوقت الذكريات الشاحبة التي تشبه الضباب التي كان التلميذ الأول وجماعته قد تخلصوا منها ووضعها في الزجاجة. ثم أخذ دموع التلميذ الثاني وجماعته وضمها إلى حضنه.

ثم في النهاية انطلق باحثًا عن التلميذ الثالث.

- ما الذي أتى بك في هذا الوقت المتأخر يا معلمي؟

في صمت أخذ إله الوقت يضع ما لديه من أشياء واحدًا تلو الآخر فوق طاولة التلميذ الثالث. فوضع الظلال النائمة ثم الزجاجة التي تحوي الذكريات المنسية وأخيرًا الدموع التي اتخذت شكل كرة.

توقع التلميذ الثالث ما يعنيه المعلم بشكل مبهم فسأله:

- كيف أستطيع مساعدتهم باستخدام هذه الأشياء؟

بدلًا من الإجابة، أخذ الإله الظلَّ الغارق في النوم بإصبعه ثم وضعه في الزجاجة التي تحوي الذكريات.

سبح الظلُّ داخل الزجاجة ثم حاول أن يفتح عينيه المغمضة، عندها سكب الإله الدموع داخل الزجاجة.

عندها حدث شيءٌ مذهل. أصبحت الدموع أعينًا للظل وفتح الظل عينيه ودبَّت فيه الحياة وأخذ يتحرك بين الذكريات داخل الزجاجة.

أعطى إله الوقت التلميذ الثالث الزجاجة وقال: «اجعل ظلال الناس تستيقظ بينما ينامون هم».

كان التلميذ الثالث حكيمًا، ولكنه لم يفهم كلام معلمه.

- أتقصد أن أجعل الناس تفكر وتشعر حتى في أثناء نومهم؟ كيف سيساعدهم ذلك؟
- تلك الذكريات التي يصنعها الظلُّ في أثناء سهره طوال الليل، سوف تُقوِّي قلوب الضعفاء من أمثال التلميذ الثاني. وتساعد الطائشين من

أمثال التلميذ الأول على تذكر الأشياء التي لا يجب عليهم نسيانها اليوم التالي.

بعد أن أنهى إله الوقت كلامه، شعر أن وقته على وشك الانتهاء.

بدأ إله الوقت في التلاشي، فصرخ تلميذه على عجل: «علمني المزيد يا أستاذي، كيف أعلّم هذا للناس حتى يستطيعوا فهمه؟ لا أعرف حتى ماذا أسميه».

ابتسم إله الوقت وأجاب: «لا داعي لأن يفهموا. بل من الأفضل ألا يفهموا. سوف يتقبلون الأمر في النهاية بأنفسهم».

- لتضع له اسمًا على الأقل. أأسميه بالمعجزة؟ أم بالوهم؟

حاول التلميذ الثالث بتلهُّف معرفة المزيد من مُعلمه.

- سمِّه حلمًا. من الآن فصاعدًا سوف تجعلهم يحلمون كل ليلة.

بعدها اختفى إله الوقت دون أن يترك أيَّ أثر.

أغلقت بيني الكتاب وهي تشعر بالغرابة. أحست أنها قصةٌ غريبة غير منطقية كأنها تقرأها لأول مرَّة، كأنها قصة أطفال. لكن هناك الكثير من الظواهر في هذا العالم لا يمكن فهمها إذا رفضت تصديق مثل هذه الأشياء. فكما تقبلنا سنة الحياة حيث يولد الإنسان من لا شيء، ويموت من كانوا على قيد الحياة منذ قليل، تقبّل سكان هذه المدينة أيضًا تلك القصة. في الواقع

كوننا نحلم كل ليلة، ومتجر الأحلام الذي أسسه التلميذ الثالث منذ زمنٍ بعيد، وأحفاده الذين توارثوه حتى وصل إلى دالوجوت، كل تلك الأشياء كانت أدلة حيَّة على أن تلك القصة حقيقية.

شعرت بيني أن دالوجوت شخصيَّة أسطورية لا يمكن الاقتراب منه. فبمجرد أن فكرت أنها سوف تتبادل معه أطراف الحديث في أثناء مقابلة العمل بعد عدة أيام، ارتعد جسدها وشعرت ببرودةٍ تجتاح بطنها بمزيجٍ من الحماس والقلق. فكرت أنه حان الوقت للعودة إلى المنزل.

بعدما حملت كُتبها وعادت إلى المنزل، لم تترك بيني الكتاب الذي أعطاها إياه أسام من يدها حتى خلدت للنوم. وظلت تقرأه مرة تلو الأخرى حتى يوم المقابلة، إلى أن حفظته بالكامل.

حلَّ يوم المقابلة بسرعة، وصلت بيني مبكرًا إلى متجر الأحلام الذي يقع عند الميدان ووقفت في ردهة الطابق الأول تنظر حولها محاولةً البحث عن مكتب دالوجوت.

كان هناك أناس يلبسون أثوابَ نومٍ تتألف من أقمصة برقاب مهترئة وسراويل قصيرة واسعة، وأناس آخرون يلبسون أرديةَ النوم التي أخذوها من النوكتيلوكا. كانوا يتجولون بين الأقسام التي تعرض الأحلام في ردهة المتجر.

- إنه الحلم الجديد لكيك سلامبر، حلم التحول إلى سلحفاة جالاباجوس العملاقة... دعنا نرى، لقد أعطاه النقاد الصارمون 4.9 نجمة! ما معنى «عظمة الهاوية بين ظهر صَدفة السلحفاة وبطنها»؟ كما هو متوقع كلام النقاد لا يساعد على الاختيار إطلاقًا.

كان أحد الزبائن يرتدي بنطالًا للنوم ذا نقشاتٍ على شكل نجوم. وقف في قسم «أفضل الأحلام الجديدة» يفكر بعُمق وهو يحمل أحد صناديق الأحلام. كان على بيني أن تذهب إلى مكتب دالوجوت الموجود في مكان ما في الطابق الأول خلال عشر دقائق، لكنها لم تجد أيَّ مكتب فاخر يليق بصاحب المتجر.

أرادت بيني سؤال أحد الموظفين لكن موظفة مكتب الاستقبال التي بدت في مُنتصف العمر كانت تُجري مكالمات بلا توقف، والموظفون الآخرون ذوو المرايل الكتانية كانوا جميعًا مشغولين ولم يلقوا نظرةً تجاهها.

- أمي! أعتقد أنني فشلت في المقابلة! كانت الأسئلة كلها في منتهى الحماقة! لقد حلَّلتُ اتجاهات الأحلام وأحوال الصناعة في السنوات الخمس الماضية، ولكنه لم يسألني في أيِّ شيء عنهم.

في هذه اللحظة صادفت بيني فتاةً مارة تُجري مكالمة هاتفية وهي تستشيط غضبًا. كانت بالتأكيد أحد المتقدمين على الوظيفة وقد أنهت مقابلتها للتو. حاولت بيني سؤالها دون أن تصدر صوتًا فأخذت تنطق الحروف بشفتيها في صمت:

- أيـــــــن المـــــــكـــــــتـــــــب؟

أشارت الفتاة ببرود بإصبعها إلى الأعلى ثم اختفت سريعًا بين جموع الناس.

في الجهة التي أشارت إليها الفتاة كان هناك سُلَّم خشبي يصل بالطابق الثاني. عندما دققت بيني النظر كان هناك بابٌ خشبي على يمين السلم علق عليه ورقة تقول «مكان المقابلة». كان الباب يشبه بابَ فصلٍ مدرسيٍّ قديمًا، ربما يرجع ذلك لطلائه الذي تقشر أو بسبب الورقة المكتوبة بخط اليد بلا اهتمام.

وقفت بيني أمام الباب تحاول أن تنظم نفسها لتخفي توترها. كانت لا تزال غير متأكدة إذا كان هذا مكتب دالوجوت أم لا، فطرقت الباب المفتوح بالفعل من باب الأدب.

- تفضل.

جاءها صوت يشُوبه الحماس من داخل الغرفة. كان صوتًا مألوفًا، سمعته أحيانًا في مقابلات تليفزيونية أو على الراديو. كان الشخص الموجود بالداخل هو بالتأكيد دالوجوت.

- عذرًا.

كان المكتب أصغر مما يبدو عليه من الخارج. كان دالوجوت يجلس وراء مكتب طويل يصارع ماكينة الطباعة القديمة.

- تفضلي. معذرةً هل يمكنك الانتظار قليلًا؟ كلما أردتُ طباعة شيء تعْلَق الأوراق بالداخل.

كان يرتدي قميصًا أنيقًا ويبدو أطول وأنحف بكثير مما يبدو على التلفاز. كان شعره المُموَّج منفوشًا وقد تلون نصفه تقريبًا باللون الأبيض.

انتزع دالوجوت من الطابعة ورقة بدت كاستمارة تقديم الوظيفة الخاصة ببيني. كانت الورقة قد تجعَّدت وانقطع أحد أطرافها الذي كان لا يزال عالقًا داخل الطابعة، ولكن رغم ذلك ارتسم على وجه دالوجوت تعبيرٌ يوحي بالرضا.

- حُلت المشكلة.

عندما اقتربت بيني مدَّ لها يده الخشنة ذات التجاعيد يريد مصافحتها. مسحت بيني يدها التي تعرَّقت من التوتر في ثيابها ومدتها لتصافحه.

- أهلًا سيد دالوجوت، أنا بيني.

- تشرفت بمقابلتكِ يا آنسة بيني. كنت أتوق للقائك.

كان المكتب يبدو كمخزن رثٍّ، لكن مع ذلك بدا دالوجوت أنيقًا. عن قُرب بدت عيناه ذاتا اللون البني الداكن تلمعان كأعين الفتيان الصغار مما جعل عمره الحقيقي مجرد رقم. أدركت بيني أنها كانت تحدق إلى عينيه فأشاحت نظرها على عجل.

كانت الغرفة ملأى بالصناديق. على الأرجح كلُّها صناديق أحلام، منها من بقي في هذا المكان طويلًا حتى أصبح طريًّا بِفعل الرطوبة، ومنها الجديد ذو الغلاف اللامع.

جذب دالوجوت الكرسي المعدني مُحدِثًا صوتًا كأنه يحاول جذب نظر بيني إليه مرَّة أخرى.

- تفضلي بالجلوس هنا.

أشار دالوجوت إلى مقعد بجانب بيني.

- اجلسي بارتياح، هذا كعكي المفضل... خذي واحدة.

أعطاها دالوجوت كعكًا بالمكسرات بدا شهيًا.

- شكرًا.

بمجرد أن قضمت قطعة من الكعك، استرخت كتفاها وشعرت أن الهواء من حولها أصبح أقل حرارة، والمكتب أصبح أكثر أُلفة. كان يشبه تأثير شراب التهدئة، ولكنه أفضل كثيرًا. بالتأكيد كانت هناك قوة خاصة في الكعك الذي أعطاها إياه دالوجوت.

- أنا أتذكر اسمكِ جيدًا.

فتح دالوجوت بابًا للكلام.

لقد تركت استمارتك لديَّ انطباعًا عميقًا. خاصةً المقطع الذي كتبتِ فيه «الحلم في النهاية هو مجرد حلم مهما كان جميلًا»، كانت تلك جملة مميزة.

- عفوًا؟ آه.. كان... كان هذا...

تذكرت بيني وقتها أنها حاولت كتابة أيِّ مقطع لاستفزاز دالوجوت حتى تلفت نظره إلى استمارتها التي لا تحوي أيَّة مؤهلات تُذكر. هل دعاها هنا حتى يرى وجه تلك الفتاة الساذجة التي جرؤت على تقديم مثل هذه الاستمارة؟ كان يجب عليها أن تشك في الأمر عندما نجحت استمارتها في المرحلة الأولى رغم خلوها من أيِّ شيءٍ يستحق القراءة.

درست بيني تعابير وجه دالوجوت بسرعة. لكن لحُسن الحظ لم يكن تعبير وجهه ينمُّ عن الاستخفاف. كان يحدق إليها باهتمام حقيقي. أجابت بيني وهي تراقب نظراته بحذر: «سعيدة أن استمارتي تركت لديك انطباعًا عميقًا».

- لندخل في صلب الموضوع إذًا.

رفع دالوجوت رأسه وأخذ يحدِّق إلى السقف كأنه يفكر في سؤال ما. ابتلعت بيني ريقها.

سألها دالوجوت: «آنسة بيني، ما رأيكِ في الأحلام؟ أريد أن أسمع رأيك بحرية».

كان سؤالًا تصعُب إجابته.

أخذت بيني نفسًا عميقًا وحاولت أن تتذكر الإجابة النموذجية التي قرأتها في كتيب الإعداد للمقابلة

- إن... إن الحلم هو طريقة لنجرب الأشياء التي لا نستطيع أن نجربها في الواقع... فهو بديل لكل ما هو مستحيل...

استمرت بيني في سرد الإجابة لكن لم تفُتْها خيبة الأمل التي ظهرت على وجه دالوجوت. فكرت أنه على الأرجح قد أجاب المتقدمون من قبلها بالطريقة نفسها.

- تبدين شخصًا مختلفًا تمامًا عمَّن كتب استمارة التقديم.

أخذ دالوجوت يرتب الأوراق دون النظر إلى بيني.

شعرت بيني أن إجابتها جعلت خطر الاستبعاد من المقابلة يلوح فوق رأسها. كان عليها أن تغير مجرى المقابلة بأي طريقة.

- ولكن، حتى لو استطعنا تجربة الأشياء التي لا يمكننا فعلها في الواقع، لا يمكن للحلم أن يصبح واقعًا!

لم تكن بيني تدرك ما تقوله. كل ما فكرت فيه هو أنها يجب أن تجيب بشكل مختلف عن غيرها. كان لديها إحساسٌ قويٌّ أن هذا هو ما يأمله دالوجوت. وإذا كان مقطع «الحلم هو مجرد حلم» هو ما جعل استمارتها تنجح في المرحلة الأولى كما قال دالوجوت، فكان يجب عليها أن تجيب بما يتناسب مع ذلك.

- فمهما حلمت بأحلام جيدة، أدرك عندما أستيقظ أنها مجرد أحلام.

- وما السبب في ذلك؟

كان تعبير وجهه جادًّا.

ارتبكت بيني. لم يكن لديها سبب جيد لتبرير الإجابة التي ارتجلتها. وضعت بيني باقي الكعكة في فمها ومضغتها ثم ابتلعتها بسرعة، كانت تعرف أن ذلك ليس من الأدب، ولكنها كانت تحتاج إلى تأثيرها.

- لا يوجد سبب معين. سمعت أن معظم الزبائن ينسون أحلامهم بعد أن يستيقظوا منها. لذلك قلت إن الحلم هو مجرد حلم وإن الإنسان يدرك ذلك بمجرد أن يستيقظ. لكني أعتقد أن هذا ما يجعلها لا تعرقل الواقع. يعجبني أن الأمر لا يخرج عن الحدود.

ابتلعت بيني ريقها الجاف. كانت تعرف أن الصمت ليس في مصلحتها فقالت كل ما خطر ببالها دون تفكير، ولكنها كانت تشعر أيضًا أن هذه الإجابة قد تعكر أجواء المقابلة.

قال دالوجوت بلا اهتمام: «حسنًا، أهذا رأيكِ عن الأحلام بالكامل؟».

الآن وقد صار الوضع كذلك، قررت بيني أن تقول كلَّ ما في جعبتها من كلام. ففرصة كهذه لن تسنح لها مجددًا.

- في الحقيقة لقد قرأت كتاب (إله الوقت وتلاميذه الثلاثة) عدَّة مرات قبل أن آتي للمقابلة. لقد تطوَّع التلميذ الثالث في القصة لحُكم وقت النوم. كان وقتًا لم يهتم التلميذان الآخران لأمره إطلاقًا.

عندما رأت بيني تعابير وجه دالوجوت، عرفت أنها أحسنت الاختيار بقراءة كتاب (إله الوقت وتلاميذه الثلاثة) قبل المقابلة كما اقترح عليها أسام. كان ينظر إليها باهتمام مجددًا كما فعل في بداية المقابلة.

- لم أفهم جيدًا اختيار التلميذ الثالث. فالمستقبل الذي اختاره التلميذ الأول يحوي عددًا لا نهائيًا من الاحتمالات، حيث يمكن لأي شيء أن يحدث، والماضي الذي اختاره التلميذ الثاني يحوي جميع التجارب الثمينة التي خاضها الإنسان حتى الآن. فالاثنان مهمان للغاية من أجل الحياة في الحاضر.

أومأ دالوجوت برأسه بالكاد. لم تتوقف بيني وأكملت.

- لكن ماذا عن وقت النوم؟ في أثناء نومنا لا يحدث أيُّ شيء. نحن فقط نمضي الوقت ممددين في سكون. نعتبره وقتًا للراحة، ولكن البعض قد يراه إهدارًا للوقت، فكأنك تمضي إجمالًا عشرات السنوات من حياتك ممددًا، لكن مع ذلك فقد أعطاه إله الوقت إلى تلميذه المفضل. وأخبره أن يجعل الناس تحلم في أثناء نومها، ما السبب في هذا يا ترى؟

تظاهرت بيني بأنها تطرح سؤالًا لتكسب بعض الوقت للتفكير.

- دائمًا ما يخطر على بالي هذا السؤال عندما أفكر في الأحلام. «لماذا ينام الناس ويحلمون؟» هذا لأن الإنسان كائنٌ أحمق أبعد ما يكون عن الكمال. فهناك من يهتم بالقادم فقط مثل التلميذ الأول، وهناك من يتمسك بالماضي فقط كالتلميذ الثاني، لكن من اسهل أن يفوِّت كلاهما أشياء مهمة للغاية. لذلك جعل إله الوقت تلميذه الثالث مسؤولًا عن وقت النوم لمساعدة هؤلاء. لماذا؟ أحيانًا تذوب مخاوف الأمس كالثلج بمجرد أن نحظى بقسط وافر من النوم ونستطيع مواصلة حياتنا من جديد، أليس كذلك؟ هذا بالضبط هو السبب. فسواء ناموا بعمق دون حلم، أو رأوا حلمًا جيدًا مما يُباع هنا في المتجر، فوقت النوم قد خُلق ليتمكن

كلٌّ منهم من ترتيب أمور الأمس والتجهيز للغد. إذا فكرنا في الأمر بهذه الطريقة فلن يصبح وقت النوم بلا فائدة.

غلَّفت بيني محتوى الكتاب الذي قرأته في جمل منمقة واستخدمتها للإجابة عن السؤال، كانت هي نفسها متفاجئة من فصاحتها اليوم، لم يكن الكبار مخطئين عندما ينصحون بقراءة الكثير من الكتب. اكتسبت بيني ثقةً بنفسها فأرادت أن تضيف كلمة تترك لدى دالوجوت انطباعًا عميقًا.

- في رأيي... إن النوم، والأحلام... هي فصلة يسعى الإله لرسمها في حياتنا التي تسري كالخط المستقيم بلا انقطاع.

أنهت بيني كلامها بفخر. اعتلى وجه دالوجوت تعبيرٌ تصعُب قراءته. شعرت بيني أن تعليقها الأخير كان مصطنعًا للغاية فلم تنبس ببنت شفة. كان يجب عليها ألا تبالغ عندما كانت المقابلة تسري على ما يرام.

عمَّ الصمتُ المكتبَ. كان المتجر بالخارج يعجُّ بالزبائن، لكن مكتب دالوجوت هادئ كأنه في مكانٍ منعزل. شعرت بيني بالعطش فجأة.

كتب دالوجوت شيئًا ما على استمارة بيني.

- حسنًا يا آنسة بيني، يبدو أنكِ تفكرين كثيرًا في الأحلام.

رفع دالوجوت يديه عن الورقة وشبَّك أصابعه معًا ونظر مباشرة في عيني بيني.

- سوف أسألكِ سؤالًا أخيرًا. أنتِ تعرفين أن هناك الكثير من المتاجر التي تبيع الأحلام غير متجرنا هذا. هل هناك سببٌ معين يجعلكِ تريدين العمل في متجرنا بالذات دونًا عن بقية المتاجر؟

كانت بيني على وشك القول بأنها تفضل الراتب الكبير، ولكنها عدلت عن ذلك حيث فكرت أن هذه صراحة مبالغٌ فيها لا تليق بأول لقاء بينهما.

أجابت بيني ببطء وهي تنتقي كلماتها: «مؤخرًا تتزايد المتاجر التي تبيع أحلامًا استفزازية بسرعةٍ كبيرة. لقد ذكرت أنت أيضًا هذا الموضوع

في مقابلة مع صحيفة (التفسير أهم من الحلم). هناك أيضًا بعض المتاجر التي تحثُّ مَن ينامون كفاية بالفعل على النوم أكثر وتجبرهم على شراء الأحلام ليطاردوا تلك المتعة. لكنني سمعت أنك لا تفعل هذا في متجرك يا سيد دالوجوت. فتجعل الناس يحلمون على قدر احتياجهم فقط، وتؤكد دومًا على أن الواقع هو الأهم. أظنُّ أن هذا هو ما تمنَّاه التلميذ الثالث بالضبط، تحكُّم مناسب في الواقع دون تجاوز. لذلك قدمت على وظيفة هنا».

ضحك دالوجوت أخيرًا. ظنت بيني أنه بدا أصغر بعشر سنوات عندما ضحك. أخذت عيناه ذاتا اللون البني الداكن تتفحصان بيني بدقة.

- آنسة بيني، هل يمكنكِ البدء غدًا؟

- بالطبع.

بدأ صوت الزبائن بالخارج يجتاح المكتب الهادئ في اللحظة التي حصلت بيني على أول وظيفة لها.

١. إقبال كثيف على المتجر

في أول يومٍ لها، كانت بيني تركض في طريقها إلى العمل. تجمعت قطرات العرق على أنفها. فقد أمضت الليلة الماضية تحتفل مع عائلتها بمناسبة حصولها على الوظيفة، ثم بقيت مستيقظة حتى الفجر تثرثر مع أصدقائها عبر الهاتف مما جعلها تتأخر في الاستيقاظ. خاصةً أن أسام أراد معرفة كيف ساعدها الكتاب الذي أعطاها إياه في اجتياز المقابلة.

- كيف أصبحت تعابير وجهه عندما قلتِ هذه الإجابة؟

يا إلهي. لقد حسم الكتاب الذي أعطيتكِ إياه نتيجة المقابلة! الكتاب الذي أعطيتكِ «أنا» إياه.

وعدته بيني بأنها ستدعوه لتناول الطعام على حسابها يومًا ما وتمكنت بالكاد من إغلاق المكالمة.

كان الطريق اليوم مزدحمًا بسكان المدينة والزبائن النائمين على غير العادة. شقت بيني طريقها بين الناس جريًا وهي تعتذر لكل من تصطدم به. بالكاد استطاعت التقاط أنفاسها عندما وصلت إلى الحارة التي تقع خلف متجر الأحلام. لحُسن الحظ لم تتأخر.

انبعثت من الحارة رائحة فواكه مشوية ولبن مغلي. لم يتسنَّ لبيني تناول أي شيء منذ استيقاظها، فأرادت تناول سيخٍ من الفواكه المشوية. نظرت إلى ما حولها لترى مصدر الرائحة، ولكن الصف كان طويلًا للغاية.

- لمَ كل هذا الزحام اليوم على غير العادة؟

كان الطباخ في إحدى عربات الطعام ينظر باندهاش إلى أفواج الزبائن المحيطة العربة. كان يقلب أسياخ الفاكهة على الشواية بيدٍ، وباليد الأخرى يمسك بمغرفة يقلب ما داخل طنجرة ضخمة. كانت الطنجرة تحوي لبنًا بالبصل يغلي ببطء، كان حساءً مشهورًا يقال إنه يساعد على النوم العميق. فإذا تناولته دافئًا لن تستيقظ، حتى لو حملك أحدهم على ظهره.

أمام عربة الطعام وقف العديد من الناس يحتسون اللبن بالبصل من أكوابهم. يشربه كبار السن الذين بدا عليهم الإرهاق برضا، أما الأطفال فيأخذون رشفةً ثم يرتسم على وجوههم الاشمئزاز. أخذ طفل منهم يسكب اللبن على الأرض عن عمد.

- لا توسخ الأرض.

ظهر أحد كائنات النوكتيلوكا من العدم بين بيني والطفل الصغير وأخذ يلوح بقدمه الأمامية. كان أصغر حجمًا من أسام. بدأ النوكتيلوكا في تنظيف الأرض. ابتعدت بيني فورًا خوفًا من تلطيخ جواربها، ذلك لأنها لم تنتعل حذاءها اليوم حتى تستطيع الركض بسهولة.

لم يكن التجول دون أحذية يعد شيئًا غريبًا. كان العديد من الزبائن النائمين يأتون دون أحذية. لذا كان من الطبيعي أن يعتنوا بنظافة الشوارع، في وقتٍ ما بدأ السكان أيضًا يتجولون بجواربهم عند خروجهم لوقت قصير.

لكن جيلًا بعد جيل، بدأت جنيّات ريبراهون تجارًا وصانعي الأحذية يواجهون أزمة، حيث أصبح الناس يشترون جوارب جديدة أكثر مما يشترون الأحذية الجديدة فانخفضت أرباح متاجر الأحذية التي تديرها الجنيّات.

عندها هرعت جنيَّات ريبراهون للاستثمار في سوق الأحلام ووسعوا نطاق أعمالهم. سمعت بيني من أسام أنهم بعد توسيعهم لنطاق أعمالهم قفزت أرباحهم بنسبة 1000%. كان كلامه قابلًا للتصديق، فبعدما كانت متاجرهم لبيع الأحذية تقع على حدود المدينة، توسعوا ونقلوا لمتجر جديد في هذا المكان الذي يعتبر في منتصف الميدان.

اختلست بيني نظرة إلى نافذة عرض متجر جنيَّات ريبراهون الذي يقع بجانب متجر الأحلام وهي تمر أمامه. كان هناك إعلانٌ كبير معلَّق على نافذة العرض. كان من الصعب رؤية ما داخل المتجر بسبب هذا الإعلان وغيره من ملصقات الإعلان عن المنتجات.

لكلِّ مَن يحتاج أحذية بأجنحة، أحذية تزلج بسرعة الريح، أقدام بطٍّ تمكنك من السباحة بأناقة. تفضل داخل المتجر! على مَن يريد شراء أحلام سباحة أو جري سريع، أو أحلام طيران في السماء، كلها مصنوعة بتقنية جنيَّات ريبراهون الفريدة من نوعها، فليتفضل بزيارة ركننا بالطابق الثالث بمتجر الأحلام المجاور لنا.

- أبي! اشترِ لي حذاءً بأجنحة!
- هذه الأحذية تتعطل بسرعة. لا يوجد أفضل من الأحذية التقليدية ذات النعل المتين دون أي إضافاتٍ أخرى.
- لاااا، سوف أستلقي هنا ولن أتحرك حتى تشتريه لي.

مرت بيني بجانب أب وابنته انهمكا في الشجار ووقفت أمام متجر الأحلام الذي ستبدأ العمل فيه اليوم.

أخرجت بيني حذاءً رسميًّا من حقيبتها وانتعلته، وأخذت تتفحص وجهها في مرآة في حجم كفِّ اليد للتأكد من نظافته. كان شعرها اليوم مهندمًا على غير العادة، أنفها الصغير وعيناها الواسعتان يجعلان مظهرها لا بأس به. شعرت بالقلق لأنها نسيت كيَّ قميصها قبل خروجها على عجل، ولكن لم يكن هناك خيارٌ آخر.

بمجرد أن خطت بيني داخل المتجر وجدت نفسها وسط أفواج الزبائن. كانت موظفة الاستقبال تُعلِن عن شيء ما في الميكروفون. هي نفس الموظفة التي كانت مشغولة بإجراء المكالمات بالأمس.

- إعلان للزبائن الوافدين من الخارج. نظام الدفع الآجل مخصص للزبائن الوافدين من الخارج فقط. إذا تلقيتم الحلم من موظفينا فيمكنكم مغادرة المتجر. الأخوان دوچيكوم! يجب عليكما الدفع قبل المغادرة، تعاليا إلى هنا!».

كان الأخوان الصغيران ذوا النمش يحاولان الخروج من الباب الخلفي سرًّا لكنهما عادا يجران أقدامهما إلى مكتب الاستقبال بعدما انكشف أمرهما.

كانت بيني في حيرة من أمرها؛ أيجب عليها الذهاب لمكتب دالوجوت أم يجب عليها ارتداء المريلة الخاصة بالموظفين أولًا؟ لكنها لم تكن تستطيع الذهاب لأيِّ مكان بسبب الزحام على أيَّة حال، حيث حملتها أفواج الزبائن بينهم حتى امتدت يدٌ لتمسك بثيابها وتجذبها نحو مكتب الاستقبال.

ابتسمت موظفة الاستقبال التي بدت في منتصف العمر وقالت: «أهلًا بكِ، أنتِ الموظفة الجديدة التي ستبدأ العمل اليوم أليس كذلك؟ إذا كنتِ ستعملين هنا يجب عليكِ أن تنتبهي جيدًا خاصةً عندما يعجُّ المتجر بالزبائن مثل اليوم. أنا ويذر، مديرة الطابق الأول. لا تهتمي بالدرجات الوظيفية وناديني بالعمة ويذر. لديَّ ابنة في عمرك وابن صغير. أنا أعمل هنا منذ ثلاثين عامًا. أهذا كافٍ للتعريف بنفسي؟».

كانت ذات وجه مشرق وشخصية سلِسة، لكنها كانت تبدو متعبة للغاية. شعرها الأحمر المجعَّد يتدلَّى فاقدًا الحيوية، وبحَّ صوتها بعض الشيء.

- أهلًا عمة ويذر أنا بيني الموظفة الجديدة، ماذا عليَّ أن أفعل أولًا؟

- لقد أخبرني دالوجوت أن أشرح لكِ كل شيء عندما تصلين. كما تعرفين أن متجرنا يتكون من خمسة طوابق كلٌّ منها يبيع نوعًا مختلفًا من الأحلام. لا تهتمي كثيرًا بالطابق الأول حيث نقوم أنا ودالوجوت وموظفون آخرون ذوو خبرة بالتعامل مع الزبائن. نبيع في الطابق الأول أحلامًا نادرة لذا في العادة لا يعمل الموظفون الجدد هنا. يجب عليكِ إذًا المرور بالطوابق من الثاني وحتى الخامس والتحدث مع مدير كل طابق، بعدما تتعرفين على كل طابق يمكنك اختيار أيِّ طابق تريدين العمل فيه. إذا لم تثيري إعجاب أيٍّ من مديري الطوابق، سوف تضطرين للعودة إلى منزلك». توترت بيني فأخذت ترمش ببطء كالسلحفاة، فلوحت العمة ويذر بيدها قائلة: «أنا أمزح!».

بدا أن العمة ويذر قد شعرت بالحر فخلعت سترتها وألقتها بجانبها. كان قميصها مبللًا بالعرق على الرغم من وجود مكيف للهواء.

- هيا، اذهبي الآن. يجب عليَّ أن أرشد الزبائن، فهم كثيرون جدًّا اليوم.

ابتعدت بيني عن مكتب الاستقبال، لم تعد تستطيع رؤية العمة ويذر بسبب الزبائن الذين تجمهروا حول المكتب. لكنها لا تزال تستطيع سماع صدى صوتها المبحوح.

- ما رأيك في حلم مقابلة صديقٍ قديم؟ هناك واحد فقط متبقٍ بالطابق الثاني! تسألني من هو الصديق الذي سيظهر بالحلم؟ كيف لي أن أعلم؟ على الأرجح سوف يظهر صديقٌ قديم من ذاكرتك.

- لقد بيعت جميع أحلام قضاء إجازة ثلاث ليالٍ أربعة أيام في المالديف بمجرد أن تم إطلاقها.

- هذا حلم محجوز من قِبل زبون آخر، لا يمكنك فكُّ الغلاف.
- منذ قليلٍ أتى العديد من الزبائن في سن المراهقة واشتروا جميع أحلام «امتلاك حواس خمس حادَّة» التي صنعها تشوك دايل.
- أوشكت جميع الأحلام على النفاد في كل الطوابق! أوشكت الأحلام على النفاد.

تركت بيني العمة وصوتها المسكين خلفها واتجهت نحو المصعد. لكن بالفعل كان الزبائن يصطفون لركوب المصعد. سوف تضطر إلى الانتظار وقتًا طويلًا لركوب المصعد لذا قررت أن تصعد باستخدام السلم الذي يقع بجانب مكتب دالوجوت. فكرت أن تمر بمكتبه لتلقي التحية، ولكنها رأت ورقة معلقة على الباب مكتوبًا عليها أنه ليس موجودًا بالمكتب لفترة قصيرة بخط اليد، فقررت أن تفعل ذلك فيما بعد. يبدو أن ماكينة الطباعة ما زالت مُعطلة.

كانت درجات السلم الخشبية كبيرة للغاية فشعرت بألمٍ في فخذيها لمجرد صعودها للدور الثاني. فكرت أنها لن تحتاج إلى ممارسة الرياضة إذا استخدمت السلم باستمرار في العمل.

من النظرة الأولى بدا الطابق الثاني نظيفًا يخلو من أيِّ ذرة غبار. أثاثٌ خشبي مُرتب، مصابيح إضاءة معلقة على أبعاد متساوية. حتى خزانات العرض بدت كأنهم قاسوا المسافات بينها بمسطرة.

يبدو أن معظم الأحلام قد بيعت بالفعل فمُعظم الخزانات كانت خالية. رُتبت الأحلام المتبقية بزاوية معينة ورُبطت شرائط تزيين الصناديق بحيث تكون جهتي الشريط بالطول نفسه. كان الموظفون يرتدون مرايلهم ويترددون بين الخزانات بينما يستعرض الزبائن المنتجات. كلما وضع زبونٌ أحد المنتجات بشكلٍ عشوائي ارتعد الموظفون كأنهم يخشون شيئًا ما.

في حين تخصص الطابق الأول في بيع الأحلام غالية السعر، والإصدارات المحدودة والأحلام التي تستوجب الحجز، يبيع الطابق الثاني الأحلام الشائعة.

فكان هناك «ركن الحياة اليومية العادية» الذي يبيع الأحلام العادية كحلم الذهاب في رحلة أو مقابلة صديق، أو حلم تناول شيءٍ لذيذ.

أمام السلم الذي وقفت عليه بيني، كانت هناك خزانةٌ ذات لافتة كُتب عليها «ركن الذكريات». داخل الخزانة يوجد صندوق مغلف بجلد فاخر مكتوب عليه «لا يمكن الإرجاع أو الاستبدال بعد فتح المنتج». لم يتبقَّ في الخزانة سوى عدد قليل فقط من الأحلام.

نادى أحد الزبائن الذين كانوا يستعرضون المنتجات أحدَ الموظفين وسأله: «ما هذا الحلم؟».

قال الموظف بينما يحدِّق إلى الفراغ ويرتسم على وجهه تعبيرٌ حالم: «إنه حلم ذكريات الطفولة. ترى فيه إحدى ذكريات الطفولة التي تحبها. يختلف محتوى الحلم حسب الشخص. بالنسبة لي حلمتُ أنني أنام على ركبة أمي بينما تُنظِّف أذني. كنت أشم رائحة أمي وأنا أستسلم للنعاس في الحلم. كان حلمًا عظيمًا».

- أعطِني هذا إذًا. أيمكنني شراء أكثر من واحد؟
- بالطبع. العديد من الزبائن يأخذون اثنين أو ثلاثة في اليوم.

تجولت بيني في الطابق وهي تمشي بهدوءٍ على أطراف أصابعها. كان هناك رجلٌ في منتصف العمر بدا أنه مدير هذا الطابق. كان يتبادل أطراف الحديث مع زبون في أحد الأركان التي زُينت كغرفة نوم عصرية. اقتربت بيني بحذر حتى لا تقاطع حديثهما.

لم يكن من الصعب التعرف على مدير الطابق. فعلى عكس جميع الموظفين الذين كانوا يرتدون مريلة ويعلقون دبوسًا فضيًّا يحمل الرقم 2، كان رجل واحد فقط يرتدي سترة فاخرة ويعلق الدبوس على صدره. كان يعطي انطباعًا بالمهارة والحَزم.

سأله الزبون الشاب بحيرة: «لماذا لا تدعني أشتريه؟».

- يبدو أن عقلك مشوش حاليًا ما رأيك أن تشتري الحلم فيما بعد؟ يقال إن ذلك قد يؤثر على درجة وضوح الحلم. في تلك الحالات من الأفضل أن تنام. مع كل احترامي، ولكن من واقع تجربتي فإنه في حالتك سوف تتداخل أفكارك المشوشة مع الحلم بنسبة 99%. سوف يتحول لحلمٍ آخر تمامًا. يبيعون في الحارة المجاورة لنا لبنًا بالبصل لذيذٌ للغاية. إنه يساعد على النوم. أتمنى أن تشرب كوبًا منه وتخلد إلى النوم.

توجه الزبون ناحية المصعد وهو يتمتم بانزعاج. التقط مدير الطابق صندوق الحلم ومسحه بمنديل ثم وضعه بزاويةٍ معينة داخل خزانة العرض.

نادته بيني بحذر: «عذرًا... هل أنت مدير الطابق الثاني؟».

كان بنطاله مطويًا، وحذاؤه لا تشوبه ذرة غبار، وشاربه محلوق بدقة، وقد مشط شعره للخلف وثبته بمثبت الشعر على الرغم من قصره وعدم احتياجه إلى التصفيف. كل تلك الأشياء جعلته يبدو كشخص يصعُب التقرب منه.

- هذا صحيح. أنا مدير الطابق الثاني «بيجو مايوس»، هل أنتِ الموظفة الجديدة؟

- نعم، اسمي بيني. كيف عرفت ذلك؟

تساءلت بيني هل كُتِب على وجهها «مبتدئة» فغطت وجنتيها بيديها.

- في العادة لا يوجه لي الزبائن الكلام أولًا. دائمًا ما يتحدثون مع الموظفين الآخرين. يقولون إنني أبدو كشخصٍ يصعب الاقتراب منه، لكن لا يهمني ذلك. على أيَّة حال، أنتِ لست زبونة ولستِ موظفًا أعرفه لذا فكرت أنكِ على الأرجح الموظفة الجديدة.

عقد المدير ذراعيه أمام صدره ونظر إليها بصرامة.

- أتيتِ لتأخذي جولة في الطوابق، أليس كذلك؟ أعتقد أن مالك المتجر قد أخبرني بذلك من قبل.

- هذا صحيح.

- ممتاز، هل هناك شيء تودين معرفته عن طابقي؟

كان أكثر شيء تود بيني معرفته هو كيفية ربط الشرائط بحيث تتساوى أطرافها في الطول، ولكنها أعرضت عن ذلك وسألت عن ثاني أكثر شيء تود معرفته.

- لماذا لم تبِع الحلم للزبون منذ قليل؟

- سؤال جيد.

فك مايوس ذراعيه وتلمَّس خزانة العرض.

- جميع الأحلام الموجودة في هذا الطابق هي أحلام عالية الجودة تحققتُ منها بنفسي. إذا قمت ببيعها لأيِّ زبون، فقد أسمع بعضهم يتذمرون قائلين «يا له من حلمٍ سيئ» وأنا أكره سماع ذلك. يجب عليكِ أن تتذكري هذا جيدًا. إذا بِعتِ الحلم للشخص الخاطئ، فلن تتلقِّي ثمنه».

سمعت بيني أنه يتم تحصيل ثمن الأحلام من الزبائن الوافدين من الخارج بنظام الدفع الآجل، لكنها لم تكن تعلم تفاصيل الأمر، لذا أومأت برأسها متظاهرة بأنها تفهم ما يقال.

- مؤخرًا كل ما على الموظفين الجُدد فعله هو مجرد تقديم سيرة ذاتية ثم الخضوع لمقابلة بسيطة مع دالوجوت ثم يتم توظيفهم، أليس كذلك؟

تمتم مايوس بسخرية كأنه يحدث نفسه: نعم، *أنا أيضًا فعلتُ ذلك.*

- يا للعبث. أنا أخطط لإجراء مقابلة أخرى عند اختيار موظفي الطابق الثاني. فالأحلام تتميز بأنها غامضة ولا تبقى على حال. إنها منتجات تتَّسِم بالمرونة والخطورة في الوقت نفسه، لا يمكن أن يتعامل معها إلا شخص على قدرٍ مناسب من المعرفة. على أيَّة حال. لقد تخصصت في الجامعة في «علم إخراج الأحلام» و «علم الأحلام الدماغي». نشرتُ أيضًا بعض الأبحاث في المجلات العلمية. ساعدتني تلك المعرفة كثيرًا في العمل. لقد أصبحت ويذر مديرة الطابق الأول لأنها عملت مع

دالوجوت سنواتٍ طويلة. أما أنا فأصبحتُ مديرًا بفضل قدراتي فقط. هل تعتقدين أنني وصلتُ إلى هذا فقط لأن حظي كان جيدًا؟

- بالطبع لا، أنت شخص عظيم.

لم تكن رغبة بيني في العمل في الطابق الثاني كبيرة لدرجة تجعلها تخضع لاختيارات مايوس. ويبدو أن مايوس لاحظ ذلك فتراجع خطوة للخلف وصرخ نحو الموظفين.

- هيا، انقلوا الأحلام المتبقية في خزانة الصف الثالث إلى الصف الأول، تحركوا بسرعة.

- نعم!

تحرك موظفو الطابق الثاني في نظامٍ بناءً على تعليمات بيجو مايوس. كانت مرايلهم الكتانية مفرودة كأنها كُويت للتو. حاولت بيني شد طرف قميصها المكرمش لتفرده بعض الشيء بلا جدوى ثم أكملت طريقها للدور الثالث.

كانت أجواء الطابق الثالث أكثر استرخاءً من الطابق الثاني. تتناغم ألوان إعلانات المنتجات الملصقة فوق بعضها بعضًا لتبدو كلوحة عصرية، وتنساب الأغاني الرائجة من مكبرات الصوت.

بدا الحماس على كلٍّ من الموظفين الذين انهمكوا في شرح الأحلام والزبائن الذين أتوا لشرائها. كان أحد الموظفين يمسك بصندوق أحلام تتدلى منه حلية وردية اللون تتخذ شكل قلب ويحاول جاهدًا إقناع أحد الزبائن بشرائه.

- لقد نفدت «سلسلة الحلم العجيب» لتشوك دايل. ما رأيك في حلم كيث جرو بدلًا منه؟ إذا كنت سعيد الحظ يمكنك أن تحلم بقضاء موعدٍ غرامي مع الشخص الذي تحبه في مكانٍ رائع.

عندما أظهر الزبون اهتمامًا بكلامه أكمل الموظف متمتمًا بصوت لا يكاد يُسمع: «بالطبع هناك احتمال أن يظهر شخصٌ عشوائي حسب حالتك الصحية».

كان موظفو الطابق الثالث متحررين للغاية، حيث زيَّن كلٌّ منهم مريلته حسب ذوقه. فهناك من لصق عليها قطعًا من الدانتيل لتبدو كملابس الأميرات، ومنهم من زيَّنها بشاراتٍ مطبوع عليها صور صانعي الأحلام المفضلين لديهم. أما الموظف الذي انشغل بتغيير المصابيح الصغيرة في خزانة العرض، فقد خاط في مريلته جيبًا كبيرًا وملأه بألواح الشوكولاتة.

حاولت بيني البحث بعينيها عن مدير هذا الطابق، ولكن لم يلفت نظرها أي شخص يرتدي زيًّا مختلفًا أو يبدو أكثر خبرة. اقتربت بيني من موظفة ترتدي مريلة عادية من الكتان وتمسح إحدى خزانات العرض.

- عذرًا، من مدير هذا الطابق؟ أنا موظفة جديدة وأتيت في جولة تفقدية.
- يا إلهي! الموظفة الجديدة؟ أنا مديرة هذا الطابق! اسمي موج بيري، مديرة الطابق الثالث.

كانت المرأة التي عرفت نفسها بـ«موج بيري» ترتدي نفس ملابس الموظفين العاديين. كانت تربط شعرها القصير المُجعد لكن عددًا من الشعيرات القصيرة قد تطايرت في جميع الاتجاهات.

انحنت بيني لتحيتها. بدت موج بيري أصغر من أن تكون مديرة. كانت وجنتاها الحمراوان أكبرَ سببٍ يجعلها تبدو صغيرة السن.

- أُدعى بيني. تلقيت تعليمات من دالوجوت للصعود إلى الطابق الثالث في جولة تفقدية.
- سمعت عن الأمر. أهلًا بكِ في الطابق الثالث.

رحبت موج بيري بها وهي لا تتوقف عن الابتسام.

- هذا المكان يجمع الأحلام المُبتكرة والتفاعلية. لحظة واحدة يا بيني. مرحبًا هل تبحث عن شيءٍ معين؟

توقفت موج بيري في مُنتصف حديثها لتتحدث مع أحد الزبائن الذي كان يحوم بالقرب منهما.

- إذا أخبرتني عن ذوقك في الأحلام سوف أجد لك حلمًا مناسبًا.

كان الزبون يرتدي سروالًا رياضيًّا قصيرًا وقميصًا للجري ذو رقبة مفتوحة حتى صدره، كان يبدو في الصف الثاني الإعدادي تقريبًا. أخذ يفرك ذراعيه كأنه يشعر بالبرد.

- أريد حلمًا أتلقى فيه اهتمام الناس. سيكون من الأفضل لو كان حلمًا أكون فيه مركز العالم. في المرة السابقة حلمت أنني قمتُ بغناء الراب بشكل رائع في مهرجان المدرسة مما جعل المدرسة بأكملها ترغب في الحصول على توقيعي. كنت أشعر أنني رائعٌ للغاية.
- لم يتبقَّ الكثير من الأحلام... أوه، ما رأيك في سلسلة أفلام خيال علمي؟ هناك الكثير من أحلام الأبطال الخارقين مؤخرًا. يمكنك أن تصبح بطلًا بزيٍّ حديدي أحمر اللون أو وحشًا أخضر قويًّا. إن سيلين جلوك يولي اهتمامًا كبيرًا بالتفاصيل مما سيجعلك تندمج في الحلم جيدًا.
- يا للمصادفة! لقد شاهدتُ اليوم فيلمًا لأبطال خارقين! حسنًا، أعطني واحدًا.

ضحكت موج بيري برضا كمن نجحت في مهمتها. حمل الزبون الحلم الذي تلقاه تحت ذراعه وذهب لتفقد المُنتجات الأخرى في الجهة المقابلة.

أخذت بيني تحدِّق إلى الاتجاه الذي اختفى فيه الزبون، ثم تذكرت الإعلان الذي قرأته بينما تعبر من أمام متجر جنيَّات ريبراهون للأحذية.

- سمعت أن أحلام الطيران في السماء لجنيَّات ريبراهون تُباع في الطابق الثالث، هل نفدت جميعها؟

تغيرت تعابير وجه موج بيري المشرقة وتجهمت فجأة وقالت بعبوس: «دائمًا ما ينفد حلم الطيران في السماء. لكن أتعلمين؟ جنيّات الريبراهون تلك، كم هم ماكرون! أنا مثلًا، لم يرُق لي من البداية اقتحام هؤلاء الأقزام صانعي الأحذية لسوق الأحلام. وكما توقعت، فهم أحيانًا ما يدسُّون أحلامًا تشعر فيها بأن قدميك قد أصبحتا ثقيلتين ككتلة معدن ويخلطونها بباقي صناديق الأحلام! ويسمونها مهارات التجارة! يقولون إنهم عليهم فِعل ذلك ليتلقُّوا ثمنًا أكبر مقابل كل حلم. وعندما اعترضتُ على ذلك هددوني قائلين إنهم هم وحدهم من يستطيعون صناعة أحلام الطيران، فإذا لم أُرِد منهم أن يتوقفوا عن إرسال الأحلام فعليَّ ألا أتدخل في الأمر. يا للوقاحة! لا يمكنني استيعاب الأمر!».

شعرت بيني بالندم أنها لم تدرس أيَّ شيء عن ثمن الأحلام قبل قدومها. لماذا يمكن رفع ثمن الحلم إذا بِعتُ حلمَ ثقلِ القدمين؟ لم تفهم بيني أي شيء من كلامها. سبق لها أن رأت كتبًا مثل «علم اقتصاد الأحلام آجلة الدفع» و«كيف اشتريت بيتًا من بيع الأحلام» ولكنها لم تجرؤ يومًا على قراءتها، فقد كانت فاشلة في الحساب والتعامل مع النقود. أرادت أن تسأل موج بيري، ولكنها كانت خائفة من أن تبدو حمقاء فلا يوظفونها في أيِّ طابق، لذا قررت أن تصبر.

- إن السيد دالوجوت ضعيف الشخصية. في رأيي يجب علينا أن نفسخ العقد مع جنيّات ريبراهون!

ازدادت موج بيري مديرة الطابق الثالث انزعاجًا كلما طال حديثها. وازداد تذمرها حدةً شيئًا فشيئًا. كان لعابها يتطاير وهي تتحدث بانفعال بينما أخذت شعيراتها عند منبت رأسها تهتز كالزنبرك. أصبحت شعراتها التي تطايرت في كل مكان أكثر من الشعرات التي لا تزال مربوطة.

بدأت بيني تسأم من شكوى موج بيري، فأخذت تترقب فرصةً للهروب من المحادثة والصعود إلى الطابق الرابع. لحسن الحظ أمسكت موج بيري

بموظفٍ مارٍّ وبدأت في النميمة على جنيّات ريبراهون مما سمح لبيني أن تغادر الطابق الثالث بسلاسة.

كانت بيني في قرارة نفسها تتطلع إلى الطابق الرابع. حيث كان مخصصًا لبيع أحلام قيلولة الظهر. لذا كان يشتهر بأن معظم زبائنه من الحيوانات ذات النوم الخفيف أو الأطفال الذين ينامون طوال اليوم. كان هذا كافيًا ليجعلها تتطلع إلى العمل محاطة بزبائن لطفاء.

خطت بيني إلى الطابق الرابع وقلبها يرفرف من الحماس. وكما توقعت رأت بعض الزبائن اللطفاء، لكن كان هناك أيضًا العديد من البالغين والحيوانات التي بدت مفترسة. كانت أجواء المكان أبعد ما يمكن عن الأجواء اللطيفة العفوية التي تخيلتها بيني. كان السقف منخفضًا مقارنة بباقي الطوابق. كما كان هناك العديد من خزانات العرض القصيرة، بعضها لا يتعدى طولها كاحل القدم، لذا بدا المكان كأنه سوقٌ شعبية كبيرة تُباع فيها الأشياء على الحصير.

وقفت بيني ناحية الحائط لتتجنب حيوان الكسلان الذي تمدد على الأرض بعرض الممر والطفل الذي وقف بجانبه وأخذ يكزه في جانبه ثم ينفجر بالضحك. بجانب قدميها كانت هناك منصة لعرض المنتجات ذات لافتة كتب عليها «حلم اللعب مع المالك». وبالقرب منها كان هناك كلبٌ كبير السن -قد وقع الكثير من فروه- أخذ يختار الأحلام بعناية وهو يشمشم. تراجعت بيني للجانب قليلًا لئلا تعيق الزبائن.

في تلك اللحظة نقر أحدهم على ظهرها. تفاجأت بيني ونظرت خلفها لتجد رجلًا ذا شعر طويل منسدل يرتدي بذلة من قطعة واحدة يحدق إليها.

قال الرجل بنبرة ماكرة: «أهلًا! أأنتِ الموظفة الجديدة؟ كان يجب عليك البحث عني فور صعودك إلى هنا، أليس كذلك؟».

- آه... مرحبًا، أنا بيني، انشغلت بتفقد المكان. أنت مدير الطابق الرابع، أليس كذلك؟

- بالطبع. أنا سبيدو، مدير هذا الطابق! فمن سيقدر على تحمل مسؤولية هذا الطابق غيري؟

كان سبيدو مدير الطابق الرابع يتحدث بسرعة كبيرة.

- نحن هنا مشغولون للغاية. فنحن نبيع كمياتٍ كبيرة من الأحلام.

- هل تعرفين ما هو أهم شيء في هذا الطابق؟

يبدو أن سبيدو قرر أن يدير المحادثة بأكملها وحده عندما وجد بيني تقف في صمتٍ حائرة.

لاحظت بيني هذا الأمر فحاولت من باب الأدب أن تبدو كأنها تشعر بالفضول لمعرفة إجابة السؤال الذي طرحه.

مرر سبيدو يده اليسرى على شعره ورفع ذقنه بغرور. كان هناك عدد من الشعيرات قد نمت في ذقنه لا تتعدى العشرة.

ركزت بيني نظرها على الدبوس المُعلق على صدره لتتجنب رؤية تعبير وجهه. كان فضيًّا لامعًا محفورًا عليه رقم 4.

- لا تعرفين بالطبع؟ أصغي إليَّ إذًا. قد تحدث مشكلة إذا دخل الزبائن في نوم عميق وهم يحلمون أحلامًا مخصصة للقيلولة. إذا نام الأطفال كثيرًا سيبكون، وإذا نامت الحيوانات ملء جفونها فقد يتعرضون للهجوم من أعدائهم. إذا لم تكوني واثقة من مصير الحلم فلا تبيعيه. فعلى أيّة حال يتحمل باقي الطوابق مسؤولية الأرباح.

انهمك مدير الطابق الرابع في حديثه المُتغطرس بلا راحة. يبدو أنه كان يتوق للتفاخُر أمام أحدهم منذ زمن.

- هل هناك أيُّ شيء تريدين سؤالي عنه؟

- همم.. هل...؟

أرادت بيني أن تختلق أيَّ سؤال، لكن سبيدو لم ينتظر ولو لخمس ثوان:

- دائمًا ما يريد الناس معرفة سبب ارتدائي لبذلة من قطعة واحدة! كنتِ تريدين السؤال عن هذا، أليس كذلك؟

بدا على وجه بيني رغمًا عنها أنها لم تكن تنوي طرح هذا السؤال، لكن لحسن حظها لم يلحظ سبيدو هذا.

- ارتداء القميص والبنطال على حِدة يستغرق الكثير من الوقت. أُفضِّل أن أنام دقيقة أكثر بدلًا من إضاعة الوقت في هذا. آه، بالطبع تريدين معرفة إذا ما كان من الصعب الذهاب إلى دورة المياه في هذه الملابس؟ إنهم بارعون في تصميم الملابس مؤخرًا، فهنا مثلًا...

- شكرًا حضرة المدير، لقد فهمتُ بشكلٍ كافٍ.

- فعلًا؟ هل يمكنكِ أن تغادري الآن؟ فهذا موعد توافد الزبائن الذين يأخذون قيلولة من إسبانيا.

أنهى سبيدو حديثه بسرعة وغادر على عجل. ثم ذهب ليتشبث بأحد الزبائن.

- لديكَ ذوق رفيع. لقد تبقَّت قطعتان فقط من حلم «التعافي من الإرهاق». لا يوجد أفضل منه للقيلولة. ما رأيك؟ هل تريد واحدًا؟ أم اثنين؟

تفاجأ الزبون وأرجع الحلم إلى مكانه وغادر. كلما اقترب سبيدو من زبون وبدأ في الحديث معه شعر الزبون بالضيق وغادر، لكن يبدو أن سبيدو لم يهتم بهذا وأكمل تجواله في الطابق الرابع.

عاد سبيدو إلى جانب بيني في لمح البصر وقال هامسًا في أذنها: «بيني! ألم تغادري بعد؟».

تمنت بيني ألا تضطر إلى العمل في الطابق الرابع.

بدأت بيني تشعر بالتشتت شيئًا فشيئًا. بالطبع تبقَّى لديها الطابق الخامس، ولكنه كان المكان الذي تُباع فيه الأحلام المتبقية من الطوابق الأخرى. قررت بيني ألا تضع أملًا في أن يكون الطابق الخامس أفضل حالًا.

فمنذ خطت قدماها في الطابق الخامس وأول ما لفت نظرها هو اللافتات المُعلقة بشكل عشوائي. أزاحت بيني إحدى اللافتات القديمة التي كُتب عليها «خصمٌ كبير على المنتجات التي تنتهي صلاحيتها قريبًا» لتعبر إلى الداخل.

كان الطابق الخامس مزدحمًا بالموظفين والزبائن أكثر من أيِّ طابق آخر. وُضعت صناديق الأحلام مبعثرة على منصة العرض الرئيسية، وفوقها تكوَّمت الإعلانات.

خصم 80%.
جميع الأحلام هنا باللونين الأبيض والأسود.
لشراء نفس الأحلام بالألوان يُرجى سؤال موظفي الأدوار الأخرى.

وُضِعت صناديق الأحلام تحت الإعلانات يحمل كلٌّ منها بطاقة تعريف مثل «حلم أكل سرطان بحر بأكمله داخل أحد المنتجعات الخاصة» أو «غروب الشمس على شاطئ إحدى الجزر في الجنوب».

تخيلت بيني منظر سرطان البحر أسود اللون والبحر الرمادي الباهت داخل شاشة بالأبيض والأسود فهزت رأسها وفكرت كم تنطبق مقولة «ما ارتفع ثمنه غلا قدره» على هذا الموقف.

- زبائننا الأعزاء، البحث عن الأحلام هنا مثل التنقيب عن الكنوز! توجد أحلام يتخطى سعرها الأصلي 50 جودن وأحلام من صنع أساطير صناعة الأحلام فابحثوا عنها، هناك أحلام أيضًا من الصعب الحصول عليها إلا بعد حجزها عدة أشهر مقدمًا! ابحثوا بعناية.

أخذت بيني تراقب الشخص الذي اعتلى منصة العرض في الجهة المقابلة ووقف يبيع الأحلام وهو يتراقص بحماس مبالغ فيه. كتفاه منحنيتان

وحركاته السريعة لا تتناسب مع جسده السمين بعض الشيء. شكله من الخلف كان مألوفًا.

- مو تيه إيل!

- بيني! أأنتِ الموظفة الجديدة الذين قالوا إنها ستأتي اليوم؟

تعرف عليها مو تيه إيل فور أن نادته.

كان مو تيه إيل زميل بيني في المدرسة الثانوية، كان أكثر زملائها صخبًا وحبًّا لأن يكون محط الأنظار. كان مشهورًا بتقليده الدقيق للمدرسين.

- هل أنت مدير الطابق الخامس؟

- بالطبع لا! أتمنى ذلك طبعًا، ولكن لا يوجد مدير للطابق الخامس. كل موظف يبيع الأحلام بحرية بطريقته الخاصة، لذا فهو أكثر مكان يناسبني.

- هيًّا! إذا اشتريت واحدًا ستأخذ واحدًا مجانًا! سأدفع ثمنه من راتبي.

سألته بيني بنبرة قلقة: «ألن يتسبب هذا في مشكلة لك؟».

- إنها كذبة. نحن نبيع الاثنين بثمن واحد في الأصل.

خلع مو تيه إيل سترته المخملية ثم علقها على كتفيه كالعباءة وأكمل قفزًا. كانت بيئة العمل في الطابق الخامس مناسبة لشخصيته كما قال. تخيلت بيني نفسها وهي تصعد على منصة البيع وتتراقص بينما تبيع الأحلام مما أصابها بالإحباط.

- يا بيني انظري إلى هذا! أتانا اليوم حلمًا جيدًا.

كان مو تيه إيل قد نزل من منصة البيع ووقف بجانب بيني. كان يحمل حلمًا مغلفًا بغلاف أزرق شفاف.

- هل هذا...؟

- هذا صحيح، واحد من أعمال واوا سليب لاند! «رحلة في التبت لمدَّة سبعة أيام» المناظر الطبيعية فيه تسرق العقل. بالطبع انتهت صلاحيته فسيكون هناك بعض المشاهد بالأبيض والأسود. لكنهم يقولون إن المناظر الطبيعية التي تصنعها سليب لاند أجمل من الحقيقية، بالطبع تعرفين ذلك.

- لماذا لم تُبَع تلك الأحلام وانتهى بها الأمر في الطابق الخامس؟

تساءلت بيني باستغراب، ذلك لأن واوا سليب لاند كانت واحدة من خمسة يدعون بأساطير صناعة الأحلام. كان من الصعب الحصول على أحلامها، حتى لو انتظرت شهورًا.

هناك زبون قد حجزه مسبقًا ولم يأتِ إلى النوم في الوقت المحدد. قال إن لديه اختبارات أو شيئًا من هذا القبيل فسهر طوال الليل. الأحلام التي يتم حجزها ثم لا يأتي الزبون لأخذها تأتي إلى الطابق الخامس. سوف أخبئه هنا وآخذه في الخفاء عند مغادرتي من العمل.

ابتسم مو تيه إيل ابتسامته اللعوب المعتادة ثم وضع الصندوق تحت المنصة ليخفيه.

- بالطبع لنُبقِ هذا سرًّا عن دالوجوت، فأنا أريد العمل هنا لفترة طويلة.

ابتسم مو تيه إيل ابتسامة عريضة كاشفًا عن أسنانه الناتئة.

- فكري جديًا في العمل في الطابق الخامس يا بيني. فهنا ستحصلين على عمولة عن كل حلم تبيعينه.

ما إن ظهر الاهتمام على وجه بيني حتى أضاف مو تي إيل: «لكن في المقابل فإن الراتب الأساسي منخفض للغاية».

كان على بيني الآن أن تنزل إلى الطابق الأول لتقابل دالوجوت مرة أخرى. فضلت بيني ألا تستخدم المصعد وأن تنزل باستخدام السلم ببطء.

بدأت تفكر في الطابق الذي تريد العمل فيه. لتعمل في الطابق الخامس كان عليها أن تجد طريقة لتغير من شخصيتها، أن تتدرب على الغناء في منتصف الشارع مثلًا، أو ربما تولد من جديد، وإذا عملت في الطابق الرابع سيكون الاعتياد على سبيدو هو أصعب مهامها. أما الطابق الثالث فقد بدا العمل فيه ممتعًا إلى حد ما لكن سيكون عليها انتقاء الموضوعات التي تتحدث فيها مع موج بيري بعناية. أما الطابق الثاني، فمن أجل العمل مع بيجو مايوس، يجب عليها أن تنجح في اختباره، وقبل ذلك يجب عليها كيُّ قميصها. سمعت بيني صوت بيجو مايوس وهي تعبر بالطابق الثاني.

- نفدت جميع الأحلام في الطابق الثاني! نفدت جميع الأحلام.

وصلت بيني أمام مكتب دالوجوت قبل أن تقرر الطابق الذي تريد العمل فيه. أُزيلت الورقة التي كُتِب عليها أنه ليس موجودًا. عندما حاولت بيني الطرق على الباب اكتشفت أن الباب كان مفتوحًا بالفعل. استرقت بيني النظر إلى الداخل لتجد أن دالوجوت لم يكن بمفرده. كان برفقة العمة ويذر التي تعمل في مكتب الاستقبال بالطابق الأول.

اشتكت العمة ويذر قائلة: «دالوجوت، لقد كبرنا في السن وتعبنا. لم نعد مثل السابق منذ ثلاثين عامًا نستعيد طاقتنا بعد تناول وجبة رخيصة. يلزمنا تعيين موظفين جُدد في مكتب الاستقبال في الطابق الأول. أعمال مكتب الاستقبال تفوق طاقتنا نحن الاثنين. كما رأيت اليوم، كنت تقوم بمراجعة الحجوزات في المكتب وجرد المخازن فتركت مكانك لفترة طويلة. وبسبب ذلك كدتُ أنهار من كثرة العمل».

- أنا آسف يا ويذر. لكنك تعلمين أهمية عمل مكتب الاستقبال. لا يمكنني إجبار أيِّ شخص على العمل هناك. تحمَّلي قليلًا وسوف أنشر إعلانًا للموظفين ليتمكنوا من التقدم للعمل في مكتب الاستقبال. أشك أن أيًا

منهم سوف يتقدم بسبب صعوبة العمل، ولكن ما رأيكِ في العمل مع بيجو مايوس من الطابق الثاني؟

ردت العمة ويذر: «بيجو مايوس؟»

قال دالوجوت بلطف: «لديه ما يكفي من الخبرة والمعرفة، سيكون نعم العون لكِ».

- لن يرضى بالعمل تحتي. إلا إذا جعلته مدير الطابق الأول... ما هذا؟ من بالخارج؟

شعرت العمة ويذر بأن هناك أحدًا خلفها فاستدارت لتنظر ناحية الباب. دخلت بيني محاولة الحفاظ على هدوئها قدر الإمكان.

- لم أكن أنوي مقاطعة حديثكما، أتيت فقط لأخبرك أني انتهيت من الجولة التفقدية في جميع الطوابق.

- حقًّا؟ لا بأس، تعالي واجلسي معنا.

قابلها دالوجوت بالترحاب. كان يرتدي كنزة ناعمة ويتكئ على كرسيه.

سألها دالوجوت: «إذًا في أيِّ طابق تريدين العمل؟».

أبدت العمة ويذر اهتمامًا باختيار بيني.

- لو كنت مكانكِ لذهبتُ إلى الطابق الثاني. أعرف أن بيجو مايوس صارمٌ للغاية، ولكنكِ ستتعلمين الكثير بالعمل معه.

إلا أن بيني علمت للتو وقبل أيِّ شخص أن هناك وظيفة متاحة تروق لها. لا يمكنها أن تُضيع تلك الفرصة. انتظرت للحظة ثم ردت بوضوح: «أريد العمل في مكتب الاستقبال بالطابق الأول».

استقبل دالوجوت والعمة ويذر اقتراح بيني بترحاب يفوق توقعاتها. شعرت العمة ويذر بالرضا لأنه سيكون لديها موظف جديد من الغد. أما دالوجوت فقد سعد كثيرًا بالأمر. فقد كان قلقًا منذ قليل أن ينتهي حديث ويذر

بأن تخبره أنها ستترك العمل أو أنها قررت العمل في متجرٍ آخر، ولكن بفضل بيني فقد انتهى الحديث بسلام.

انتقل الثلاثة إلى مكتب الاستقبال ليشرحا العمل لبيني بشكلٍ مختصر.

في الجهة الداخلية لمكتب الاستقبال، عُلقت عدَّة شاشات توضح أحوال كل طابق. كان هناك أيضًا ميكروفون يمكن من خلاله القيام بالإعلانات. في أحد جوانب المكتب تكوَّمت بعض الكتيبات لتوزيعها على الزبائن.

- من هنا تستطيعين التأكد من عدد الأحلام المتبقية، والمبيعات، وأيضًا تستطيعين متابعة سير عملية سداد ثمن الأحلام على ما يرام.

أرتها العمة ويذر عدَّة نوافذ على الشاشة أصابتها بالدوار.

- إنه نظام دريم باي النسخة 4.5! إنه برنامج يجمع كل الأدوات التي نحتاجها لإدارة المتجر. خاصة نظام حساب ثمن الأحلام، إنه يعمل بشكل رائع. إنه غالٍ قليلًا، ولكن يستحق ثمنه. إذا أردتِ استخدام نظام الحساب الأوتوماتيكي المرتبط بالخزنة فعليكِ...، عندما ينخفض عدد المنتجات المتبقية عن 13% من العدد الكلي يظهر إشعار...

بدأت بيني تفقد تركيزها. استطاعت بالكاد فهم بضع كلمات فقط مما قالته العمة ويذر، لكنها تفاجأت أن التعبير الذي يعلو وجه دالوجوت الذي وقف إلى جانبهما بهدوء كان مماثلًا للتعبير الذي يعلو وجهها.

- أنتِ مثل دالوجوت، تكرهين التحدث عن الأجهزة. حسنًا، سوف أعرفكِ اليوم بـ «ميزان الجفون» فقط.

ابتهج دالوجوت قائلًا: «أخيرًا أستطيع التحدث».

استدارت العمة ويذر نحو الحائط الذي يحيط بمكتب الاستقبال بشكلٍ دائري. عندما دققت بيني النظر في الحائط شاهق الارتفاع، وجدت أنه في الحقيقة خزانة ضخمة يحمل كل رف منها شيئًا ما. في كل رف كان هناك ميزانٌ صغير يحمل رقمًا، كل منها يملك مؤشرًا يشبه جفن عين الإنسان،

يتحرك للأعلى وللأسفل ليوضح الحالة على المقياس. كان مؤشر الميزان رقم 902 الذي وُضع على مرمى بصرها يتحرك بين «الاستيقاظ» و«النعاس».

تفاخر دالوجوت قائلًا: «هذا يسمى بميزان الجفون للزبائن المعتادين. إنه جهاز صنع خصوصًا لمعرفة موعد قدوم الزبائن مقدمًا. لقد وضعنا فيه سر مهنتنا وخبرتنا الطويلة».

قالت العمة ويذر بتأثر بينما تنظر إلى ميزان الجفون للزبون رقم 999: «دائمًا ما يشعر هذا الزبون بالنعاس في هذا الوقت. لكن مع كبر سنه أصابه الأرق. لم يعد يأتي لشراء الأحلام مؤخرًا. يحمل هذا المكان الكثير من ذكرياتي. عندما يحجز أحد الزبائن حلمًا ثم لا يأتي في موعده، أحيانًا ما أمسح بإصبعي برفق على جفنهم، لكن لا يمكنك فعل ذلك في كل الأوقات، يمكنكِ أن تتسببي في مشكلة إذا غفل الزبون في أثناء قيامه بعمل مهم».

لم يتسنَّ لبيني الرد لانشغالها في تدوين ما تقوله ويذر.

- هل يمكنكِ أن تكرري ما قولتِه للتو؟ ماذا أفعل للجفون بإصبعي؟

- لا تقلقي، دائمًا ما سأكون معكِ على أيَّة حال».

في أثناء انشغالهم في الحديث عن الموازين، وصل إشعارٌ إلى مكتب الاستقبال. كان إشعارًا من نظام دريم باي الذي كانت العمة ويذر تمدحه منذ قليل.

ترررن.

لم تتبقَّ أيَّة منتجات في جميع الطوابق، نفدت الكمية كلها.

«ما دام نفدت الكمية كلها، فلا حاجة للبقاء في العمل أكثر من ذلك».

بعد أن تفقد دالوجوت الإشعار، أعلن للموظفين عبر الميكروفون أنه قد حان موعد إنهاء العمل. بمجرد أن أنهى الإعلان دوَّت أصوات التهليل في أرجاء المتجر.

- إنها أول مرة نغادر العمل مبكرًا منذ زمن. يجب أن أغادر بسرعة، لديَّ اجتماع عائلي، فقد استطاع آخر العنقود الوقوف على يديه! لذا سنقيم احتفالًا بهذه المناسبة.

بدأ الموظفون يغادرون العمل واحدًا تلو الآخر بما فيهم العمة ويذر. لم يتبقَّ في المتجر سوى دالوجوت وبيني. أرادت بيني أن تغادر أيضًا، ولكنها شعرت بالحرج من فعل ذلك ودالوجوت لم يغادر بعد.

في أثناء ذلك وقف أربعة أو خمسة من الزبائن يرتدون ثياب نوم خارج المتجر ينظرون عبر الباب.

مدت بيني رأسها خارج الباب وقالت: «نحن آسفون، ولكن نفدت جميع المنتجات اليوم. سنفتح المتجر فور وصول منتجات جديدة غدًا».

حاولت بيني جاهدة أن تبدو آسفة، فهز الزبائن أكتافهم واستداروا مغادرين.

كان دالوجوت يكتب شيئًا ما على ورقةٍ من الأوراق الموجودة في مكتب الاستقبال.

- ماذا تكتب؟

- سأكتب على الأقل إعلانًا عن نفاد المنتجات لنعلقه على الباب.

وقفت بيني تراقب دالوجوت بهدوء. يبدو أن خطه لم يعجبه حيث رمى بالفعل ثلاث ورقات وأخذ يكتب في الرابعة. كانت بيني لا تزال تشعر بالدهشة أنها ترى دالوجوت بهذا القرب، أو أنها أصبحت تعمل معه.

سألته بيني فجأة: «هل التلميذ الثالث في القصة هو جدك فعلًا؟».

أجاب دالوجوت بلا اهتمام وهو يزيل بعض الوبر عن كنزته: «يقولون هذا، دائمًا ما كانت أمي وأبي وجدي وجدتي يذكرونني بالأمر».

- كم أنت رائع!

حدقت بيني إلى دالوجوت بإعجاب.

كان قد انتهى للتو من كتابة الإعلان الذي سيُعلَّق على باب المتجر.

- حسنًا، لقد انتهيت!

- أعطِني إياه، سوف أعلقه أنا.

ألصقت بيني الإعلان باستخدام قطعتين كبيرتين من الشريط اللاصق لتتأكد من أنه لن يقع. ثم خطت للخلف قليلًا لتتأكد من أنه غير مائل ثم دخلت المتجر مرَّة أخرى.

جميع الأحلام نفدت لليوم!

زبائننا الأعزاء الذين يزورون متجرنا في طريقهم للنوم.

نود إعلامكم بأن جميع الأحلام نفدت لليوم.

لذا نرجو من سيادتكم زيارتنا غدًا. إن متجرنا يعمل يوميًّا على مدار العام.

سنجهز أحلامًا رائعة كل يوم ونكون في انتظار زيارتكم؟

-مالك المتجر

- حان وقت تناول الكعك.

دندن دالوجوت بينما يفتح كيسًا من الكعك كُتِب عليه «كعك تهدئة العقل والجسد». كان نفس الكعك الذي أعطاها إياه في المقابلة.

قال دالوجوت كأنه قد تذكر ذلك للتو: «لكن لماذا لم تغادري بعد؟».

- أنا... في الحقيقة رأيت أنك لم تغادر بعد...

قال دالوجوت بغموض: «يا إلهي. أنا بالفعل غادرت العمل».

- ماذا؟

- لقد جدَّدتُ السندرة في هذا المبنى وأعيش فيها.

- آه...

ترررن.

صدى صوت جرس باب المتجر، ودخل زبون كبير السن.

- مع الأسف، نفدت جميع المنتجات اليوم...

بمجرد أن قالت بيني ذلك خطا دالوجوت أمامها.

- أنا لم آتِ لشراء حلم. هل يمكنني حجز أحد الأحلام؟

- بالطبع، تفضل.

أخفى دالوجوت كيس الكعك خلفه وقابل الزبون بترحاب. وراءه دخل عدد من الزبائن ذكور وإناث من مختلف الأعمار. لكن أعينهم جميعًا كانت منتفخة. لا بد أنهم بكوا بشدة قبل خلودهم للنوم.

همست بيني لدالوجوت بصوت خافت حتى لا يسمع الزبائن: «يبدو أن هناك خطب ما».

- هذا صحيح، أنا أعرفهم جميعًا. لكنهم أتوا في وقت متأخر عن عادتهم.

- يبدو أنهم أتوا بعد أن أخذوا يتقلبون في السرير لفترةٍ غير قادرين على النوم.

- يبدو أن الأمر كذلك.

قادهم دالوجوت نحو غرفة الاستراحة الخاصة بالموظفين على يمين مدخل المتجر. تبعتهم بيني ولم يمنعها دالوجوت.

أصدر الباب المقوس صريرًا عند فتحه ليكشف عن غرفةٍ واسعة، يضيئها مصباح متواضع يصعب وصفه بالثريا. كان هناك بعضٌ من الوسادات القديمة المرقعة وكرسي مريح وأريكة، فضلًا عن منضدة طويلة مصنوعة من شجرةٍ كاملة مقطوعة. كانت الغرفة مجهزة نوعًا ما بثلاجة قديمة وماكينة قهوة وأيضًا سلة وُضِع فيها بعضٌ من الحلوى.

عندما جلس الزبائن، أخذ دالوجوت حفنة من الحلوى الصغيرة ووزعها عليهم.

- إنها حلوى منومة، ذات طعم لذيذ وتأثير جيد. ففي ليلةٍ كهذه، النوم هو أفضل حل.

- أخذ كل منهم قطعة من الحلوى. ثم بدأوا جميعهم فجأة في البكاء.

- يا إلهي، كان عليَّ إعطاؤكم كعك التهدئة أولًا. لا بأس، يمكنكم البكاء. لن يعرف أحد ما يحدث هنا. إذًا، أي حلم تريدون؟

عندما سألهم دالوجوت، أجابته فتاة شابة تجلس بجانب المدخل أولًا: «لقد انفصلت عن حبيبي منذ فترة قصيرة. كنت على ما يرام وتحملت الأمر جيدًا. لكن اليوم فجأة شعرت بألمٍ في رأسي وشعرت أن قلبي يثور غضبًا. لا أشعر بالوحدة، ولكنني حزينة. لم أتقدم خطوة واحدة منذ انفصالي عنه. أريد أن أعرف إذا كان ما أشعر به هو كره تجاهه أم ندم. هل سأعرف ذلك إذا رأيته مرَّة أخرى حتى ولو كان في الحلم؟».

تحدث الزبائن الآخرون بعدها بالترتيب.

- لقد فقدت أختي التي تكبرني بسنوات عديدة عندما كنت صغيرًا. بالأمس أتممت عامي الخامس والعشرين. كان ذلك عمر أختي عندما تُوفِّيت. انفطر قلبي عندما أدركت كم كانت صغيرة وقتها. أريد رؤيتها والتحدث معها، حتى لو في الحلم. أهي على ما يرام؟

- لم يتبقَّ الكثير على موعد المسابقة ولم ترد لي أي أفكار. تخطر الأفكار على بال الجميع بسهولة إلا أنا أشعر بأنني أحمق. لقد تقدمت في العمر وما زلت لا أجيد فعل شيء، ولكنني لا أستطيع التخلي عما أريد فعله.

- أتممتُ السبعين الشهر الماضي. لقد عشت سنواتٍ طويلة. كنت أحزم أمتعتي اليوم فرأيت صورًا التقطُّها في المدرسة وصور زواجي. من وقتها وتأبى ذكريات تلك الأوقات أن تغادر عقلي. عندما خلدتُ إلى سريري شعرت بالوحدة والحزن، كم أن الزمان قاسٍ.

تحدث كلٌّ منهم عن قصته طويلًا. كتب دالوجوت قصصهم في مفكرة كان قد جهزها.

- حسنًا. كتبت جميع طلبات الحجز. سوف أجهز لكم الأحلام التي تحتاجونها.

قام الزبائن من مكانهم بينما يلعقون حلوى التهدئة التي أعطاهم إياها دالوجوت. سألته آخر سيدة قامت من مكانها: «متى سنحلم إذًا بالأحلام التي طلبناها؟».

- لنرَ، هناك أحلامٌ يمكنني تجهيزها على الفور وهناك من سيضطرون للانتظار قليلًا.

- كم علينا الانتظار؟

- لا أستطيع إعطاءكِ إجابة مؤكدة. هناك شيء واحد فقط عليكم فعله للحصول على أحلامكم.

- وما هو؟

- يجب عليكم النوم بعُمق كل ليلة. هذا هو كل ما في الأمر.

غادر الزبائن أخيرًا المتجر.

وقفت بيني تجهز نفسها لمغادرة العمل بجانب دالوجوت الذي أخذ يرتب الملاحظات التي دونها على مكتب الاستقبال.

- هل تقبل دومًا طلبات الحجز بهذه الطريقة؟

- ليس دومًا، أحيانًا فقط. لكنه مُجزٍ أكثر من بيع الأحلام الجاهزة. سوف تعرفين ذلك إذا عملتِ فترة طويلة في إدارة المتجر مثلي. هيًّا، اذهبي الآن.

- حسنًا!

كانت موازين الجفون لا تتوقف عن الحركة.

ناداها دالوجوت وهي على وشك الخروج: «بالمناسبة يا بيني!».

- ماذا؟

- نسيتُ أن أرحب بكِ. أهلًا بِكِ ومباركٌ على عملكِ في متجرنا. أتمنى أن يحظى المكان بإعجابك.

2. الدليل الليلي للعلاقات العاطفية

تطورت بيني في العمل إلى حدٍّ ما على مدار الشهر. أكبر تطور شهدَته كان معرفتها بكل التفاصيل المُتعلقة بموازين الجفون. كانت جفون الزبون المعتاد رقم 898 ثقيلة دائمًا. شكَّت بيني أن الميزان قد تعطل عندما تكرر الأمر كثيرًا.

- عمة ويذر، أظن أن هذا الميزان معطل. لقد راقبته لعدة أيام. لم يأتِ الليل بعد في المنطقة التي يقطن بها هذا الزبون، غير أنه يغلق جفنيه طوال اليوم من الثامنة صباحًا وحتى الخامسة مساءً. انظري! إنه يغلق جفنيه الآن أيضًا.

كانت الجفون على الميزان تُغلق وتُفتح ببطء.

- الميزان سليم. إنه طالب في الثانوية، لا بد أنه يصاب بالنعاس كثيرًا في أثناء دروسه. اتركيه وشأنه، فالنوم غلَّاب، حتى لو كان في أثناء الدرس.

بالإضافة إلى ذلك أصبحت بيني تستطيع تقديم الإرشادات الأساسية للزبائن، كالطابق الذي يوجد به حلم معين، أو موعد قدوم المنتجات الجديدة.

لكنه لا يزال يصعب عليها التعامل مع الأموال أو القيام بالأعمال المتعلقة بثمن الأحلام والذي يعدُّ أحد أهم أعمال مكتب الاستقبال. كان استخدام نظام «دريم باي» هو أصعب ما في الأمر. كان دالوجوت أيضًا يواجه نفس الصعوبة، لذا كانت إدارة تحصيل ثمن الأحلام من نصيب العمة ويذر.

- نحصِّل نصف كمية المشاعر التي تنتاب الزبائن بعد رؤيتهم للحلم كثمن للأحلام. نستطيع تحصيل ثمن أكبر للحلم إذا كان الزبون ذا مشاعر فيَّاضة. لذا لا بد أن نهتم بالزبائن المعتادين، لأن معظمهم فيَّاض المشاعر.

- كيف يمكننا تحصيل المشاعر كالنقود؟

- تكمُن هنا عظمة نظام دريم باي! إنها إحدى تقنيات الـ IoT. أو ما يسمى بـ«إنترنت الأشياء». هذا النظام يصل بين الزبائن والخزنة، عندما تدفع الزبائن ثمن الحلم يدخل إلى الخزنة مباشرة ونستطيع نحن رؤية تلك البيانات باستخدام الحاسوب... بيني؟ هل نمتِ؟ تظاهري على الأقل أنكِ تستمعين.

قالت ويذر بنبرة توسل.

- أنا آسفة، لا أستطيع تخيل الأمر.

- ما باليد حيلة. سأقوم بالأمر بنفسي إذًا لبعض الوقت.

لذا أصبحت العمة ويذر تذهب كل صباح إلى الخزنة فور وصولها إلى العمل وتجمع ثمن الأحلام، ثم تذهب إلى الجهة المقابلة لتُودِعه في المصرف. وفي أثناء ذلك تقف بيني منتبهة في مكتب الاستقبال تحاول ألا تتسبب في أيَّة أخطاء في أثناء غياب ويذر.

وقفت بيني اليوم مشدودة القامة تراقب المتجر وتنتظر عودة العمة ويذر بفارغ الصبر. وبالفعل عادت العمة ويذر بعد لحظات من ذهابها للمخزن.

- هل انتهيتِ بالفعل؟

كانت العمة ويذر منحنية على بطنها تتصبب عرقًا.

- يبدو أن الأومليت الذي تناولته صباحًا كان فاسدًا. سأذهب إلى... الحمـــ.. الحمام. الأمر سيستغرق بعض الوقت. هل يمكنكِ الذهاب إلى المصرف بدلًا مني؟ خذي هذا المفتاح وافتحي به الخزنة الموجودة في المخزن. سوف تجدين زجاجتين ممتلئتين. خذيهما واذهبي بهما إلى إحدى نوافذ المصرف. سوف يقومون هم بالمطلوب. قولي لهم فقط أنكِ أتيتِ من متجر الأحلام. اذهبي بســـ...بسرعة. سيزدحم المصرف إذا تأخرتِ.

أعطتها العمة مفتاحًا صغيرًا ثم ركضت مسرعة نحو الحمام.

لم يكن لديها وقت لتشعر بالارتباك، كتبت في ورقة على استعجال «ذهبت للمصرف لبعض الوقت. (بيني)» وعلقت الورقة في مكانٍ ظاهر. ثم اتجهت بخطواتٍ سريعة نحو المخزن وهي تكرر لنفسها «خزنة، زجاجتين، ممتلئتين، نافذة المصرف، أتيتُ من متجر الأحلام»، حتى لا تنسى.

وقفت بيني أمام الخزنة داخل المخزن المنظم. كانت الخزنة أكبر بكثير مما توقعت مما جعلها تستغرق بعض الوقت لتجد مكان المفتاح. بالكاد وجدته عند الحافة السفلية للخزنة، عندما وضعت المفتاح وأدارته، أصدر القفل صوت طقطقة. جذبت بيني باب الخزنة العملاق الذي يشبه في حجمه باب الردهة، لتكشف عن باطن الخزنة العميق الذي يشبه الكهف.

كانت الخزنة تبدو كمخزن بهارات في أحد بيوت الأغنياء. كان هناك عددٌ لا يُحصى من الزجاجات وُضعت داخل صناديق مخصصة تحوي سوائل مختلفة الألوان. فهناك الأخضر الغامض، والعاجي البراق، والأحمر القاني كلون الدم. شعرت بيني بالقشعريرة تسري في جسدها عند رؤيتها للون السائل الأخير. تردد صوت تساقط قطرات ماء من داخل الخزنة. كانت بيني تعلم أن هذه السوائل هي ثمن الأحلام الذي تم تحصيله من الزبائن، ولكن هذا لم يمنع دهشتها عندما رأتهم على أرض الواقع.

استطاعت بيني بسهولة العثور على الزجاجتين الممتلئتين التي أخبرتها عنهما العمة ويذر. يبدو أن أحدهم أخرجهما من صناديقهما ووضعهما بالأسفل الليلة الماضية. كان الملصق الموضوع على الزجاجتين يقول «رفرفة القلب»، والسائل داخلهما بلون وردي فاتح كلون حلوى غزل البنات. أرادت بيني أن تتفقد الزجاجات الأخرى، ولكنها لم تنسَ تعليمات العمة ويذر التي أخبرتها أن تذهب للمصرف سريعًا.

أخذت بيني الزجاجتين وأغلقت الخزنة.

احتضنت بيني الزجاجتين الممتلئتين بين ذراعيها واتجهت نحو المصرف الذي يقع في الجهة المقابلة من المتجر. كانت الزجاجات ثقيلة وزلقة، مما جعلها تتصبب عرقًا طوال الطريق. كانت متأكدة أن هناك طريقة أسهل لنقل الزجاجات نسيت العمة ويذر أن تخبرها بها.

عندما فتحت بيني باب المصرف قابلها هواء المكيف البارد. لم يكن هناك الكثير من الناس بعد. أخذت بيني رقمًا وشعرت بالفخر بنفسها لإنجازها كل شيء بسلاسة حتى الآن.

- لم أعد بيني المُشتتة بعد الآن، أنا أيضًا يمكنني فعل كل شيء إذا عقدتُ العزم.

جلست بيني على أحد مقاعد الانتظار تحتضن الزجاجتين. أخذ السائل الوردي يهتز داخل الزجاجتين. كان عدد المنتظرين سبعة. ظنَّت بيني أن دورها سيأتي بسرعة، إلا أن الزبائن الواقفين على النوافذ لم يبرحوا أماكنهم كأنهم يقومون بأعمال شديدة التعقيد.

شعرت بيني بالملل فوضعت الزجاجتين بحرص بجانب قدميها والتقطت إحدى المجلات الموضوعة في مكتبة بجانب مقاعد الانتظار. كانت المجلة بعنوان «علم الأحلام الدماغي العدد الخامس». لم يكن عنوانًا مثيرًا. فتحت بيني صفحةً عشوائية وبدأت في قراءتها.

بحث الشهر: دراسة عن ثمن الأحلام والمشاعر

أُختيرت «دراسة عن ثمن الأحلام والمشاعر» للدكتور لينو كبحث هذا الشهر. نُشرت العديد من الأبحاث في هذا المجال، ولكن من النادر أن نجد بحثًا قائمًا على دراسةٍ عميقة مثل بحث دكتور لينو. «المغزى أن الزبائن يعرفون جيدًا أنهم كائنات كثيرة النسيان. هم يدركون ذلك بشكلٍ موضوعي. هم أيضًا يعلمين أن المعلومات التي يتذكرونها، ليست حقيقية وإنما بمعلومات أُعيد إدخالها إلى مخهم. لذلك فهم يعلمون أن هـه التجارب سوف تُنسى في النهاية، ويشعرون باللهفة لأنهم يدركون أن هذه اللحظات قد لا تحدث إلا مرة وحدة فقط. وهذا ما يعطي قوةً خاصة للمشاعر التي يحسُّون بها والثمن الذي يدفعونه مقابل الحلم». كانت هذه إجابة الدكتور لينو عندما سألناه عن المغزى من بحثه الذي يزيد على مئتي صفحة. تعرض البحث للانتقا. في الدوائر العلمية قائلين إنه تقليدٌ لأبحاث سابقة ولكن الجميع يقدرون جهده المضني في دراسة 3000حالة خلال السنوات العشر الماضية (يمكن قراءة البحث بالكامل على الموقع الإلكتروني لـ«علم الأحلام الدماغي»).

شعرت بغي بالدوار عندما فكرت في البحث الذي يزيد على مئتي صفحة، فأغلقت المجلة بلا تردد. كان لا يزال هناك خمسة أشخاص حتى يأتي دورها.

في تلك اللحظة جلس إلى جانبها رجل يرتدي بذلة مُنمقة. حدثها الرجل قائلًا: «يا له من لونٍ يجعل القلب يخفق من مجرد النظر إليه. إنه ذو جودة رائعة. يمكنكِ الحصول على مئتي جودن بسهولة مقابله. من أين أتيتِ؟ إنها أول مرة أراكِ فيها».

- جئتُ من متجر الأحلام في الجهة المقابلة. أنا موظفة جديدة لذا على الأرجح هي أول مرة تراني فيها.

توقعت بيني أن هذا الراجل هو أحد موظفي المصرف.

- ما رقمك؟ تبقي وقت على دورك، أتريدين مشاهدة شيء ممتع؟

كانت بيني على وشك الرفض قائلة إنه يصعب عليها التحرك وهي تحمل الزجاجتين الثقيلتين، لكن الرجل التقط إحدى الزجاجتين قائلًا: «سأساعدك».

قادها الرجل نحو الجهة المقابلة من نوافذ الخدمة. تبعته بيني دون تفكير حاملة الزجاجة المتبقية. وصلا إلى مكان به شاشة عرض ضخمة وأكثر من مئة كرسي موضوعة في صفوف. كان المكان يشبه قاعة الانتظار في محطة القطار.

كان هناك عددٌ من الأشخاص يبدو عليهم التوتر يحدقون إلى شاشة العرض الضخمة التي علقت في السقف فوق رؤوسهم. كانت الشاشة تعرض أسعار المشاعر المختلفة على مدار الساعة كما في سوق البورصة. سجل الـ«الشعور بالإنجاز» و«الثقة بالنفس» أعلى سعر لهما بارتفاع 15%، حيث ظهرا على الشاشة على شكل خط أحمر قاتم في الجهة العليا. أما في الجهة السفلى فانخفضت أسعار «العدمية» و«الفتور» بشكلٍ كبير.

كان هناك عدد من الأشخاص يجلسون في مقاعد قريبة من الشاشة، يضمُّون أيديهم ويتنهَّدون بيأس.

قال أحدهم بحسرة: «وجبة الهامبورجر تكلف جودن واحد فقط في حين ثمن الشعور بالإنجاز قد ارتفع إلى 200 جودن! من ذا الذي سيشتري شعور

شخصٍ آخر بالإنجاز ليشعر بالرضا بشكلٍ غير مباشر؟ لو كنت اشتريت منه كمية العام الماضي لكنت استطعت الاستقالة من وظيفتي الآن.

تمكنت بيني من رؤية أسعار «رفرفة القلب» في الجهة العليا من الشاشة، كان يتم تداولها بثمن 180 جودن للزجاجة، مسجلة ارتفاعًا طفيفًا عن أسعار الأمس. فكرت بيني في المصيبة التي يمكن أن تحدث إذا فقدت إحدى الزجاجات فاحتضنت الزجاجة التي تحملها. ثم استدارت لترى الرجل الذي أتت معه...

يا إلهي! لقد اختفى! واختفت معه زجاجة «رفرفة القلب» التي كان يحملها.

يا للمصيبة! شعرت بيني بالقشعريرة تجري في جسدها.

أكان محتالًا؟ من الواضح أنه يجلس لينتظر فرائسه الحمقى ممن يحملون في أيديهم مقتنيات قيمة بلا حرص كأنهم يتباهون بها. لم تكتفِ بيني بذلك، بل قالت له بنفسها إنها موظفة جديدة. بالتأكيد بدت كفريسة سهلة. لم تستطع بيني إيجاده مهما بحثت. أصابها الإرهاق، لم تكن قادرة على أن تخطو خطوةً أخرى وهي تحمل الزجاجة الثقيلة.

أرادت بيني أن تقوم بإيداع الزجاجة المتبقية على الأقل، إلا أن دورها كان قد فات بالفعل. ومما زاد الأمر سوءًا أنها فقدت الرقم. لم تعد تستطيع ترك مكانها في مكتب الاستقبال فارغًا أكثر من ذلك، لذا توجهت مرة أخرى نحو المتجر.

كانت العمة ويذر قد عادت بالفعل وبدا عليها السعادة على النقيض من بيني، يبدو أن أمورها سارت بسلاسة في دورة المياه.

- عمة ويذر...

- بيني؟ ما الأمر؟ ما هذا؟ لماذا عدتِ بهذه؟

شرحت بيني لها الأمر بأكمله. أخبرتها بيني القصةَ وهي تشعر أنها أكثر الناس حماقة على وجه الأرض.

- يا لها من مصيبة. تعتبر «رفرفة القلب» نادرة هذه الأيام. لكنه خطئي. لم يكن عليَّ أن أوكل لكِ هذه المهمة فجأة. سوف أتحدث مع دالوجوت فلا تقلقي كثيرًا. ربما تقبض الشرطة عليه إذا أبلغنا. لقد حاول هذا الشخص خداعي عدَّة مرات من قبل.

- كان عليكِ أن تلقنيه درسًا وقتها إذًا يا ويذر.

ظهر دالوجوت فجأة.

- إذًا أنتِ لم تتعرضي لسرقة زجاجة كاملة من ثمن الأحلام فحسب، بل أيضًا لم تقومي بإيداع الزجاجة الباقية؟ سجل «رفرفة القلب» أعلى سعر له منذ ثلاثة أشهر.

- أنا آسفة جدًّا سيد دالوجوت.

ترجت بيني منه العفو وهي لا تجرؤ على النظر إليه.

- ولكن هذا لحسن الحظ! كنَّا بحاجة إلى زجاجة من «رفرفة القلب». كنت أنوي أن أمُرَّ بمكتب الاستقبال وأخبرك يا ويذر قبل أن تذهبي إلى المصرف، ولكني نسيتُ. لكن لحسن الحظ جئتِ أنتِ حاملة إياها! تسير الأمور بسلاسة اليوم. أما الزجاجة الضائعة فلنعتبرها ثمن درس ليعلمنا أن العالم مكانٌ مخيف.

قالها دالوجوت برحابة صدر مما جعل بيني تشعر بالبؤس أكثر.

- أنا آسفة للغاية. ولكن أين ستستخدم «رفرفة القلب»؟

- هذه؟ أعتقد أن هناك زبونًا سيأتي بعد قليل سيكون في حاجة إليها.

***

كانت الفتاة زبونة معتادة في متجر الأحلام منذ طفولتها. كانت تعتقد أنها تحلم كثيرًا بطبيعتها، لكنها لم تكن تعلم أنها تزور المتجر كل ليلة لأنها تنسى كل ما يتعلق بالمتجر في الصباح كما لو كان بفعل السحر.

وُلِدت الفتاة في الريف وتعلمت حتى تخرجت في الجامعة. بعدها توظفت في العاصمة وأصبحت تعيش بمفردها مثل معظم الموظفين. كان العمل في الشركة صعبًا، ولكن ليس غريبًا عليها. تعيش بمفردها منذ أربعة أعوام، تبلغ من العمر حاليًا ثمانية وعشرين عامًا. باختصارٍ كانت حياتها تسير على ما يرام.

- لا يوجد أيٌّ أحد.
- حقًا؟ لكن الشركة يعمل بها الكثير من الرجال.
- جميعهم يمتلكون حبيبات أو متزوجون، أو ليسوا من نوعي المفضل، أو لست من نوعهم المفضل.
- لا أصدق هذا، فأنتِ لم تتعرفي عليهم جميعًا. يبدو أنكِ لا ترغبين في المواعدة
- في الحقيقة أنا لا أعرف كيف أبدأ بالأمر. كيف يبدأ الموظفون في المواعدة؟
- كنت متأكدة من ذلك. أنتِ معجبة بشخص ما، أليس كذلك؟
- في الحقيقة...

أنهت الفتاة المكالمة مع صديقتها وألقت بنفسها على سريرها الكبير. اليوم بالذات انزعجت من حجم سريرها الواسع.

- أشعر بالوحدة.

وصلت الفتاة إلى درجةٍ من اليأس جعلتها تتفوه بذلك وهي تجلس وحيدة في غرفتها. اصطدم صوتها بالحائط المجاور وتردد صداه في أنحاء الغرفة، بدا صوتها مثيرًا للشفقة. أشارت الساعة إلى مُنتصف الليل. لقد أنهت العمل في وقت متأخر. لم يسعها الوقت أن تفعل شيئًا بعد أن عادت إلى المنزل غير أن تغتسل، ثم ترمي القمامة وتطهو طعامًا وتأكله ثم تجري مكالمة قصيرة مع صديقتها. لن تستطيع النوم أكثر من ست ساعات، حتى لو خلدت إلى النوم على الفور. لو كررت فعلة الأمس وشاهدت مقاطع اليوتيوب ثم انهمكت

في قراءة القصص المصورة فستضطر إلى المواصلة حتى الغد دون نوم. لا وقت للشعور بالوحدة الآن، يجب عليها أن تحظى بقسطٍ من الراحة أولًا حتى تستطيع الذهاب إلى العمل غدًا.

- إلى متى سأعيش بهذه الطريقة؟

محت الفتاة هذا السؤال من رأسها بصعوبة. ممنوع التفكير في الأمور الجادة قبل النوم. كانت تعلم عن تجربة أن تلك الأفكار لا تساعد على النوم مطلقًا.

شدت الفتاة بطانيتها حتى غطت رقبتها وضبطت منبه هاتفها المحمول ثم تفقدت طقس الغد. مستوى الغبار الدقيق سيئ للغاية، طقس غائم، جميع الأيقونات رمادية اللون.

- لم أكن أعلم أن الحياة في العشرينيات بهذا البؤس. لا يوجد أيُّ جانب مشرق.

في الحقيقة لم يكن الأمر كذلك. تذكرت الفتاة الرجل الذي ذكرته قبل قليل في أثناء المكالمة مع صديقتها. كان موظفًا في إحدى الشركات العميلة يزور شركتها كل أربعاء. كان دائمًا ما يذهب بعد إنهاء عمله في الصباح لتناول غدائِه ويجلس في طاولة فردية في نفس المطعم الذي تذهب إليه الفتاة باستمرار.

- مرحبًا. أنا هيون چونج سوك من تيك إنداستري. هل يسمح وقتك للحديث؟

- مرحبًا، أنا چونج آه يونج. نعم، وقتي يسمح. ما الأمر؟

- أنوي زيارة الشركة يوم الأربعاء في العاشرة صباحًا، هل الوقت مناسب لكِ؟

لم يتسنَّ لها الحديث معه إلا في أثناء المكالمات المتعلقة بالعمل أو عندما يتبادلون التحيات عندما يتقابلون. لكن لم يسعها إلا أن تلاحظ نُضجه الذي

ظهر من خلال انتظامه في الاتصال كل يوم اثنين في الوقت نفسه ليُعلِمها بأمور العمل مسبقًا، ووقفته المستقيمة عندما يتبادلان التحية، وتعامله الهادئ رغم جدول العمل المفاجئ المزعج. بالطبع قد يكون هذا كله ما هو إلا رأيها الشخصي.

علاوة على ذلك فقد بدأ الرجل يظهر في أحلامها هذه الأيام. بل يظهر فيها أكثر وسامة وطولًا من الحقيقة. حاولت الفتاة أن تتذكر متى كانت آخر مرة تطور فيها إعجابها بشخصٍ ما إلى علاقة. أكان ذلك في أول سنة لها في الجامعة؟ لحظة واحدة، أغدًا الأربعاء؟ شعرت الفتاة بقلقها من ضغط العمل يتلاشى. سوف ترى الرجل غدًا.

لفَّت الفتاة نفسها بالبطانية وتمددت بمقابلة الحائط. تمنَّت ألا يراها الرجل يومًا على هذه الحال وهي تتقلب وحدها من الحماس. إذا عرف ذلك سيكون الأمر غاية في الإحراج. فهي بالنسبة له شخص غريب لم يكتفِ فقط بمراقبته في أثناء عمله، بل يفكر فيه أيضًا قبل أن ينام. ربما يكون متزوجًا أو لديه حبيبة. كان قلبها يخفق كما لو كانت مراهقة، ولكنها الآن أصبحت في عمر تتزايد فيه المخاوف.

يا إلهي، لقد طال تفكيرها. يجب عليها أن تنام الآن. تمنَّت الفتاة في قرارة نفسها وهي تستسلم للنوم.

أنا راضية حتى بالحب من طرفٍ واحد، أتمنى فقط أن تدوم هذه المشاعر.

***

- عمة ويذر، أعتقد أن الزبونة رقم 201 سوف تأتي بعد قليل.
- حقًا؟

استرقت العمة ويذر نظرة إلى موازين الجفون.

- حمدًا لله! لقد كانت تأتي كل يوم ثم انقطعت فجأة مما جعلني أقلق قليلًا.

نظرت بيني للميزان رقم 201 وابتسمت برضا. كان الجفن مغلقًا بالكامل بينما يشير المؤشر إلى «نوم حركة العين السريعة».

بمجرد أن أنهت بيني كلامها حتى فتحت الزبونة رقم 201 باب المتجر ودخلت. استقبلتها بيني والعمة ويذر بالترحاب.

- أهلًا وسهلًا تفضلي.

- مرحبًا! أريد أن أحلم نفس الحلم اليوم أيضًا. يعجبني الحلم الذي أحلمه مؤخرًا.

- حسنًا، سوف يكون من الصعب البحث عنه في الطابق الثالث حاليًا لأنه مزدحم. سوف أحضره لكِ. من فضلك انتظري قليلًا.

صعدت بيني للطابق الثالث بسرعة. كانت مديرة الطابق الثالث موج بيري تُرتِّب الأحلام التي وصلت للتو مع موظفيها. كان شعرها أشعث اليوم أيضًا. خطت بيني نحو ركن «أحلام ذات مبيعات ثابتة» متجنبة أكوام الصناديق.

كانت صناديق الأحلام التي تباع باستمرار مكومة على منصة العرض. بالتأكيد رُتبت في الصباح، ولكنها بعثرت بعدما أخذ الكثير من الناس يقلبون فيها.

أخذت بيني تقلب في الصناديق بحثًا عن الحلم الذي تنتظره الزبونة. أخرجت خمسة من أحلام «الطيران في السماء» لجنيَّات ريبراهون قبل أن تعثر أخيرًا على صندوق زُيِّن بدقة بقلوب. كان اسم كيس كرو صانع الحلم مطبوع بخط صغير للغاية على شريط الغلاف. كان كيس كرو صانع أحلام مخضرم يصنع أفضل أحلام العلاقات الغرامية. فطبقًا لمصدر معلوماتها الموثوق أسام الذي يعرف كل شيء، فكيس كرو كان فاشلًا في العلاقات العاطفية حيث انفطر قلبه أكثر من مئة مرة، يقال إنه لم يره أحدٌ بشعر طويل

من قبل لأنه كان يحلق شعره بالكامل في كل مرة يحدث ذلك. لكن الجميع يعترف أن جودة أحلامه كانت تزداد كل مرة ينفطر فيها قلبه.

- هل هذا هو طلبك؟

نزلت بيني للطابق الأول مباشرة وأعطت الصندوق للزبونة.

كانت البطاقة الملصقة على الصندوق تقول «حلم ظهور شخص تحبه».

- نعم، صحيح.

- تفضلي، شكرًا لك.

تلقت الفتاة الصندوق ونظرت إلى العمة ويذر وسألتها: «هل سأدفع ثمنه فيما بعد اليوم أيضًا؟».

- نعم، كما نفعل دائمًا بعد أن تستيقظي من النوم يمكنكِ أن تقاسمي مشاعركِ معنا.

- هذا يعني أننا لن نقبل ثمن الحلم إذا لم تشعري بشيء بعد رؤيتك للحلم!

رددت بيني الأشياء التي تعلمتها من ويذر بمهارة.

حملت الزبونة الصندوق وغادرت المتجر ببطء. كانت خطواتها خفيفة، لكن بيني شعرت بالقلق وهي تنظر إليها من الخلف. لكنها لم تكن تعرف السبب.

عمَّ الهدوء في المتجر بعدها. غرقت بيني في التفكير بينما تكنُس الردهة. شعرت بيني بضيق منذ جاءت الزبونة رقم 201 وغادرت، لم تكن تدري ما السبب. استمرت بيني في كنس الأرض بلا هدف حتى وصلت أمام مكتب دالوجوت، وقتها كانت بيني قد توصلت لحدٍّ ما إلى سبب ضيقها.

- أوه، أنا آسف. هل أوقعت الكثير من فتات الكعك؟

فتح الباب فجأة وخرج منه دالوجوت.

- لا سيد دالوجوت. كان لديَّ بعض الوقت لذا كنت أقوم بالتنظيف. لكن...

- ما الأمر؟

- أريد السؤال عن شيء بشأن الزبونة رقم 201.

- أوه، الزبونة رقم 201. إنها زبونتنا منذ زمن طويل.

- ألا يوجد ضرر في أن تستمر في بيع «حلم ظهور شخص تحبه» لها؟

- ما المشكلة في رأيك؟

أبدى دالوجوت اهتمامًا بسؤال بيني.

- لا بأس أن تحلم بالشخص الذي تحبه عدَّة مرات في البداية. لكن إذا استمرت في ذلك فستتفاقم مشاعرك وهو ما سيجعلك تعاني في النهاية. إن الإصرار على الحلم بهذا الشخص فقط...

توقفت بيني قليلًا عن الكلام لتفكر.

- هذا صحيح! الاستمرار في الحلم يعني أنه لا يوجد تطور في الواقع!

أدركت بيني الآن سبب ضيقها وهي تنظر إلى الفتاة من الخلف.

- بيني، هل تعلمين ما رأي الزبائن الوافدين مثل 201 في الأحلام؟

- بالطبع، لقد درست ذلك. اللاوعي. يظنون أن اللاوعي الخاص بهم يظهر في صورة أحلام.

- صحيح.

- لذلك؟

لم تفهم بيني إلى أين تقود هذه المحادثة. لم ترغب في أن تبدو موظفة بليدة، ولكن فضولها غلبها.

- أنتِ تعرفين أن الزبائن لا يتذكرون أيَّ شيء عن متجرنا عندما يستيقظون من النوم. لذلك فإن أفضل تفسير وصلوا إليه هو أن الحلم الذي يحلمونه بالليل هو لا وعيهم. لو كنتِ مكانهم ماذا كنتِ ستفعلين؟

- إذا ظهر شخص باستمرار في أحلامي، سوف أبدأ شيئًا فشيئًا بالتفكير في أن اللاوعي عندي مهتم بهذا الشخص.
- قالت بيني وهي غير واثقة من إجابتها.
- صحيح، وبمرور وقت كافٍ تتأكدين من ذلك؛ أنكِ تحبين هذا الشخص.
- نعم، لكن الحب لا يمكن أن يبدأ بهذه الطريقة. لأن الحلم هو مجرد حلم...

تذكرت بيني الزبونة التي أتت بحماس لتشتري الحلم وشعرت بالحزن. لكن تعبير وجه دالوجوت كان لا يزال مشرقًا.

- الحب يبدأ منذ إدراكك به. وينتهي دورنا هنا. سواء انتهى الأمر بحب من طرف واحد، أو بحب بين شخصين.
- أتمنى ألا يكون حبًا من طرف واحد. إنه أمر حزين جدًا.
- إن الحلم مجرد حلم كما تقولين. لنثق بالفتاة.

***

استيقظت الفتاة قبل موعدها بخمس دقائق. فتحت عينيها بنشاط رغم أن المنبه لم يرن بعد. تذكرت بشكل مبهم أنها ذهبت في الحلم لمتجر ما، ولكنها كلما حاولت التذكر شعرت بالذكريات تهرب من رأسها كالرمل الذي يتسرب من بين أصابعها، لم تستطع في النهاية تذكر الأمر. ولكن الشيء الوحيد الذي بقي في ذاكرتها هو أن الرجل ظهر في حلمها اليوم أيضًا. كانت في الحلم معه في مطعمٍ يذهب إليه باستمرار. كان يجلس في مقعده المعتاد وكانت هي تجلس بجانبه يتبادلان الحديث بودٍّ. يبدو أنهما اتفقا على اللقاء في هذا المكان كل يوم. كان حديثهما مريحًا كأنهما يعرفان بعضهما بعضًا منذ زمن.

عَلَقت مشاهد الحلم في ذاكرتها وهي تنهض من سريرها وتتجه نحو الحمام. كان قلبها يرفرف. لكن ما إن لامست المياه الباردة جسدها حتى استعادت رصانتها.

ما هذا الهراء الذي تفعلينه؟

***

قبل أن يتوقف قلب الفتاة عن الرفرفة، تردد صوت وصول إشعار جديد في مكتب الاستقبال في الطابق الأول من متجر الأحلام.

تررررن.

سدد الزبون رقم 201 ثمنَ الحلم.

وصلت كمية من «رفرفة القلب» كثمن لحلم «ظهور شخص تحبه».

- إذًا هذا النظام مربوط بالزجاجات الموجودة في الخزانة، أليس كذلك؟

- صحيح، بتِّ تفهمين الأمر الآن. لقد شهد العالم الكثير من التطور. في الماضي كنا ننقلها يدويًا، فكانت الكمية التي تنسكب منا على الأرض تفوق التي نضعها في الزجاجات. كنا نُضيع اليوم كله في حمل الموازين هنا وهناك لنزن ثمن الأحلام كلما وصل.

لكن تُرى أين سيستخدم السيد دالوجوت زجاجة «رفرفة القلب» هذه؟

كانت الزجاجة التي عادت بها بيني من المصرف تشغل بالها. كانت لا تزال موضوعة على مكتب الاستقبال.

- إذا قال دالوجوت أن لها استخدامًا، فسيستخدمها بالتأكيد في أمرٍ مهم.

أجابتها العمة ويذر.

***

جاهدت الفتاة في التخلص من الأفكار التافهة والتركيز في عملها. وذلك لأنها كلما فكرت في السبب الذي يجعلها تحلُم بهذا الرجل كل يوم، كانت تصل إلى استنتاج واحد من الصعب عليها تقبُّله.

هل أحبه من طرف واحد؟

في هذه اللحظة تبادر إلى سمعها صوت رئيس القسم.

- يا آه يونج، أليس اليوم موعد قدوم السيد هيون چونج سوك لعقد الاجتماع؟

كانت الساعة تشير إلى التاسعة وخمس وخمسين دقيقة. استغربت الفتاة، فهو في العادة يصل إلى غرفة الاجتماعات قبل عشر دقائق من الموعد بالضبط. أو يتصل على الأقل إذا كان سيتأخر. في تلك اللحظة رنَّ هاتف مكتبها.

- مرحبًا، معك چونج آه يونج من قسم الدعم الفني.

- مرحبًا! أنا هيون چونج سوك من تيك إنداستري.

كان يلهث عبر الهاتف كأنه يركض.

- لقد تركت المستندات في السيارة ونزلت، سوف أصل في تمام العاشرة.

- حسنًا.

شعرت أن ردها كان باردًا للغاية فأكملت قائلة: «سوف أخبر رئيس القسم بالأمر، تعال على مهلك».

- شكرًا.

لم تترك الفتاة الهاتف حتى بعدما أنهت المكالمة.

رفرف قلبها رغمًا عنها عندما سمعت نبرة صوته المرتفعة على غير العادة.

انسي الأمر، إنه مكان عمل، لنعمل فقط.

استمرت الفتاة في كبح جماح قلبها.

في تمام العاشرة فتح الرجل باب المكتب ودخل. حاولت الفتاة تجنب النظر إليه مباشرة فأخذت تسترق النظر إليه بجانب عينيها. كانت وجنتاه يشوبهما الاحمرار. يبدو أنه استمر في الركض رغم أنها أخبرته ألا يتعجل.

أدار الرجل عينيه في المكان باحثًا عن شخصٍ ما. عندها التقت عيناه بعينَي الفتاة.

قبل أن تستطيع الفتاة تجنُّب عينيه ابتسم الرجل ابتسامة واسعة وانحنى ليحييها. ظهرت غمازاتٌ عميقة في خديه.

ويمتلك أيضًا غمازات؟ هذا ظلم.

لم تستطع الفتاة أن تُنكر بعد الآن أنها معجبةٌ به.

***

كان مزاج الرجل متعكرًا منذ الصباح. لقد استيقظ شاعرًا بالضيق لأنه حلم بحبيبته السابقة الليلة الماضية. لقد مر على انفصالهما زمن طويل لدرجة أنه لا يتذكر كيف انفصلا أو مَن كان المخطئ. حتى عندما تظهر في حلمه فهو لا يشعر بالاشتياق ولا الحنين إليها على الإطلاق. لكن ظهورها في أحلامه حتى الآن أمر يثير القلق. بل زاد الأمر مؤخرًا.

- يا له من لا وعي قذر.

انشغل الرجل بالتفكير في أثناء القيادة فنزل من سيارته دون أن يأخذ مستندات الاجتماع.

لم يكن يريد التأخر على الاجتماع. كان يقترب من الثلاثين. لم يرِد أن يصبح واحدًا من هؤلاء الرجال الفاشلين في علاقاتهم العاطفية إلى جانب إهمالهم لعملهم وعدم التزامهم بالمواعيد.

اتصل الرجل بالشركة التي يتعاملون معها وهو يركض مسرعًا نحو موقف السيارات.

رنَّ الهاتف عدَّة مرات ثم ردت الفتاة التي تعمل هناك.

- مرحبًا، أنا چونج آه يونج من الدعم الفني.

- مرحبًا! أنا هيون چونج سوك من تيك إنداستري.

وصل صوت لهاثه إلى مسامعها عبر الهاتف.

لا بد أنه يبدو كالأحمق الآن في نظرها. أجاب الرجل بصوت عالٍ محاولًا إخفاء صوت أنفاسه: «لقد تركت المستندات في السيارة ونزلت. سوف أصل في تمام العاشرة».

- حسنًا.

كان ردها مقتضبًا. ظنَّ أنها سوف تغلق المكالمة. لكنه سمع صوت الفتاة مرَّة أخرى.

- سوف أخبر رئيس القسم بالأمر، تعال على مهلك.

- شكرًا!

كانت نبرتها ودودة. شعر الرجل في تلك اللحظة أنه حصل على دفعة تشجيع تكفيه لمواصلة اليوم.

في تلك الليلة، مدَّد الرجل جسده المرهق على سريره، وغطَّ في النوم بمجرد أن لامس رأسه الوسادة.

***

- مرحبًا بك، تفضل.

تعرفت بيني على الرجل من النظرة الأولى. كان يأتي مؤخرًا باستمرار لشراء حلم «ظهور حبيب قديم» من ركن الذكريات بالطابق الثاني.

- هل تريد نفس الحلم اليوم أيضًا؟

أجابها الرجل بشرود: «نعم، من فضلك أعطيني نفس الحلم».

كانت بيني على وشك أن ترشده إلى الطابق الثاني إلا أن دالوجوت الذي كان يقف بالقرب منهما عاق طريقهما.

- أعتقد أنك لست بحاجة إلى هذا الحلم بعد الآن.

- ماذا؟

- قد لا تتذكر ذلك، ولكنك منذ سنتين طلبت مني طلبًا. طلبت مني حلمًا تظهر فيه حبيبتك السابقة.

- هل قمت بذلك حقًّا؟ لو كان ذلك قبل سنتين، فهو بعد انفصالي عنها مباشرة.

- هذا صحيح. وكنت دائمًا تستيقظ باكيًا بعدما تحلم بها، أليس كذلك؟

- نعم، كنت أفعل ذلك وقتها، ثم تحسن الأمر بعد وقت قصير. بعدها لم أحلم بها لفترة طويلة.

أجاب الرجل، ثم اعتلى وجهه الشك:

- لكن لماذا صرتُ أحلم بها من جديد مؤخرًا؟

- لأنك طلبت ذلك مني. قلت إنك تظن أنه حان الوقت لتقع في الحب من جديد، وتريد التأكد إن كان يمكنك فعل ذلك. لذلك رشحت لك حلم «ظهور حبيب قديم».

- حقًّا؟

- لكنك لم تسدد ثمن الأحلام قط. يعني ذلك أنك لا تشعر بأيِّ شيء عندما تظهر حبيبتك السابقة في الحلم.

تدخلت العمة ويذر قائلة: «ويعني أيضًا أننا خسرنا ثمن كل هذه الأحلام».

- هل سمعت هذا؟ لذلك لا أستطيع أن أبيع لك هذا الحلم مرَّة أخرى. لأنك لن تشعر بأيِّ شيء على أيَّة حال.

بدا على الرجل الخجل وأجاب قائلًا: «حسنًا سوف أغادر».

- انتظر، ما رأيك أن نحتسي الشاي قبل أن تغادر؟ الوقت متأخر على أيَّة حال فلماذا الاستعجال؟

تمسك دالوجوت بالرجل. ثم التقط زجاجة «رفرفة القلب» الموضوعة على مكتب الاستقبال وأزال الغطاء. تصاعد من فم الزجاجة دخانٌ وردي اللون. ملأ دالوجوت فنجان الشاي من الزجاجة وأعطاه الرجل.

- اشربه دفعة واحدة.

بعد أن انتهى الرجل من شرب الشاي غادر المتجر بخطوات أكثر خفة من خطواته عندما دخل. ثم بدأ يختفي شيئًا فشيئًا.

قالت بيني وهي تتحسر على الزجاجة: «سيد دالوجوت، كيف لك أن تُعطي الزبون زجاجة «رفرفة القلب» الثمينة كلها؟

- ألم تقولي إن الحب من طرف واحد هو أمرٌ حزين؟

فغرت بيني فمها متفاجئة:

- هل هذا الزبون هو الشخص الذي تحبه الزبونة رقم 201؟

أومأ دالوجوت رأسه باقتضاب كأنه يستغرب سؤالها عن شيء واضح.

- كيف تعرف هذه الأشياء؟

- عندما تديرين متجرًا لمدة تزيد على ثلاثين عامًا تتعلمين هذه الأشياء.

***

استيقظ الرجل بنشاط اليوم التالي. كان قلبه يخفق بسعادة، لو كان هناك يومٌ مناسبٌ للبدء في مرحلة جديدة، فيبدو أنه اليوم. وصل هاتفه بالشاحن وذهب للاستحمام وهو يدندن.

تردد صوت المياه وصوت غنائه داخل أرجاء البيت، رنَّ هاتفه معلنًا وصولَ رسالة جديدة. ظهر فقط أول جزء من الرسالة على شاشة الهاتف الخارجية.

وصلتك رسالة جديدة.

- مرحبًا. أنا چونج آه يونج. هل تتذكرني؟

***

- كيف قابلت حبيبك الحالي؟

- كنت معجبة به فتواصلت معه أولًا. سألته إذا كان يريد أن نتناول وجبة معًا.

- حقًّا؟ ولكنك لا تفعلين هذا في العادة.

- هذا صحيح، تغيرت شخصيتي لأني كنت متعجلة.

- ألم تخافي أن يرفضك؟

- كنت خائفة أكثر أن يظن أنني غريبة الأطوار. خاصةً أنه يعمل في شركة تتعامل مع شركتنا.

- حقًّا؟ يبدو أنكِ كنتِ معجبة به كثيرًا.

- لقد أرسلت وقتها الرسالة ثم أغلقت هاتفي خوفًا من أن لا يصلني ردٌّ. فتحته بعدها بساعتين أعتقد. فيما بعد وبخني على فعلتي هذه قائلًا: «لماذا تتواصلين معي أولًا ثم تختفين؟».

- إذًا ما رأيكِ الآن في الأمر؟ هل تظنين أنكِ أحسنت الفعل عندما تواصلتِ معه؟

- بلا شك. كان هذا من أفضل خمسة أشياء فعلتها في حياتي. أو ربما من أفضل ثلاثة أشياء.

3. الرؤية

بحلول صباح يومٍ ما في شهر يوليو، أكملت بيني ثلاثة أشهر منذ بدأت العمل في المتجر. بدأ التجار عملهم في الشارع، وأخذت كائنات النوكتيلوكا بلا راحة جمع أردية النوم التي خلعها الناس وألقوها في أيِّ مكان. مشت بيني في طريقها إلى العمل وهي تحتسي قهوتها بلبن الصويا. عندما وصلت أمام باب المتجر أدركت أنها وصلت مبكرًا للغاية.

نظرًا إلى أن المتجر يعمل على مدار أربعٍ وعشرين ساعة كان الموظفون يعملون في أوقات معينة بالتبادل. لذلك لن تجد ما تفعله إذا أتت مبكرًا. قررت بيني أن تستمتع بالوقت المتبقي تحت أشعة الشمس. كان المبنى الخشبي ذو الطوابق الخمسة الواقع في مُنتصف الطريق يتمتع برونق خاص. «متجر الأحلام». كالعادة يبدو المحل أكثر روعة في عينيها في غير أوقات العمل.

لكن لم يستمر وقت راحتها طويلًا.

- يا بيني! أحسنتِ بالقدوم مبكرًا. ادخلي بسرعة وساعديني!

فتح باب المتجر على مصراعيه وخرج بيجو مايوس مدير الطابق الثاني وصرخ مناديًا لها. كان مايوس يحمل في يدٍ ثمرة خوخ طرية ويحرك يده الأخرى ليروح عن نفسه كأنه يشعر بالحر الشديد.

- ها... حسنًا! حسنًا!

أجابت بيني بارتباك واتجهت لداخل المتجر.

فاحت في المتجر رائحة لم تكن موجودة من قبل، رائحة فواكه طازجة. زُيِّن الطابق الأول بجميع أنواع الفاكهة من الخوخ والمشمش والعنب كبير الحجم. لو لم تكن بيني تعرف موظفي المتجر، لظنت أنها دخلت بالخطأ إلى أحد بساتين الفلاحين.

نزل موظفون آخرون غير بيجو مايوس من جميع الطوابق إلى الردهة وانشغلوا بتعليق الفواكه وتزيين أوراقها وتنظيف الفواكه التي وقعت على الأرض. كان بينهم أيضًا عمالٌ غير متوقعين.

قالت موج بيري مديرة الطابق الثالث لمو تيه إيل بحدَّة: «مو تيه إيل، من فضلك أخبر جنيَّات ريبراهون أن يعُدنَ لمتجرهن. لماذا دعوتهن بحق الجحيم؟».

- سيدة موج بيري، لماذا أكلف نفسي عناء إحضار سلم متنقل والصعود عليه إذا كانت صديقاتنا بالمتجر المجاور يستطعن الطيران؟ لذلك دعوتهن ووافقن على الفور. انظري كم يعملن بجدا!»، أشار مو تيه إيل إلى السقف.

بالقرب من السقف، كان كلُّ زوجين من جنيَّات ريبراهون اللاتي لا يزيد طولهن على شبر يحملن عنقودًا من العنب يساويهن في الحجم.

شاهدتهن بيني يفلتن خمسة عناقيد من العنب على الأقل على الأرض. بل أسقطن عنقودًا على رأس أحد الزبائن المارِّين.

- آه!

- يا إلهي، نحن آسفون جدًّا، هل أنت على ما يرام؟ كما ترى فإن الفوضى تعمُّ الردهة، لذا من الأفضل أن تصعد إلى الطوابق العليا.

اعتذرت العمة ويذر التي كانت تقف بجانب الزبون بالنيابة عن الجنيّات.

التقطت بيني العنب الذي وقع على الأرض وسألت: «ما كل هذا؟».

- سيأتي اليوم ضيفٌ مهم. ألم تسمعي بالأمر؟

أجابت موج بيري وهي تغلق صندوقًا من صناديق الفاكهة. بدا شعرها أشعث أكثر من العادة.

- تُرى من الذي سيأتي لتحضروا كل هذا؟

قاطعتها موج بيري صارخة بغضب: «هذا، وهذا... يجب أن نتخلص منهم كلهم. ماذا ستقول السيدة كوكو عنا عندما ترى هذا؟ لقد انتهى تاريخ صلاحيتهم منذ زمن!».

صرخت موج بيري. ثم تركت صناديق الفاكهة وبدأت في تنظيم صناديق الأحلام المكومة في الردهة.

شمرت بيني عن ساعديها وهرعت لتساعد موج بيري دون أن تنبس ببنت شفه. كان كوب قهوة لبن الصويا الذي لم تستطع إكماله قد بدأ يبرد. قررت بيني أنها لن تتسكع أبدًا أمام المتجر قبل أوقات العمل بعد الآن.

- لا تتخلصي منهم يا موج بيري وأعطيني إياهم. سوف يباعون بسرعة إذا بعناهم بخصم كبير في الطابق الخامس.

تدخَّل مو تيه إيل وهو يمضغ بعضًا من العنب المتبقي. كانت جنيَّات ريبراهون يطرن حوله وهنَّ يرتدين قمصانًا بلا أكمام وسترات جلدية لطيفة، كلٌّ منهن تحضن حبة عنب تقضم منها.

- أرجوك يا مو تيه إيل. حتى لو كنا نبيع الأحلام بسعرٍ رخيص في الطابق الخامس، لا يمكننا بيع هذه. بحالتها تلك ستكون خالية من المشاهد والرائحة والألوان لدرجة أنك لن تعرف ما الذي تحلم به. لا يمكننا بيع تلك. إذا علم السيد دالوجوت بالأمر سوف يستشيط غضبًا، علاوة على ذلك إذا عرفت أجانيب كوكو أننا نبيع تلك الأحلام رديئة

الجودة في متجرنا، مجرد تخيُّل ذلك يجعلني أرتعب. لن تقدم على التعامل مع متجرنا بعد ذلك.

- لكن الزبائن لا يتذكرون أيَّ شيء بمجرد أن يستيقظوا من النوم على أيَّة حال.

أيدته الجنيَّات: «صحيح، صحيح».

كنَّ على وشك مواصلة كلامهن، ولكن موج بيري قطبت جبينها وأغلقت فمها. كانت بيني تعرف الاسم الذي ذُكر منذ قليل جيدًا.

- هل قلتِ أجانيب كوكو؟ ستأتي اليوم؟
- نعم، ستأتي اليوم بعد غياب طويل. لذلك زينَّا المكان على ذوقها. إنها تحب الفواكه كثيرًا. ستُحضر معها هذه المرة الكثير من الأحلام خصوصًا بناءً على طلب دالوجوت. أنا متحمسة للغاية اليوم. أحسنتُ الاختيار بالعمل هنا. فكيف كنت سأقابل أجانيب كوكو في الحقيقة غير هنا؟

كانت أجانيب كوكو واحدة من أساطير صناعة الأحلام، حصلت على الجائزة الكبرى أكثر من عشر مرات في حفلات جوائز الأحلام التي تقام في نهاية العام. كانت الوحيدة التي تؤلف أحلام «التبشير بالحمل» وهي شخصية بارزة تحظى بحب الكثيرين. ومثل موج بيري فإن بيني رأتها في التلفاز والمجلات، ولكنها لم ترها في الواقع قبل ذلك. ولم تفكر من قبل أيضًا أنها ستراها في الواقع يومًا ما.

قال دالوجوت وهو يمدُّ رأسه بين الصناديق الفارغة المكومة فوق بعضها: «حسنًا، كفاكم اليوم، فليغادر كلُّ مَن انتهى دوامه. حقًّا، لقد خرج الأمر عن أيدينا».

كانت بيني تظنُّ أنه في مكتبه. كان يرتدي سترة مخصصة للعمل بدلًا من القميص الذي اعتاد ارتداءه. بدا أكثر نحافة وهو يرتدي ملابس فضفاضة.

- هل كنت هنا طوال الوقت؟

أزاحت بيني الصناديق التي تعوق طريقه.

- إن تزيين الردهة من أجل أجانيب كوكو كانت فكرتي. كنت أنوي وضع بعض الفواكه المزيفة على المدخل فقط، ولكن الأمر تفاقم عن الطبيعي. على أيَّة حال، فلتعودوا إلى منازلكم، هيًّا!

يبدو أن ظهره كان يؤلمه حيث أخذ يدلك عظمة العُصعص بكفه.

لكن جميع الموظفين الذين أخبرهم دالوجوت أن يغادروا لم يتحركوا. بل تجمدوا جميعهم كالصخور فاتحين أفواههم وهم يحدقون إلى شيء ما.

نظرت بيني في الاتجاه الذي يحدقون إليه، فالتقت عيناها بالعجوز صغيرة الحجم التي تقف خارج الباب. كانت على وشك الدخول للمتجر مع مرافقيها.

فهمت بيني لمَ تجمد الموظفين كالحجر. ذلك لأن الهالة التي تحيط بأجانيب كوكو ذات الجسد الضئيل قد أخرستهم. جعلت تلك الطاقة الزمن من حولها يبدو كأنه يتحرك بسرعة في الاتجاه المعاكس. فتبدو كل حركة تقوم بها كأنها التُقطت بالتصوير البطيء. عندما انتبهت بيني لنفسها كانت العجوز قد دخلت بالفعل إلى المتجر.

رحب دالوجوت بها قائلًا: «أجانيب! كيف حالك؟».

- صديقي القديم. إنها أول مرة أراك منذ الاجتماع الدوري. أوه، رائحة الفاكهة! أجواء المتجر... بهيجة حقًّا.

تفاجأت كوكو عندما رأت الفواكه المعلقة.

صافحها دالوجوت بيده المتسخة.

وضع الموظفون أيديهم على أفواههم متفاجئين لرؤية أجانيب كوكو. حتى جيِّات ريبراهون اللاتي كنَّ يطرن في الأنحاء توقفن في الهواء.

حالف بيني الحظ لأنها كانت تقف بالقرب منهم. انبعثت من كوكو رائحة فاكهة. كانت رائحة غنية أكثر قوة من رائحة الفاكهة التي تزين المكان. كان خداها الممتلئان يشبهان خدود الأطفال على النقيض من ملامحها الدافئة والتجاعيد المنتشرة في وجهها.

كان مرافقوها الذين دخلوا إلى المتجر من بعدها يحملون ملء أذرعهم حِزمًا ملفوفة بحرير فاخر.

- إنها المنتجات التي وعدتك بها يا دالوجوت. إنها أشياء لا تُذكر، ولكن أتمنى أن تبيعهم من أجلي، بالطبع أنت لا تحتاج إلى توصية.

- ماذا تعنين بأنها أشياء لا تُذكر؟ إنها منتجات ثمينة! شكرًا أنك أحضرتِها إلى متجرنا.

أجاب دالوجوت وهو يحمل إحدى الحِزم ويتفقدها.

غلب بيني الفضول فسألت: «سيدة موج بيري، هل هذه أحلام تبشير بالحمل؟ كنت أعتقد أن أحلام التبشير بالحمل تُباع بالحجز. هل يمكننا صنعها مسبقًا وبيعها؟».

كانت موج بيري مشغولة بالتحديق إلى الحزم الحريرية فلم تسمع سؤال بيني.

- حضرة المديرة؟ أنا أقصد، ألا يجب أن يحدث الحمل قبل أن يحصل الشخص على حلم تبشير بالحمل؟ كيف تعرف السيدة كوكو من سيحمل لتصنع هذه الأحلام مقدمًا؟

كلما تحدثت بيني أكثر زادت دهشتها. فأحلام التبشير بالحمل ذاتها كانت غريبة. في العادة فإنك ترى هذا الحلم قبل أن تعلم بالحمل. هل هذا ممكن؟

- تلك ليست أحلامَ تبشير بالحمل، إنها ما تبقّى بعد صناعة أحلام التبشير بالحمل.

حركت موج بيري فمها فقط وهي لا تزال تحدق إلى الحِزم كالمنومين مغناطيسيًّا.

- ما تبقّى بعد صناعة أحلام التبشير بالحمل؟ وأين تستخدم تلك الأحلام؟

- ألم تسألي للتو؟ كيف تعرف كوكو من سيرزق بطفل؟

ضيقت موج بيري عينيها وسكتت كالراوي الذي يسكت قليلًا قبل أن يصل إلى ذروة حكايته.

- صحيح، إن الأمر غريب. أن تضع في الحلم حدثًا من المستقبل كولادة طفل...

- هذا هو السر. إنه حدثٌ من المستقبل.

- ماذا؟

- حلم التبشير بالحمل هو أحد أنواع الرؤى. كما تعلمين، فهي تعرف مسبقًا أن هناك طفلًا سيولد وعلى ذلك الأساس تصنع الحلم.

- رؤى؟

لم تستطع بيني تصديق الأمر.

- لست متأكدة من الأمر، ولكن يقال إن أجانيب كوكو هي حفيدة التلميذ الأول. أعني التلميذ الأول الذي يحكم المستقبل في قصة «إله الوقت وتلاميذه الثلاثة». بالتأكيد قد قرأتِها، أليس كذلك؟ على أيَّة حال. إنها لا ترى المستقبل، ولكنها قد ترى بعض المشاهد القصيرة أو تشعر باقتراب حدوث شيء كبير. يقال إنها تستطيع الشعور بطاقة قدوم حياة جديدة على الأخص لذلك تستطيع صنع أحلام التبشير بالحمل. أليس هذا مذهلًا؟

- إذًا هل هذه...؟

أشارت بيني إلى الحِزم الخاصة بأجانيب كوكو.

- صحيح، أنا قلتُ لكِ إنها بواقي تصنيع الأحلام، ولكنها في الحقيقة رؤى!

- لا يمكنني تصديق ذلك!

وجدت بيني نفسها تقف في وسط المكان الذي يشهد اللقاء التاريخي بين حفيدة التلميذ الأول مع حفيد التلميذ الثالث وتشاهدهما يتبادلان الأحاديث بودٍّ، ليس هذا فحسب وإنما كان المكان مملوءًا أيضًا بالرؤى. كان يمكنها لمسها إذا مدت يديها. شعرت بيني أنها اقتحمت مشهدًا في قصة خيالية غامضة.

هل هذه رؤى بحق؟ هل يمكنني رؤية مستقبلي إذا امتلكتُ واحدة؟

بدأت بيني تتخيل شكل زوجها المستقبلي وهي تقف فاغرة الفاه.

قطع صوت دالوجوت مكسور الخاطر تخيُّلات بيني.

- هل ستغادرين بهذه السرعة؟

- هناك أزواج ينتظرون أحلامي. يجب أن أعمل بجد. هناك اجتماع عمومي بعد بضعة أشهر، سأراك وقتها. سعدت لمقابلتك يا دالوجوت! وشكرًا لكل الموظفين. لقد عانيتم بسببي.

ابتسمت أجانيب كوكو وهي تنظر إلى الفواكه المُعلقة والموظفين الغارقين في عرقهم. هزَّ الموظفون رؤوسهم لإنكار ذلك.

- إذًا خذي بعض الفواكه على الأقل. سوف أعطيكِ البعض خُذيها وكُليها.

بمجرد أن انتهى دالوجوت من كلامه حتى بدأ مرافقو كوكو بقطف فواكه التزيين ووضعها في الصناديق.

- ما دُمتم ستفعلون ذلك منذ البداية ألم يكن من الأفضل أن نعطيهم الفواكه في صناديقها بدلًا من تلطيخ الأرض؟

تمتم بيجو مايوس مدير الطابق الثاني وهو يمسح يديه اللتين أصبحتا دبقتين بفعل الخوخ.

بعدما غادرت كوكو ومرافقوها، استعاد المدخل نظامه المعتاد خلال لحظات بفضل موظفي الطابق الثاني.

استطاع دالوجوت بالكاد أن يرسل الموظفين الذين لم يستطيعوا إزاحة أعينهم عن الأحزمة التي تركتها كوكو إلى منازلهم. ثم بدأ مع العمة ويذر وبيني في ترتيب تلك الحِزم.

- لا يمكنني التصديق حتى الآن. إن تلك...

- يبدو أنكِ أنتِ أيضًا تريدين هذا الحلم؟

- بالطبع يا عمة! أيُّ إنسان سيريده!

قالت بيني بحماس وبصوت عالٍ.

أخرجوا صناديق الأحلام من الحزم، ثم نقلوها إلى منصة بيعٍ فارغة. أنهت بيني تجهيز الأحلام للبيع بكتابة شيء على ورقة ثم لصقها على المنصة

وردت كمية محدودة من «الرؤى».

بعد عدَّة ساعات وقفت بيني في حيرة بين الزبائن الراغبين في شراء الرؤى ودالوجوت الذي رفض بيعها. لم يدخل دالوجوت إلى مكتبه على غير العادة وأخذ يتجول حول الأحلام معرقلًا عملية البيع.

- أعطني رؤية واحدة، بل رؤيتين!

- عذرًا، ولكن ما نوع المستقبل الذي تريد أن تراه في الحلم؟

- أيجب أن أخبرك ذلك؟

- تلك الأحلام بالذات يجب أن نعطيها لمَن يحتاجها. فكما ترى فالكمية ليست كبيرة.

- أريد رؤية الأرقام التي ستربح اليانصيب هذا الأسبوع.

- أنا آسف، ولكن لا يمكن أن نبيعه لك لهذا الغرض.

- ما هذا؟ تسألني ثم تقول هذا! أتفرق بين زبائنك؟

استثار الزبون غضبًا فأسرعت بيني بترشيح حلم آخر له.

ما رأيك في هذا الحلم؟ إنه حلم نهاية العالم. ستكون من أواخر من يعيشون على الأرض من البشر. ألن تكون تجربة مذهلة؟

- انسي الأمر.

رفض الزبون بحزم.

غادر الزبون غاضبًا، ومن قبله الزبون الذي أراد أن يرى متى سينجح في اختبارات الوظيفة الحكومية، والزبون الذي أراد رؤية زوجته المستقبلية. عادت بيني إلى مكتب الاستقبال وقالت غاضبة:

- على تلك الحال لن نبيع أيَّ حلم.

- لننتظر.

لم تبدُ ويذر أنها تهتم للأمر.

قالت بيني بحذر خوفًا من أن تبدو كأنها تنتقد دالوجوت: «لماذا تعطي أجانيب كوكو الأحلام لدالوجوت؟ لا يبدو أنه يريد بيعها».

- إنها لا تعتقد أن أحلامها جيدة كفاية لتكون رائجة. إنها لم تختر متجرنا على الأخص لتبيع أحلامها، ولكنها تخجل أن تبيعها لشخصٍ آخر، لذا تبيعها لدالوجوت صديقها القديم.

- هذا مستحيل. إنها رؤى. يا لتواضعها!

- سيكون هذا صحيحًا لو كنتِ تستطيعين رؤية المستقبل الذي تريدينه. ولكن أجانيب كوكو لا تملك تلك المهارة. ستستطيعين رؤية مشهد واحد فقط من المستقبل في أفضل الأحوال. مشهد قصير جدًّا ينتهي في لحظة.

- ولكن رؤية المستقبل في حد ذاتها هي شيء عظيم.

- حقًّا؟ هل هي حقًّا أمر عظيم؟ حتى لو لم تحصلي على المعلومات التي تريدينها؟ مشهد واحد فقط. هل ستعتبرين مشاهد من الحياة اليومية

عظيمة أيضًا؟ كمشهد مرور كرة الجولف أمام أعين طفل قد فوتها. أو مشهد التحديق إلى الشاي وهو يغلي؟

- هذا... بالطبع غير تلك الأمور التافهة.

- تلك الأمور هي التي تظهر في هذه الأحلام. ولكنها قد تصبح مميزة إذا بيعت للشخص المناسب.

ابتسمت العمة ويذر ابتسامة لعوب.

كان تعبير وجهها يشبه ذلك التعبير الذي دائمًا ما يظهر على وجه دالوجوت. فهمت بيني كيف عمل دالوجوت والعمة ويذر معًا لمدة ثلاثين عامًا.

ظلَّ دالوجوت واقفًا بجانب منصة بيع الرؤى. وظلَّ يدفع الزبائن للمغادرة، ولم يبدُ متعجلًا.

***

نا ريم تتمنى أن تصبح كاتبة سيناريو. كانت تعمل بدوامٍ جزئي في دار سينما. يمكن للعاملين بدوام جزئي مشاهدة الأفلام مجانًا. كان هذا هو العمل المثالي لها، حيث كانت تستطيع تأمُّل السيناريوهات جيدة الصنع أو سماع تعليقات المشاهدين على الطبيعة في أثناء مشاهدتها للأفلام.

- شكرًا لكم، إلى اللقاء.

وقفت نا ريم عند المخرج بعد انتهاء عرض الفيلم لتودع المشاهدين. اثنان من المشاهدين بدوَا كزوجين كانا آخر من خرج من القاعة.

- ما رأيك في الفيلم؟ أعتقد أنه جيد إلى حدٍّ ما.

- أليست الأحداث بديهية؟ اختلف الممثلون فقط، ولكن أعتقد أنني رأيت تلك الأحداث من قبل في فيلم آخر. حتى موضوع الفيلمين متشابه.

أيَّدت نا ريم في سرها على كلام المشاهد. وأخذت تفكر كيف كانت لتكتب تلك القصة لو كانت كاتبة سيناريو. انشغلت بالتفكير في السيناريو وهي تكنس بقايا الفشار الواقعة تحت مسند الذراع.

كانت نا ريم تريد كتابة أول سيناريو لها عن العلاقات العاطفية. تحب ملصقات الأفلام الرومانسية المرحة، وتحب أيضًا عناوينها الرنانة.

علاوة على ذلك فإن هناك الكثير من الحكايات حولها. فالآنسة «أ» التي تعمل في الكافتيريا تواعد السيد «ب» الذي يعمل في كشك التذاكر في السر ويتواصلون دائمًا بإشارات يدٍ هما وحدهما يفهمانها. توجد أيضًا قصة السيد «ج» الذي يجيد صنع الحبار المشوي مع الآنسة «د» التي تعمل في موقف السيارات. لكن كل تلك القصص كانت معتادة لا تصلح لكتابة سيناريو. كانت هناك أدوات يمكنها تحويل فيلم عادي إلى فيلم مميز. ولكن بيني لم تستطع إيجاد فكرة تجعل هذا ممكنًا حتى الآن.

- نا ريم، ماذا ستفعلين اليوم بعد الانتهاء من العمل؟

سألتها زميلتها التي كانت تنظف بقايا رقائق الناتشو.

- اتفقتُ مع صديقتي من المدرسة الثانوية أن نتناول العشاء معًا، لماذا؟

- يقولون إن هناك قارئة طالع ماهرة بالقُرب من هنا فحجزت موعدًا. ولكنني لا أريد الذهاب وحدي فأردت أن نذهب معًا. ألم تقولي إنك تحلمين بأن تصبحي كاتبة سيناريو؟ أليس لديكِ فضول لتعرفي إن كنتِ ستنجحين ككاتبة؟ ما رأيك أن نذهب معًا فيما بعد؟

- لا، شكرًا.

اعتلى وجه زميلتها تعبيرٌ بارد إثر رفضها.

- أعني أنه إذا علمت بالأمر مسبقًا فأين المتعة في ذلك؟ ألا تعتقدين ذلك؟

حاولت نا ريم مواساتها بلُطف.

ذهبت نا ريم لتناول العشاء مع صديقتها بعد انتهاء العمل، تلمع عيناها في ترقب لسماع أخبار العلاقة العاطفية الجديدة لصديقتها منذ الطفولة، آه يونج.

- أتعنين أن هذا الرجل ظلَّ يظهر في أحلامك؟

- كما قلتُ لكِ ظلَّ يظهر في أحلامي عدَّة أيام. لذا بدأت أفكر إن كنت معجبة به حقًا.

- لذلك تواصلتُ معه أولًا؟ أنتِ؟ جونج آه يونج المشهورة بالعناد؟

- مهما فكرت في الأمر رأيت أن ذلك أفضل من البقاء صامتة. فلن يفيدني العناد على أيَّة حال.

- كم أنتِ جريئة. إذًا أنتما تتواعدان الآن رسميًا؟

- نعم، بدأنا نتوعد منذ الأسبوع الماضي. لا يزال الأمر مربكًا.

- لو قمنا ببعض التعديلات، قد تصبح قصة رومانسية جيدة.

- أليست قصة ضعيفة جدًّا لتصبح سيناريو؟ تبدو ممتعة عندما نتحدث عنها معًا، ولكنها عادية جدًّا لا تصلح لكتابة فيلم.

- كل العلاقات العاطفية للآخرين تبدو في عينيَّ مثل الأفلام. ربما لأنني لم أواعد منذ فترة طويلة.

تنهدت نا ريم وهي تُقلب حساء الكاري الذي بدأ يبرد في طبقها.

خرجت الاثنتان من المطعم واتجهت كلٌّ منهما إلى بيتها.

تمددت نا ريم في سريرها الصغير ذي الإطار الحديدي، انشغلت بالتفكير قبل أن يغلبها النوم.

ألا توجد قصة جيدة؟

***

- تفضلوا.

- أهلًا بكم، تفضلوا.

كان دالوجوت يرحب بالزبائن بصوتٍ مفعم بالطاقة على النقيض من بيني التي ظهر الإرهاق على صوتها.

شعرت بيني بالتعب، ذلك لأن دالوجوت قد رفض بيع الرؤى لأكثر من ثلاثمئة زبون جاؤوا لشرائها.

- عن أيِّ حلم تبحثين؟

- أريد حلمًا ممتعًا. ومن الأفضل أن يصلح ليكون موضوع قصة.

بدأت الزبونة تتفقد منصة البيع التي وضع عليها الأحلام ذات النسخ المحدودة. لم تُظهر أي اهتمامٍ بالرؤى الموضوعة على مرمى بصرها. كانت تتفقد ببطء الأحلام التي لم تُبع ووُضعت مُكومة في صناديق. لاحظت بيني أن دالوجوت كان يراقب الفتاة من كثب. وكما توقعت اقترب دالوجوت من الفتاة وبدأ في الحديث معها.

- قلتِ إنك تحضرين لمسابقة كتابة السيناريو أليس كذلك؟

ردت نا ريم عليه بسؤال: «هل تعرفني؟».

- بالطبع. أنا أتذكر جميع الزبائن.

- يا إلهي أنا آسفة. لا أتذكر أنني تحدثت معك من قبل.

- لن تتذكري بالطبع، ولكن ليس هذا مهمًّا. في الحقيقة لقد حلمتِ تقريبًا بكل الأحلام الموجودة هنا على مدار عامين.

قطبت نا ريم حاجبيها محاولة التذكر ثم بدا عليها الإحباط.

- أظنني حقًّا فعلت ذلك. يبدو أنه لم يكن هناك أيُّ حلم يصلح ليكون موضوعًا لسيناريو. لم أستطع كتابة قصة مبتكرة بعد.

- في الحقيقة هناك حلم مثير لم تحلمي به بعد...

- وما هو؟

- إنه...

أكمل دالوجوت ببطء ليُضفي تأثيرًا دراماتيكيًا: «الرؤية».

- لست مهتمة بهذا النوع من الأحلام.

رفضت نا ريم عرض دالوجوت بلا تردد.

أصيبت بيني بالدهشة من رد الزبونة.

- ألا تريدين الحلم برؤية؟

- لا مُتعة في معرفة الأشياء مقدمًا. سواء أكان في الأفلام أو الحياة. أنا أكره معرفة الأحداث مسبقًا.

- ألا تشعرين بالفضول لمعرفة إن كنتِ ستصبحين كاتبة سيناريو مشهورة؟

- على الإطلاق. على النقيض سأشعر بالتعاسة إن عرفت ذلك مسبقًا. حتى لو رأيت مستقبلًا جيدًا، لا يوجد ما يضمن أنه سيتحقق. وقد أُصاب بالكسل نتيجةً ذلك. وربما أشعر باليأس إذا لم يتحقق كما رأيته.

- دائمًا ما يريد الجميع رؤية وجهتهم النهائية، ولكنكِ لا تريدين ذلك؟

سألتها العمة ويذر هذه المرة. بدا دالوجوت والعمة ويذر غاية في الحماس.

- وجهةٌ نهائية؟ الإنسان ليس سيارة تنطلق نحو وجهة نهائية محددة. لن يكون للحياة طعم لو لم تضع مفتاح التشغيل بنفسك وتضغط دواسةَ البنزين أحيانًا وعلى المكابح أحيانًا أخرى، ومن خلال الرحلة نتعلم كيف نعيش. رغبتي في أن أصبح كاتبة مشهورة ليست كل شيء. أنا أحب أن أعيش حياتي وأنا أكتب السيناريو. لا يهم إن وصلت في النهاية إلى شاطئ أو صحراء، سأتعامل مع الأمر وقتها.

كان دالوجوت يحدِّق إلى الفتاة.

- أجبتُ بإسهاب أليس كذلك؟

حكّت نا ريم أنفها في حرج.

- على الإطلاق. كان خطابًا مؤثرًا. أنتِ تعتقدين إذًا أنكِ إذا ركزتِ على الحاضر سوف يأتي المستقبل وحده؟

- بالطبع! هذا ما قلته.

ابتسم دالوجوت عندما أجابت نا ريم بثقة.

إذًا أنا أصر على ترشيح هذه الرؤى أكثر! لا تقلقي. لن يظهر المستقبل الذي لا تريدين رؤيته. سوف ترين لحظة فقط من المستقبل، وسوف تنسيها أيضًا.

- إذا كنت سأنساها لماذا ترشح لي هذا الحلم إذًا؟

- ربما ستتذكرينها يومًا ما فجأة؟ لن تخسري شيئًا فخذي واحدة. لا تقلقي فالدفع دائمًا مؤجل.

- لكنه يبدو كحلمٍ باهظ الثمن، ماذا لو لم أستطع تسديد ثمنه؟

- أنتِ لم تتأخري يومًا عن تسديد ثمن الأحلام. نحن دائمًا مدينون لكِ ولمشاعركِ الفياضة. يا بيني، أعطي للزبونة واحدة من الرؤى.

بعد قليل خرجت نا ريم من المتجر حاملة الحزمة التي أعطتها بيني إياها.

- لاحظت أنك دائمًا ما تفعل عكس المتوقع يا سيد دالوجوت.

قالت بيني لدالوجوت الذي أخذ ينظف الغبار عن منصة البيع.

- هل تجدين طريقة بيعي للأحلام غريبة؟

- لأنك لا تبيعها لمن يريدها، وتهديها لمن لا يريدها.

- إن الرؤى التي صنعتها أجانيب قد تكون مخيبة للآمال لزبون يريد رؤية المستقبل. ولكنها قد تكون هدية صغيرة غير متوقعة لزبون لا يأمل في شيء معين.

- لا أفهم.

- ستتعلمين عندما تعملين في المتجر مدةً طويلة مثلي.

ردت بيني عابسة: «كنت أتساءل لماذا لم تقل هذه الجملة اليوم بعد؟».

***

حلمت نا ريم برؤية قصيرة، ولكنها لم تتذكر أي شيء في صبيحة اليوم التالي. انشغلت في الأسبوع الذي يليه بالتفكير في السيناريو الجديد، وقررت في النهاية اتخاذ قصة صديقتها آه يونج كموضوع له، حيث ظلَّت تلك القصة تخطر على بالها منذ وقتها.

- هل ستتمكنين من كتابة شيءٍ قيِّم باستخدام هذه القصة؟
- رجل يظهر في الأحلام، أليس هذا رومانسيًّا؟
- لكني أعتقد أنه موضوع ممل للغاية، حتى لو وضعتِ شخصياتٍ مثيرة وحوارًا قويًّا.

جلست نا ريم وآه يونج في مطعم الكاري الذي زارتاه المرة السابقة وأخذتا تتحدثان عن قصة السيناريو الجديد لنا ريم. انشغلت كلٌّ منهما في التفكير في أدواتٍ لجعل السيناريو الجديد أكثر تميزًا.

أخذت نا ريم تهرس قطع الجزر المتبقية في طبقها بالشوكة، أما آه يونج فأخذت تعبث بمفرش الطاولة. عندها رن هاتف آه يونج الموضوع على الطاولة. ظهر اسم چونج سوك ليملأ الشاشة. كانت نا ريم تراقب كل ما يحدث أمام عينيها ببُطء.

في تلك اللحظة بدأت الأحداث تسري داخل رأسها، وغمرها إحساسٌ بالــ«دي چا فو»

قطع الجزر الطرية، شكل مفرش الطاولة المطوي الذي كانت آه يونج تعبث به، والهاتف الذي رن في تلك اللحظة وحتى اسم حبيب آه يونج على شاشة الهاتف. لم تكن آه يونج قد أخبرت نا ريم باسم هذا الرجل، ولكنها

داهمها شعورٌ غريب بأنها تعرف من قبل أن الشخص الذي يدعى چونج سوك هو حبيب آه يونج.

سألتها نا ريم بصوت خافت: «حبيبك؟».

أومأت آه يونج وأجابت على الهاتف.

شعرت نا ريم بمشاهد السيناريو المتناثرة في رأسها تتجمع بجانب بعضها بعضًا. صرخت في آه يونج عندما انتهت من مكالمتها مع چونج سوك: «دي چا فو!».

- ماذا؟ ماذا قلتِ؟
- شعرت بدي چا فو منذ لحظات! مشهد تلقيكِ اتصالًا من حبيبك، أعتقد أني رأيته في الحلم.
- حقًّا؟ أمر عجيب!

خطرت على بالها فكرة خلال ثوانٍ معدودة. وكما لو كان هناك سيناريو معدٌّ مسبقًا داخل رأسها، بدأت الأفكار ترتب نفسها وتخرج من فمها رغمًا عنها.

- إذًا ما رأيكِ في هذا؟ قصة شخص يرى في أحلامه من سيقع في حب من فيصبح مستشارًا للعلاقات العاطفية. مثلي الآن فأنا رأيت في حلمي أنكِ أنتِ وچونج سوك تتواعدان. قصة مستشار علاقات تأتيه رؤى عن علاقات الآخرين، ولكنه فاشل في علاقاته الشخصية!

بدأ قلب نا ريم يدقُّ في حماس لكتابة سيناريو جديد.

***

ترررن.

تم تحصيل الرسوم من الزبون رقم 1011.

وصلت كمية من «رفرفة القلب» كثمن للـ«رؤية».

- عمة ويذر! هل تتذكرين الرؤية التي بعناها الأسبوع الماضي؟ لقد بدأت الزبونة في تسديد ثمنها.
- حقًا؟ هذا رائع. اقترب موعد قدوم أجانيب كوكو لتحصيل ثمن الأحلام، يجب علينا تحويله إلى نقدي غدًا.

خلال الأيام السابقة أتى إلى المتجر عدة زبائن من نوع نا ريم. جميعهم لم يكن لديهم اهتمام بالرؤى، ولكنهم أخذوها بناءً على ترشيح دالوجوت.

ترررن

وصلت كمية من «التعجب» كثمن للـ«رؤية».

وصلت كمية من «الفضول» كثمن للـ«رؤية».

- ثمن الأحلام يصل في أشكالٍ متنوعة للغاية. انظري إلى هذا. وصلنا «تعجب» و«فضول».
- دعيني أُلقي نظرة.

أثارت المحادثة اهتمام دالوجوت الذي كان يمسح موازين الجفون في الخلف.

- هذا رائع. كما هو متوقع، وحده الزبون من يحدد قيمة الحلم.

أخذ ينقر بالفأرة متفقدًا نوافذ الإشعارات واحدةً تلو الأخرى.

- دالوجوت. أعتقد أن تلك كانت نافذة التحديث... أنت لم تُغلقها للتو، أليس كذلك؟ يجب علينا فحص الفيروسات وتحديث النظام باستمرار.

حدقت العمة ويذر إلى الشاشة بارتياب.

- إنها تظهر كثيرًا جدًّا.
- ماذا قلت؟

راوغ دالوجوت قائلًا: «لا شيء يا ويذر...».

- لكن ماذا تعني كلمة دي جا فو؟

اكتشفت بيني كلمة جديدة وهي تقرأ آراء الزبائن التي وصلت مع ثمن الأحلام.

- جميع الزبائن يقولون إن الدي جا فو عجيبةٌ للغاية.

قال دالوجوت بإعجاب: «دي جا فو، وهي كلمة تعني «رأيتُ ذلك بالفعل»، وتُعبِّر عن ظاهرة يشعر فيها الإنسان أنه تعرض لنفس الموقف من قبل. أليس هذا مشوِّقًا؟ لقد أطلقوا اسمًا جميلًا على بقايا الرؤى التي نبيعها. إنهم غاية في الابتكار!».

قالت العمة ويذر: بيني هل تعرفين؟ معظم الزبائن يستعجبون الـ«دي جا فو» ولكنهم يظنون أنها وهمٌ ويتجاهلونها.

- حقًّا؟ يا لضيق العقل! لا أصدق أن هذا رد فعلهم بعدما بعنا لهم الرؤى...

هرشت بيني في رقبتها بإحباط فضحك دالوجوت.

- وهذا هو ما يهم في الأمر! أنهم لم يشعروا بالحيرة رغم رؤيتهم للمستقبل.

- بالطبع لن يشعروا بالحيرة، فهم لم يروا شيئًا ذا قيمة.

تساءلت بيني عما إذا كان دالوجوت يمزح.

- وهذا هو المطلوب.

ضحك دالوجوت وهو يقوم من مكانه.

- أشعر بالعطش. سأصنع مشروبًا غازيًّا منعشًا. هل أضع بضع قطرات من «الفضول» به؟

حمل دالوجوت كوبه واختفى داخل المخزن.

قالت ويذر هامسة: «لذلك تحضر أجانيب كوكو تلك البواقي لنا. باقي المتاجر لا يقبلونها لأنهم لا يدرون كيف يبيعونها».

تذكرت بيني كيف رفض دالوجوت بيع الرؤى لأي شخص وانتظر الزبون المناسب بطول بال. وتساءلت للحظة إذا كان دالوجوت هو من يرى المستقبل بحق.

أريد رؤية ما يدور داخل رأس دالوجوت.

تمتمت بيني.

عاد دالوجوت من المخزن سريعًا.

- وضعت نقطتان من «الفضول» الطازج. هيا، جربيه.

كان مشروب الليمون الذي ناولها إياه دالوجوت ذا لون أزرق صافٍ كلون مياه البحر. أخذت بيني المشروب وشربته. طعمه حلوٌ لاذعٌ، غير أن «الفضول» كان شعورًا أكثر إنعاشًا مما توقعت.

شعرت بيني فجأة برغبة تتدفق في جسدها.

- سيد دالوجوت. أريد أن أجري بحثًا عن أحلام أجانيب كوكو. هناك الكثير من الأشياء التي أريد معرفتها.

شعرت بيني بتوق للدراسة.

- ربما سأتمكن من صناعة رؤى بنفسي إذا قمتُ بدراستها. أعني قد أستطيع رؤية المستقبل بسهولة كما يظهر في الحكايات القديمة.

قال دالوجوت بحكمة: «يمكنكِ الدراسة كما تحبين، ولكنني لستُ بحاجة إلى أن أخبرك أن هناك الكثير من الناس أضاعوا حياتهم في بحث هذا الأمر لأنكِ تعرفين ذلك بالفعل، أليس كذلك؟».

- إن المستقبل العظيم الذي تفكرين فيه لا يوجد هنا. لا يوجد هنا إلا حاضرنا الممتع والأحلام التي سحلمها الليلة.

حمل دالوجوت كوب مشروب الليمون الخاص به واختفى وسط الزبائن.

4. طلب استرجاع أحلام الصدمات النفسية

كانت بيني والعمة ويذر تسترخيان في استراحة الموظفين بعد أن تناولتا غداءً متأخرًا.

- لا تقلقي سوف أقف في مكتب الاستقبال فاذهبي.

بفضل دالوجوت الذي تطوع لتولي أمر مكتب الاستقبال استطاعت بيني أن تحظى ببعض الراحة. استندت بيني إلى الأريكة القديمة وتمطّت.

كان هناك عدة موظفين غيرهما يتناولون طعامهم، جميعهم يعلقون دبوسًا يحمل الرقم 4. يجلسون حول الطاولة العريضة يتناولون طعامهم بلا شهية ويتبادلون الأحاديث بتعب. ظنت بيني أنهم يتحدثون عن تلك الشائعة المنتشرة بين الموظفين فأصغت لتستمع، ولكن الأمر لم يكن كذلك.

قال موظف ذو نظارة بحزن: «يجب علينا الذهاب إلى الطابق الرابع مجددًا بعد الانتهاء من الطعام، لذا لنأكل ببطءٍ شديد».

- أتمنى لو لم تنتهِ رحلة عمل السيد سبيدو إلى الأبد.

- بالكاد مرَّ نصف يومٍ منذ عودته، واليوم يبدو كالسنة.

أخذ الموظف الذي يجس قبالته يتناول الأرز المقلي حبةً واحدة تلو الأخرى. فُتح باب الاستراحة فجأة فسقطت من يده إحدى عِصِي الأكل.

- جميعكم هنا.

دخل سبيدو مدير الطابق الرابع. كان يرتدي بذلة فسفورية من قطعةٍ واحدة. يبدو أنه يمتلك نفس البذلة بعدة ألوان.

- كدتُ أتناول الطعام وحدي وأنتم موجودون هنا. هل هذا أرزٌ مقلي؟ لماذا لم تضيفوا إليه بعضًا من اللحم والكراث. هل يعجبكم طعمه دون إضافات؟ يا إلهي، أنتم لا تستخدمون صناديق الطعام الحافظة للحرارة. لقد اشتريت صندوقَ طعامٍ حافظًا للحرارة بجودن و99 شيل، سوف أرسل إليكم رابط الموقع الذي اشتريته منه. لا داعي للشكر.

عندما انهمك سبيدو في الحديث بدأ موظفو الطابق الرابع يغلقون صناديق طعامهم بهدوء.

- ما الأمر؟ هل انتهيتم من الأكل؟

- لسنا جائعين.

- لم تتناولوا سوى نصف طعامكم.

- نريد الصعود والعمل، اسمح لنا بالعمل أرجوك.

- يا لكم من موظفين عظماء... حسنًا، سوف أتناول طعامي سريعًا وأصعد.

غادر الموظفون الاستراحة وهم يترجون بيني وويذر بأعينهم أن تؤخِّرا سبيدو حتى ولو لعشر دقائق.

- سبيدو، هل مرت رحلة العمل على ما يرام؟ قلت إنك عملت في مركز أبحاث القيلولة لمدة أسبوعين، أليس كذلك؟ أعتقد أنها كانت رحلة مفيدة لك.

- أوه، العمة ويذر، وبيني! أما زلت تتبعين العمة ويذر في كل مكان مثل الفرخ الصغير الذي لا يعرف كيف يتصرف وحده يا بيني؟

جلس سبيدو في مقعده بينما يزيل الغلاف عن مثلث الكيمباب.

- يسمونه مركزًا بحثيًا، ولكنهم يبحثون في أشياء أعرفها بالفعل. لذلك لم أتعلم شيئًا ذا قيمة. بل أنا من علمتهم بعض الأشياء.

أكمل سبيدو وهو يتناول كرات الأرز، تطايرت حبات الأرز في كل مكان فابتعدت بيني عنه قليلًا.

- كُل على مهلٍ يا سبيدو، ألم تكن تُفضِّل تناول الطعام وحدك؟ كنت دائمًا تقول إنك تشعر بالضيق لأن الناس يأكلون ببطء؟ لماذا أتيت للاستراحة إذًا؟

- في الحقيقة عندما ذهبتُ في رحلة العمل، كنت أتناول الطعام مع موظفي المركز وكانوا دائمًا ما يتحدثون عن الاستثمار. كم كان هذا ممتعًا. من وقتها أصبحت أحب تناول الطعام مع الآخرين. عمة ويذر، ألا تريدين استثمار بعض المشاعر الرخيصة؟

- الاستثمار بالمشاعر؟ كيف؟

أظهرت العمة ويذر اهتمامًا بالأمر.

أصغت بيني السمع وهي تُبدي عدم الاهتمام. ما زالت بيني تخاف الذهاب إلى المصرف منذ سُرِقت منها زجاجة «رفرفة القلب» ولكن بعد قضائها فترة في العمل، حان الوقت لتهتم هي أيضًا بالاستثمار.

- عندما يحل الشتاء، يرتفع سعر «الغضب» ليصبح 30 جودن. أنتما تعرفان ذلك بالطبع.

- بالطبع، نعرف ذلك. عندما نضع نقطتين من «الغضب» في المدفأة، يشتعل الحطب المنطفئ. إنه ممتاز لتوفير فاتورة التدفئة.

رفعت العمة ويذر إبهامها في ثناء.

- أحب أن أجلس مع زوجي أمام المدفئة المُشتعلة نتناول المثلجات.

- أصغِيَا إليَّ، لسنا بحاجة الآن لدفع 30 جودن لشراء الغضب! لقد أخبرني موظفو المركز البحثي أن أشتري كل مشاعر «الحيرة» الآن من المصرف وأُخزنها. يقولون إن سعره سيرتفع قبل الشتاء القادم.

- لكن كيف يمكننا استخدام «الحيرة»؟».

قالت ويذر بفضول.

- يقولون إننا يمكننا استخدام مدفأة الغاز بدلًا من المدفأة التقليدية. ثم نضع عدَّة نقاط من «الحيرة» في أنبوب الغاز، خلال لحظات سيتدفق الهواء الدافئ ليملأ الغرفة. قالوا إن الهواء يلف المكان كأنه يشعر هو أيضًا بالحيرة، أو شيء من هذا القبيل! قالوا إنهم سينشرون هذا البحث قريبًا لذا علينا الإسراع وشراؤه قبل أن يرتفع سعره.

قالت بيني في قلق: «ولكن هذا غريب، الهواء ينتشر في كل مكان في الأصل، أيلفقون الأمر؟ أليس من الخطر أيضًا العبث بأنبوب الغاز؟

- أنت لم تشترِها كلها بعد، أليس كذلك؟

- مـ...ماذا لو فعلت؟ اشتريتها كلها بجودن واحد للزجاجة! لماذا تتحدثين كأن هؤلاء الموظفين يخططون لخداعي؟ لماذا سيحاولون خداعي وهم لا يكرهونني؟

أرادت بيني قول الكثير، ولكنها لم تفعل.

ربتت ويذر على ظهره بأسف.

- سبيدو، من الأفضل أن تذهب معي غدًا لنبدلها بالمال من جديد. ولا تيأس، فلم تكن محاولة بلا معنى، فجميع المشاعر التي قد تبدو سيئة الآن يمكننا أن نجد لها استخدامًا إذا بحثنا جيدًا.

نفض سبيدو حبات الأرز التي وقعت على بذلته بوهن ثم قام من مقعده.

- ولكن قد يرتفع سعرها، ما رأيك أن ننتظر قليلًا؟ فحتى لو أصبح سعرها 2 جودن فستصبح الأرباح...

هزت العمة ويذر رأسها بحزم. فتجهَّم سبيدو وغادر الاستراحة متثاقلًا.

قامت بيني والعمة ويذر أيضًا من مقاعدهما للعودة إلى مكتب الاستقبال.

كانت بيني تحاول منذ قليل إيجاد لحظة مناسبة لتسأل عن الشائعة المنتشرة في المتجر. فلمَّحت إلى الأمر قائلة وهي تعيد الوسادة إلى مكانها: «عمة ويذر، عندما تحدثنا عن المشاعر السيئة خطر أمرٌ في بالي. هل هناك وجه استخدام للأحلام السيئة أيضًا؟».

- ماذا تعنين بالأحلام السيئة؟
- الأحلام التي تُسمى بالكوابيس، التي يظهر فيها ما يُخيف الناس.
- هل تقولين هذا بسبب العقد الجديد؟

فهمت ويذر التلميح على الفور.

- أنتِ تعلمين بالأمر إذًا! هناك شائعة منتشرة بين الموظفين تقول إن السيد دالوجوت قد وقَّع عقدًا مع مؤلف الكوابيس الذي يقطن بالحارة الخلفية. هل هي حقيقة؟
- صحيح، لقد وقَّع عقدًا مع ماكسيم من الحارة الخلفية. وقريبًا ستصل المنتجات إلى الطابق الثالث.
- ولكن يُقال إن ماكسيم يحبس نفسه في ورشته المظلمة ويصنع فقط أحلامًا مرعبة. ماذا لو هرب الزبائن وقلت الأرباح؟ ماذا سنفعل حينها؟
- لا أدري، أنا أيضًا لا أعرف ما الذي يدور في رأس دالوجوت لكن... أخشى أن تحدث جلبة قريبًا.

***

كانت الأخبار تُذاع على الشاشة المُعلقة أعلى المبنى الضخم. كان الشارع يعجُّ بالناس، ولكنه هادئ كما لو كان خاليًا. حل المكان صمتٌ غريبٌ كأن كل شيء قد ضُبِط على وضع الصامت إلا مذيع الأخبار. رفع الرجل الهائم رأسه

وحدَّق إلى الشاشة. وصله صوت المذيع مرةً واحدة بوضوح كأنه قد اخترق عقله.

- وصل عدد القتلى إلى ثلاثة أضعاف المواليد. في عصر أزمة الانخفاض الحاد في عدد السكان، سجل عدد المُجندين لهذه السنة أقل قيمة له على مر التاريخ، مما دفع هيئة الشؤون العسكرية للقيام بإعادة تجنيد كل مَن يقل عمره عن ثلاثين عامًا ممن أنهى خدمته العسكرية وذلك بعد الخضوع إلى فحص الطبي...

شعر الرجل بالغثيان فأغمض عينيه. كان في عمر التاسعة والعشرين وقد أنهى خدمته العسكرية في القوات البرية منذ سبع سنوات.

سيقومون بإعادة التجنيد؟

حاول الرجل استيعاب الموقف، ففتح عينيه وأصغى إلى صوت المذيع، ولكن المشهد قد تغير بالفعل.

وصل الرجل بالفعل إلى هيئة الشؤون العسكرية مرتديًا قميصًا فضفاضًا. لم يكن بمقدوره في الحلم الشعور بالتناقض بين المشاهد التي تتغير بين لحظةٍ والأخرى. أثقله الواقع القاسي الذي خُيل له أنه عليه التقدم للتجنيد مرَّة أخرى. وقف الرجل وسط الأعداد الهائلة التي أتت لتخضع للفحص الطبي. دفعه الناس من حوله ليتقدم للأمام شيئًا فشيئًا. بدت البهجة على الشباب الواقف على الجانبين.

- أتمنى أن أصنف درجة أولى مميزة.
- وأنا أيضًا، ما دُمنا سنُجنَّد على أيَّة حال، أتمنى أن أخدم لفترة طويلة، فحياة الجيش تناسبني.

ما هذا، ماذا يقولون؟

لم يخرج صوته من حلقه، بل تردد داخل رأسه مُسببًا له دوَّارًا.

حاول الرجل جاهدًا الرجوع للخلف والخروج من مبنى هيئة الشؤون العسكرية، لكنَّ قدميه لم تطاوعاه. كاديجن جنونه. كزَّ على أسنانه وشد على قدميه لكنهما لم تتزحزحا.

اقترب دوره في لحظات ووجد نفسه يحدِّق إلى نتيجة الفحص الطبي وهو لا يستطيع التفوه بكلمة واحدة.

درجة أولى مميزة.

ضايقته كلمة «مميزة» المكتوبة خلف كلمة درجة أولى. كان من الجيد معرفة أن صحته جيدة، ولكن تلك هي أسوأ طريقة ليعرف بها ذلك.

تغير المشهد مرَّة أخرى، ووجد الرجل نفسه يجلس في صالون حلاقة تفوح منه رائحة كريهة. لم يستطع الرجل التحرك من كرسي الحلاقة الجلدي كأن أحدهم ربطه فيه. حرك إصبعه بالكاد وأخذ ينتف الجزء المقطوع من جلد الكرسي. كان إحساس قطع القطن الذي خرج من الكرسي واقعيًّا للغاية. حدَّق الرجل بخوف إلى انعكاس الحلاق في المرآة.

- هل قلت إنك درجة أولى مميزة! ستقضي ثلاث سنوات إذًا؟ كم أنت مخلص لوطنك. لن آخذ ثمن الحلاقة منك.

استشاط غضبًا من الواقع الذي لا يستطيع الهروب منه. كان الناس خاضعين تمامًا لهذا الموقف العجيب لدرجة تثير الريبة. وعلى عكس مشاعره المتضاربة، فجسده عاجزٌ لا يتحرك.

- من المستحيل أن أُجند مرَّة أخرى. لا يمكن لمن أنهوا الجيش أن يوافقوا على التجنيد بهذه السهولة.

أخذ يفكر مرارًا وتكرارًا في مخرجٍ، فأهداه عقله إلى استنتاج.

- أجل! إنه حلم! هذا بالتأكيد حلم! ليس كذلك؟ أليس هذا حلمًا؟

قال الرجل محدِّقًا إلى الحلاق كالغريق الذي يتعلق بقشة.

- لمَ؟ هاها، هل تناولت طعامًا فاسدًا؟

أجابه الحلاق بابتسامة واسعة ثم قرَّب ماكينة الحلاقة من رأس الرجل. شعر الرجل بالمعدن البارد يلمس رأسه، وبدأ شعره في التساقط بالتزامن مع قطرات العرق التي انهالت بغزارة على ظهره.

- لقد انتهت حياتي. إنه بالتأكيد ليس حلمًا.

شعر الرجل بقميصه يلتصق بظهر الكرسي الذي يستند عليه بِفعل العرق.

***

في تلك اللحظة استيقظ الرجل من الحلم.

تبللت ملاءته بالعرق. انطلقت من فمه اللعنات التي كانت محبوسة داخله، وخلال ثلاث ثوانٍ شعر بالواقع الحقيقي.

- يا إلهي... كان حلمًا حقًّا.

عندما تذكر الرجل الحلم مرَّة أخرى، تعجب من غرابة مشاهده. يمكن للحلم وحده أن يخدع الإنسان بهذه السهولة. لقد مرَّت سنوات منذ أنهى تجنيده وما زال يحلم تلك الأحلام. قام الرجل ببطء ونفض ملاءته خارج النافذة. لكن لم يستطع أن يتخلص من شعوره بالانزعاج.

***

في تلك الليلة حلمت الفتاة بأنها كانت طالبة في الثانوية. استطاعت على الفور أن تحيط بملابسات الموقف الذي تتعرض له دون أن يشرح لها أحد. فقد تبقى على الامتحان ثلاثة أيام.

ستخضع في اليوم الأول لامتحانات الرياضيات، والكيمياء والفيزياء على الأرجح. لقد تبقت فقط الاختبارات التي لا يفيد فيها حفظ القواعد ليلة الامتحان. فكرت الفتاة داخل الحلم.

لماذا لم أذاكر البتة؟

هذا صحيح. لم تذاكر الفتاة البتة. لا تتذكر أنها ذاكرت حتى ولو صفحةً واحدة.

بدأت أنفاسها تتسارع. أحست أن الدم لا يصل إلى رأسها بما فيه الكفاية مما سبَّب لها دوَّارًا وجعل الدنيا تظلم أمام عينيها. كانت تفتح عينيها، ولكنها شعرت بانفصالٍ عما حولها. فجأة بدأ أصدقاؤها يوجهون لها الحديث.

- بالطبع سوف تحصلين على الدرجة النهائية هذه المرة يا سون جي أليس كذلك؟

- صحيح، لقد بكت عندما أخطأت في سؤالٍ واحد في الاختبار الماضي.

- وبالطبع اجتهدتِ في المذاكرة أليس كذلك؟

أجابت بالكاد وهي تحاول ألا تتجهم كيلا ينكشف أمرها.

- لم أذاكر البتة هذه المرة.

وضعت رأسها على مكتبها. زادت رائحة الخشب الرخيص من واقعية الحلم. أخذت تفكر لماذا لم تذاكر.

كيف وضعتُ نفسي في هذا الموقف؟ كان ذلك عكس طبيعتها. فكرت في عدَّة أسبابٍ غير منطقية، ولكن تفكيرها لم يصل إلى أبعد من ذلك.

لم تستطع الفتاة في الحلم أن تكتشف أنها داخل حلم، أو أنها بمجرد أن تستيقظ من النوم ستعود لكونها فردًا عاملًا في المجتمع، وأنها تخرجت في المدرسة الثانوية منذ سنوات طويلة ولا تحتاج إلى الخضوع لامتحانات.

تغير المشهد مرَّة أخرى بلا مقدمات. تغير بسلاسة جعلت الفتاة لا تنتبه للأمر. كانت في الفصل قبل بدء الإجازة الصيفية. كان يوم الامتحان.

كان مكتبها في منتصف الفصل، وضعت عليه ورقة امتحان مليئة بالأسئلة وخالية من الإجابات.

ما العمل! لا أعرف أي شيء.

تصببت عرقًا وهي تمسك بورقة الامتحان. سال عرقها بلا توقف داخل زيها المدرسي الثقيل الذي لم يتح أي مجال للتهوية. سمعت الطالب بجانبها يهمس: «لمَ الامتحان هذه المرة سهل هكذا؟».

في خضم ارتباكها، بدأت أوراق الامتحان تتضاعف، فالورقة أصبحت ورقتين، والورقتان ثلاثًا، ومهما قلبت الصفحات، لم تكن تعرف إجابة أيِّ سؤال.

امتلأ الفصل بصوت تقليب زملائها للصفحة معًا. ما زالت الفتاة لم تستطع حل أي سؤال.

تشابكت الأرقام داخل ورقة امتحان الرياضيات، وعقرب ساعة الفصل يقترب بلا هوادة من موعد انتهاء الامتحان. أصدرت العقارب صوتًا حادًّا كأنها تدور داخل أذنها.

أخذت تهزُّ رِجليْها وتقضم أظفارها في توتر.

سيخيب أمل أمي وأبي إذا رسبتُ في هذا الامتحان.

بالتأكيد سيستدعيني مدرس الرياضيات لمكتبه عندما يرى الصفر على ورقتي.

ماذا سيقول أصدقائي عندما يأتون ليسألوا عن إجاباتي ويروا ورقتي المليئة بالأخطاء؟

فكَّرت أنه لن يكون في حياتها شيءٌ أهم من هذا الامتحان. شعرت بألم يسري في رأسها من إثر الضغط النفسي غير العادي واغرورقت عيناها بالدموع. لكن في تلك اللحظة أظلم الفصل في لحظات، واخترقته موجةٌ ضخمة آتية من الملعب عبر النافذة، وغمرت الفصل في لحظات.

لم تهتم الفتاة في حلمها بالموجة التي غمرت جسدها، بل تنفست الصعداء

سيُلغى الامتحان إذًا، حمدًا لله.

***

استيقظت الفتاة من النوم في اللحظة التي تبادرت إلى ذهنها تلك الأفكار المنافية للعقل. لم تستعِد وعيها مباشرة وبقيت شاردة الذهن. كانت دائمًا ما تفقد إحساسها بالواقع بعدما تحلم حلمًا مليئًا بالتفاصيل مثل هذا. ظلَّت الفتاة متمددة في سريرها تحاول تذكُّر من هي.

عمري 29 سنة. تخرجتُ في المدرسة الثانوية منذ ما يقرب عشر سنوات. ولستُ بحاجة إلى الخضوع إلى امتحانات نصف أو آخر العام مرَّة أخرى في حياتي.

تمكنت من العودة إلى رشدها بعدما زودت عقلها بقدرٍ كافٍ من المعلومات عن نفسها.

لم تكن تلك المرة الأولى التي تحلم فيها بأنها تمتحن، فقد كانت طالبة مجتهدة وقضت أيام دراستها تُعاني ضغطًا نفسيًّا بسبب الامتحانات.

تنهدت الفتاة قائلة:

- لقد سئمتُ من هذا حقًّا.

***

منذ الصباح تردد العشرات من الزبائن الغاضبين على المتجر يتساءلون لماذا يبيعون أحلامًا مثل هذه. أخبرها دالوجوت مسبقًا أنه ربما سيزورهم اليوم زبائن يطالبون باستعادة ثمن الأحلام وأخبرها أن ترشدهم إلى مكتبه فقط ثم عاد إلى مكتبه ولم يخرج منه طوال اليوم.

حاولت بيني حصر عدد الزبائن الذين أرشدتهم للمكتب حتى الآن. كان دالوجوت في كل مرة يمدُّ رأسه خارج الباب ويقول: «أهلًا بك، تفضل» ثم يدخل مرَّة أخرى ويغلق الباب. لن يتسع المكتب لشخصٍ آخر على الأرجح. فكرت بيني أن هذا الزحام قد يخلق شكوى لمن ليس لديه شكوى.

- عمة ويذر، سوف أذهب إلى مكتب السيد دالوجوت قليلًا.

تثاءبت العمة ويذر ولم ترد. أخذتها بيني كإشارة أنها سمحت لها بفعل ما تريد.

ملأت بيني طبقًا بكعك التهدئة الذي يحبه دالوجوت وطرقت على باب المكتب.

- هل يمكنني الدخول؟

لم تصلها إجابة. وضعت بيني أذنها على الباب. كان المكان هادئًا بصورة غريبة. هل حاول دالوجوت تهدئتهم بإخضاعهم لجلسة تأمل؟ ترددت قليلًا ثم فتحت الباب وخطت إلى الداخل.

لم يكن هناك أحد داخل المكتب.

لكن أُنزلت الصناديق المكومة فوق بعضها بجانب خزانة دالوجوت الخاصة لتفصح عن باب صغير نصف مفتوح يسع بالكاد لدخول شخص واحد. لم تكن بيني تعلم بوجود هذا الباب داخل المكتب.

نظرت بيني داخل الباب لتجد سلمًا حجريًا ذا لون أزرق شاحب يتجه للأسفل. كان المدخل ضيقًا، ولكن السلم قد نُظف جيدًا لتسهيل صعود الناس ونزولهم. سمعت بيني صوت الناس يأتي من أسفل السلم.

- سيد دالوجوت! هل أنت هناك؟

تردَّد صوت بيني في الممر الذي ينتهي بالسلم.

- بيني؟ أتيتِ في الوقت المناسب.

لم تستطع بيني رؤيته، ولكنها سمعت صوته.

- ستجدين على مكتبي حزمة أوراق تحت عنوان «تعهد تأكيد الشراء». أحضريها إلى الأسفل.

- تعهد تأكيد الشراء؟ حسنًا! سوف أبحث عنها.

وضعت بيني طبق الكعك وبدأت البحث عن حزمة الأوراق.

وجدت على المكتب الطويل مختلف المستندات منها كومة من أوراق «ضمان الجودة» التي تركها صانعو الأحلام، و«رسالة شكر لتمديد العقد لمدة 50 عامًا». كان دالوجوت دومًا يبدو مهندمًا، ولكن من الواضح أنه لم يكن بارعًا في ترتيب مكتبه. ابتسمت بيني عندما فكرت كم سيسعد موظفو الطابق الثاني إذا رأوا هذا المكتب تمامًا كالحيوان المفترس الذي عثر على فريسته.

دارت بيني عدَّة مرات حول المكتب لتبحث عن الأوراق، وفي كل مرة تصطدم بالصناديق المكومة على الأرض. قررت بيني أنها ستتخلص من هذه الصناديق بعدما تأخذ إذن دالوجوت عندما يسمح وقته بذلك. كان تاريخ الإنتاج مكتوبًا على الجهة العلوية من الصناديق، بعضها قد مرَّ عليه أكثر من عشر سنوات.

وجدت بيني «تعهد تأكيد الشراء» الذي طلبه دالوجوت تحت كتابٍ ثقيل.

- سيد دالوجوت، لقد وجدتها! سوف أحضرها لك!

أمسكت بيني طبق الكعك بيدٍ، وحزمة الأوراق باليد الأخرى وهبطت السلم بحذر.

بدا المكان أسفل السلم مظلمًا، ولكن عندما وصلت إلى نهايته وجدت مكانًا أكثر اتساعًا من المدخل. قد وُضعت في منتصفه طاولة مستديرة ضخمة من الرخام، جلس حولها دالوجوت والزبائن يحتسون الشاي.

كان البعض لا يزال منزعجًا، ولكن المعظم بدوا أكثر هدوءًا وهم يحتسون الشاي الذي قدمه دالوجوت لهم. لا بد أن دالوجوت الماهر قد وضع فيه بضع قطراتٍ من «الهدوء» و«التأني».

أنارت المصابيح المعلقة على الحائط أرجاء المكان. ووضعت أخرى خلف نوافذ مزيفة لتبدو كأنها أشعة الشمس.

- أهذه هي المستندات التي طلبتها؟

ناولته بيني حزمة الأوراق التي أحضرتها.

- شكرًا لكِ. هذا صحيح.

- لم أكن أعلم بوجود هذا المكان.

- لقد جهزنا هذا المكان تحسبًا لأوقاتٍ مثل اليوم. فالشجار مع الزبائن سيعوق الزبائن الآخرين، أليس كذلك؟

أخبرها دالوجوت هامسًا.

بدأ الزبائن بالغمغمة مجددًا بعد أن صمتوا للحظات عند دخول بيني.

- إذًا، ما الشيء الذي سترينا إياه؟ نحن لن نرضى بحجج واهية.

عقدت إحدى الزبائن ذراعيها معلنة الحرب.

أضاف شاب يجلس في الجهة المقابلة لدالوجوت واضعًا كوب الشاي بقوة: «هل لديك أيَّة فكرة عن عدد الذين حلموا بإعادة تجنيدهم من بين الموجودين هنا فقط؟ لماذا تبيع مثل هذه الأحلام بحق الجحيم؟».

أيَّده الآخرون بغضب.

- كما قلت منذ قليل، لقد أنهيت الخدمة العسكرية الشهر الماضي، ولكنني حلمت أنني ذاهب إلى مركز التدريب مرَّة أخرى، أتعرف كيف كان شعوري وقتها؟

- وماذا عن حلم الخضوع لامتحان؟ أتهوى تعذيب النائمين؟

- هذا صحيح، كنت دائمًا ما أشتري من هذا المتجر، ولكنني الآن أفكر في مقاطعته. توجد متاجر جديدة لا تبيع سوى الأحلام السعيدة. هل سيتبقى لك أي زبائن بهذه الطريقة؟

قالت فتاة ترتدي ثياب نوم منقوشة بتهكم واضعة ساقًا فوق الأخرى.

ظلَّت بيني واقفة لا تدري كيف تتصرف وسط هذه الأجواء المشحونة.

كانت المرة الأولى التي ترى فيها الزبائن يهاجمون دالوجوت بهذا الشكل منذ بدأت العمل هنا. ولكن كالعادة وجه دالوجوت بدا مسالمًا.

- يا سادة، نحن دائمًا ما نوفر شرحًا وافيًا للمنتج قبل بيعه. لن تتذكروا ذلك بالطبع، وأنا آسف لهذا، ولكن هذه إرادة الرب فماذا سنفعل؟

- حسنًا، نحن لا نتذكر. من الطبيعي ألا نتذكر! ولكن لمَ سنشتري تلك الأحلام؟ هل هناك من يشتري الكوابيس عن عمد؟

- أنا آسف، ولكن هذه الأحلام مختلفة عن الكوابيس. نحن بالطبع نبيع بعض كوابيس الأشباح أو الأرواح للزبائن الذين يعانون ارتفاع درجة الحرارة في الليل. ولكنها في النهاية مجرد فعالية نقوم بها في الأيام الحارة. أما الأحلام التي اشتريتموها فليست من ذلك النوع من الكوابيس. اسمها الرسمي هي «أحلام التغلب على الصدمات النفسية». إنه منتج صُنع بعناية من قِبَل صانع أحلام شاب موهوب. إنه منتج عالي الجودة.

قال دالوجوت بفخر.

بدأ الزبائن في الغمغمة مرَّة أخرى. فيميل أحدهم إلى مَن بجانبه قائلًا: «ما الذي يقوله؟»، وآخر يهمس قائلًا: «أعتقد أنه يلفق الأمر». لم تفهم بيني أيضًا كلام دالوجوت.

فزَّ رجل يرتدي أحد أثواب النوم المستأجرة واقفًا وصرخ قائلًا: «على أيَّة حال، هذا لا يهم. فنحن لم نتغلب على الصدمة في النهاية، بل لم نشعر بأيِّ شيء سوى الضيق من تذكر تلك الأمور التي لا نريد تذكرها. يجب أن نسترجع ثمن الأحلام».

- نحن نتبع نظام الدفع الآجل لذلك نحن لم نتلقَّ ثمن الأحلام بعـ...

- كفى يا بيني، لا داعي للشجار.

حاولت بيني التدخل لكن دالوجوت قاطعها.

- توقعت حدوث ذلك لذا تلقيت من كل زبون «تعهد تأكيد الشراء». ألقوا نظرة، ستتعرفون على توقيعكم.

قام دالوجوت ليناول نسخةً لكلٍّ منهم ثم عاد ليجلس مكانه. استرقت بيني النظر لورقة الزبون الجالس بالقرب منها.

تعهد تأكيد الشراء

«أحلام التغلب على الصدمات النفسية» هي أحلام يبيعها «متجر الأحلام» بالعمولة. تُباع الأحلام التي تم التأكد من جودتها وتأثيرها بعد خضوعها لفحصٍ من قبل اللجنة المختصة بمتجرنا.

أولًا، صُنع هذا الحلم من أجل الزبائن الذين يريدون تدريب عقولهم ورفع ثقتهم بأنفسهم بشكلٍ شبه دائم. يتغير محتوى الحلم حسب الصدمة النفسية التي مرَّ بها الزبون.

ثانيًا، يُحصَّل ثمن الحلم فقط إذا استيقظ الشاري بعد الحلم شاعرًا بمشاعر إيجابية، وبهذا ينتهي هذا العقد.

ثالثًا، نظرًا إلى طبيعة الحلم، يمكن للمشتري طلب إرجاعه أو استبداله بحلمٍ آخر خلال شهر من تاريخ الشراء، ولكننا لا نرجح ذلك لأن الأحلام تُنسى على أيَّة حال ومن المحتمل أن يقوم المشتري بشراء نفس الحلم مرَّة أخرى.

رابعًا، تلقيت شرحًا وافيًا للحلم وأوافق على الحلم به على فترات منتظمة يحددها البائع.

(توقيع)

* يمكن للبائع وقف بيع الحلم في أيِّ وقت إذا واجه المشتري صعوبات في الحياة اليومية بسبب الضغط العصبي أو إذا عانى أرقًا ناتجًا عن القلق.

كان التوقيع أسفل التعهد بالتأكيد توقيعهم، فبدت الحيرة على وجوه الزبائن الذين كانوا يثيرون جلبة منذ قليل. قرأ الزبائن النص عدَّة مرات حتى يفهموه بالكامل.

سأل أول زبون انتهى من القراءة:

- ولكن كيف يمكن تدريب العقل أو رفع الثقة بالنفس بمثل هذه الأحلام؟ سنكون محظوظين لو لم تُسبب لنا ضغطًا نفسيًّا أكبر.

وافقت بيني على سؤاله. كان هذا ما تريد بيني سؤاله منذ البداية. كانت تتفهم جيدًا سبب غضب الزبائن.

رد دالوجوت بهدوء: «نحن نعتذر إذا سببتْ لكم منتجاتنا أيَّ ضغط نفسي. يمكنكم بالطبع إلغاء الشراء الآن ولن تروا هذا الحلم مجددًا. وبالطبع لن تضطروا إلى دفع ثمن الحلم لأنكم لم تروا تأثيره بعد.

عندما تحدث دالوجوت عن إرجاع الحلم برحابة صدر، بدأ الزبائن يهدؤون.

راقبت بيني الموقف وعندما لم يعترض أحد، أضافت: «هذا صحيح، يمكنكم فعل ما تريدون.

ولكن بما أنكم بدأتم بالفعل، فما رأيكم بالانتظار قليلًا حتى تروا تأثير الأحلام؟».

بدا أن إحدى الزبائن قد سئمت من الأمر حيث قالت وهي ترتجف غضبًا: «هل لديكم أدنى فكرة كم هو مزعج أن ترى شيئًا تكرهه في الحلم؟ فنحن نتمنى أن تحدث لنا أشياء جيدة فقط، حتى لو كان في الحلم».

حاول دالوجوت تهدئتها قائلًا: «لكن هل كانت تلك الذكريات سيئة بأكملها؟».

توجهت أنظار الزبائن إلى دالوجوت ينتظرون ما سيقوله.

- لو فكرنا في الأمر بالعكس، أصعب فترة في حياة الإنسان، هي أكثر فترة بذلنا فيها قصارى جهدنا. وما دام مرَّت، فالأمر يتوقف على

طريقة رؤيتنا له. لقد مرَّ هذا الوقت، وأنتم الآن تعيشون حياة جيدة، أليس هذا دليلًا على قوتكم؟

استمع الزبائن لكلام دالوجوت وهم يحتسون الباقي من الشاي.

استغلت بيني الفرصة وناولت كلًّا منهم كعكة من «كعك التهدئة».

امتلأت الغرفة السرية بأصوات مضغ الكعك وتصادم أكواب الشاي.

قالت الفتاة ذات ملابس النوم المنقوشة: «لكن إحقاقًا للحق، يقال إن العلاج النفسي يبدأ من تقبل ذاتك كما هي. فكلامه يحمل بعضًا من الصحة».

أومأ البعض موافقين.

بعد قليل طالب نصف الزبائن من دالوجوت إلغاء عملية الشراء.

- حسنًا، إذا أردت ذلك سوف نُلغي العقد.

- أشعر بالأسف لأنني أفعل ذلك بعدما أصررت على شراء الحلم ووقعت على التعهد. لكني أريد أن أدفن تلك الذكريات للأبد.

- لا بأس، لا تقلق بشأن هذا. عندما تصبح مستعدًا يمكنك أن تعود إلينا مرَّة أخرى.

أسرع الزبائن الذين ألغوا عقودهم بمغادرة القبو لاستكمال نومهم.

أما النصف الآخر الذي عزم على الإبقاء على العقد فقد وقفوا يشجعون بعضهم بعضًا.

- لنتحمل قليلًا حتى لا نرى أحلام التجنيد بداية من السنة القادمة!

- هذا صحيح، أنا أيضًا لا أريد أن أحلم بالخضوع لامتحان مرَّة أخرى، هل سيتوقف الأمر إذا راودتني مشاعر إيجابية بعد الاستيقاظ من الحلم؟

- نعم، لكن بالطبع لن يكون هذا سهلًا.

قال دالوجوت وهو يقوم من مقعده.

- ولكن لا تنسوا، لقد تغلبتم على أمور أكثر مما تحسبون. وسوف تتحسن حياتكم أكثر عندما تدركون ذلك. هذه هدية صغيرة أقدمها لكم لتحلِّيكم بالشجاعة اليوم.

أخرج دالوجوت زجاجة عطر بحجم إصبع اليد وبدأ يرش على أكمام الزبائن. فاحت من أطراف أكمامهم رائحة رقيقة كرائحة الغابة في فصل الصيف.

- ما هذا؟

قربت الزبونة ذات ثياب النوم المنقوشة كمها من أنفها واشتمت العطر.

- يا لها من رائحةٍ جميلة.

- إنه عطر يساعد على التفكير بشكل إيجابي. تأثيره ليس كبيرًا، ولكنه مفيد. أنا أحب استخدامه أحيانًا عندما تتعقد الأمور. عندما تشعرون بالضيق مثل اليوم فتفضَّلوا بزيارة متجرنا وسأرش لكم منه كما تريدون. بالطبع يمكنكم أيضًا القدوم لفسخ العقد مثل الزبائن الذين غادروا منذ قليل.

صعد باقي الزبائن وبقيت بيني ودالوجوت فقط ليزيلا أكواب الشاي.

- سيد دالوجوت، ماذا سنفعل إذا قام كل الزبائن بفسخ العقد؟ سوف تكون خسارة كبيرة لنا ولمؤلفي الأحلام بالطبع.

- لندعُ ألا يحدث ذلك.

- ماذا؟ هل تقصد أننا لا نملك أيَّ استراتيجية لمنع هذا الأمر من الحدوث؟

- لقد أبقى نصف الزبائن على عقودهم اليوم، وهذا أمرٌ عظيم في حد ذاته. أنا أومن أن هذا الحلم سوف يأتي بنتيجة.

كان دالوجوت يبدو واثقًا.

***

كلما قارب الرجل على نسيان حلم التجنيد، زاره مرَّة أخرى. وكل مرة كان يشعر بالانزعاج، ولكن يومًا ما قرر أنه لا بد أن يتوقف عن ترك تلك الأحلام تشغل تفكيره. فقد أكمل خدمته العسكرية بشكل مثالي على أيَّة حال. وفي المرة التالية التي رأى فيها هذا الحلم ضحك قائلًا في نفسه: «هذا صحيح، لقد أنهيت الخدمة العسكرية، هل هناك في الدنيا شيء لا أستطيع فعله؟»، ثم تجاهل الأمر.

تذكر الرجل إصراره وخطواته المترددة يوم أنهى خدمته العسكرية وبدأ حياته العملية. لم يستغرق وقتًا طويلًا في إدراك أنه ما دام استطاع تجاوز هذا الحلم، فالأمر لم يُعد صدمة نفسية، وإنما تحول إلى إنجاز.

في تلك اللحظة، تم تحصيل ثمن الحلم من قبل متجر دالوجوت. ومنذ وقتها لم يحلم الرجل بأنه يعود إلى الجيش مرَّة أخرى.

***

بعدما تكرر حلم الامتحان، شخصت الفتاة نفسها بأنها لم تستطع بعد التخلص من الضغط النفسي الذي تعرضت له وقتها رغم عدم حاجتها إلى الخضوع لامتحانات الآن.

جعلها هذا تدرك أنها دائمًا ما تضع لنفسها أجلًا محددًا لكل الأمور في حياتها سواء في عملها في الشركة أو حتى في الأمور التي لا موعد لها ولا إجبار فيها كالزواج والإنجاب.

بعد أربعة أيام متتالية حلمت فيها بنفس الحلم، استيقظت في صبيحة يوم مطير وقررت أنها لن تدع عقلها الباطن يتحكم بها. جلست بارتياح بجانب النافذة وأغمضت عينيها، وبدلًا من تذكر لحظات التوتر والقلق في أثناء الاختبارات، حاولت التركيز على لحظات انتهائها من الاختبارات بنجاح.

أنا فخورة بنفسي لأنني أبليت بلاءً حسنًا حتى الآن. فعلت ذلك في الماضي وسأفعله في المستقبل مهما كانت العقبات.

كان هذا كل ما تحتاجه الفتاة، أن تثق بنفسها تحت أيِّ ظرف وأن تتحرر من ذلك الضغط.

في تلك اللحظة، سددت الفتاة ثمن الحلم. ولم تعانِ بعدها أحلامَ الاختبارات. وبمرور الوقت نسيت أنها كانت يومًا تعاني تلك الأحلام.

***

ترررن.

وصلت كمية كبيرة من «الثقة بالنفس» كثمن لـ«حلم التغلب على الصدمات النفسية».

وصلت كمية كبيرة من «الافتخار بالنفس» كثمن لـ«حلم التغلب على الصدمات النفسية».

قال دالوجوت بارتياح وهو يتفقد الإشعارات على الشاشة: «ها قد بدأ الزبائن في التسديد. بالمناسبة يا بيني، ما رأيكِ أن تأتي معي لإيصال الرسوم المُحصلة لماكسيم؟ لا يوجد الكثير من الزبائن اليوم. أعتقد أنه يمكن لويذر أن تتولى أمر المكان وحدها، أليس كذلك يا ويذر؟».

- سيمكنني فعل ذلك إذا اشتريتم لي كعكة كريمة في طريق عودتكم.

وافقت العمة ويذر بسرور.

- هلا نذهب يا بيني؟ يحب ماكسيم مقابلة الناس، ولكنه لا يفضل الخروج. سوف يسعد بزيارتنا.

- نعم... حسنًا.

أجابت بيني بقلق.

لم تستطع بيني إخفاء قلقها طوال الطريق لورشة ماكسيم. أخذت تماطل مُتخذة خطوات أقصر من العادة. كانت بيني تعلم الشائعات التي تدور حول ماكسيم. لم تكن هناك طريقة للتأكد من صحة كل الشائعات، ولكن كانت هناك شائعة واحدة مؤكدة، أنه كان يجلس في ورشته في الحارة الخلفية مغلقًا الستائر المعتمة يصنع أحلامًا مظلمة طوال اليوم.

عرفت بيني من خلال أحداث اليوم الماضي أن أحلام ماكسيم لم تكن مظلمة بالكامل، ولكنها كانت لا تزال قلقة من لقاء شخص مثله.

توقف دالوجوت الذي تقدمها بمسافة واستدار.

- هيًا يا بيني أسرعي.

- نعم يا سيد دالوجوت، أنا قادمة.

استسلمت بيني للواقع وأسرعت.

بدت ورشة ماكسيم موحشة كأنها تنتمي إلى عالم مختلف مقارنة بالمتاجر التي تجاورها. يبدو أنه لا يستقبل الزبائن في ورشته، بدا ذلك واضحًا من كومة أوراق الشجر التي لم ينظفها أحد والأشياء غير المستخدمة التي وُضعت أمام الباب. كانت هناك نافذة كبيرة إلى حدٍّ ما، ولكنها كانت مغطاة بستائر معتمة جعلت الورشة تبدو أكثر ظلامًا.

صعد دالوجوت درج المدخل وطرق الباب بخفة.

- ماكسيم، هل أنت بالداخل؟

- سيد دالوجوت، ما الذي جلبك إلى منزلي المتواضع؟

فتح الباب شابٌ طبيعي مُهذب على عكس توقعات بيني. كان يرتدي قميصًا بأكمام قصيرة وسروالًا من الجينز ممزقًا من عدة أماكن، وفوقهما مريلة سوداء. كان طويلًا ذا كتفين عريضتين وأطراف نحيفة. لكنه كان يقف محنيًا قليلًا كأنه يقف على أرض مائلة. عندما شاهدته بيني يخطو داخل ورشته بدا عموده الفقري كأنه قد انكسر ثم أعيد تركيبه مرة أخرى.

جلس ثلاثتهم حول الطاولة التي نظفها ماكسيم على عجل. كان دالوجوت يتناول التين المنقوع في النبيذ الذي قدمه ماكسيم لهما. لم تقرب بيني التين، لا تدري إن كان ذلك بسبب أجواء الورشة المظلمة، ولكنه بدا لها مثيرًا للريبة بلونه الأحمر الداكن الذي يشبه الدم.

قالت بيني: «معذرة هل يمكنك إنارة الأضواء أكثر قليلًا؟ الغرفة مظلمة للغاية. يمكنك أن تزيح الستائر، فالشمس مشرقة اليوم بالخارج».

كانت خائفة من الظلام من ناحية وتريد رؤية الورشة بوضوح من الناحية الأخرى.

- أنا آسف. ولكن الإضاءة الزائدة عن اللازم قد تجعل الأحلام التي أصنعها باهتة. يجب أن تكون الأحلام التي أصنعها أكثر دقة ووضوحًا من أيِّ أحلام أخرى. فهي لن تكون لها فائدة إذا بدت كحلم عادي. أتمنى أن تتفهمي ذلك.

- نعم، معك حق.

أدركت بيني أنها تعدَّت حدودها، فحاولت أن تبين أسفها بتناول الطعام الذي قدمه لهما، فوضعت حبة من التين في فمها. كانت حلوة المذاق وطرية أكثر مما تخيلت.

- ها هو ثمن الأحلام.

أخرج دالوجوت ظرفًا ممتلئًا من ملابسه وناوله لماكسيم.

- حصلتموها أسرع من المتوقع. يبدو أن زبائنك أقوياء جدًا. لا لا، هذا بالتأكيد يرجع إلى مهارتك يا سيد دالوجوت.

- لا إطلاقًا. إنه بفضل قوة وحكمة زبائننا، لقد اختاروا حلمك بأنفسهم.
- شكرًا لأنك تبيعها بدلًا مني. لم أتوقع أن يحظى حلمي بإعجاب أحد خاصة أنه يبدو سيئًا في البداية.
- بل شكرًا لك. شكرًا لأنك أصررت على صناعة هذه الأحلام. أعتقد أن العالم بحاجة إلى أحلام مثل التي تصنعها.

لم تكن بيني متأكدة مما رأته بسبب الظلام، ولكنها ظنت أنها رأت ماكسيم يحبس دموعه حيث بدا عليه التأثر ورفع عينيه إلى الأعلى وضمَّ شفتيه.

- لا أدري ماذا أقول لك. لكن العمل في هذا المجال يجعلك تشكُّ في نفسك. أنت تعلم أن كلًّا منا لديه وقت يريد نسيانه. أليس من الأفضل أن ننساه ونعيش حياتنا؟ ربما تكون هذه أفضل طريقة حقًّا. «هل أقوم بعملٍ لا فائدة منه، أحيانًا ما تعذبني تلك الأفكار».

كان دالوجوت غارقًا في أفكاره. لا بد أنه يختار كلماته بعناية ليرد.

لم يكن ماكسيم شخصًا مخيفًا كما تخيلت بيني، مما جعلها لا تتردد في التدخل في المحادثة.

قالت بيني ببراءة: «أليس من الممكن أن تخبرهم بذلك بطريقة مبسطة؟ يمكنك أن تصنع أحلامًا تحوي لحظات الإنجاز أو اللحظات السعيدة».

- أنت تعرفين كيف تجعلين المحادثة ممتعة.

يبدو أن ماكسيم أعجبه كلام بيني.

- إذا صنعت أحلامًا ممتعة ستحظى بإعجاب الجميع! وسوف يصبح تحصيل ثمن الأحلام أسهل بكثير!
- هل أنتِ قلقة بشأني؟

أشار ماكسيم إلى نفسه بإصبعه الطويلة.

فحصت بيني تعابير وجهه خوفًا من أن يكون قد انزعج لظنه أنها تشفق عليه، ولكن بدا أنه يمزح فقط.

سألها دالوجوت: «بيني، ماذا تعتقدين الفرق بين الحلم الجيد والسيئ؟».

- أعتقد أنك أخبرتني من قبل...

تذكرت بيني ببطء كلام دالوجوت. راقبها ماكسيم وهي غارقة في أفكارها.

- قيمة الحلم دائمًا ما يحددها الزبون... أما، هل سيدرك الزبون الأمر بنفسه أم لا، هنا يكمن الفرق. من المهم أن يصل الزبون إلى الاستنتاج بنفسه بدلًا من أن نخبره بذلك. الأحلام التي تتمكن من فعل ذلك هي أحلام جيدة.

- أصبتِ. يجب أن نساعدهم كي يدركوا أنهم تغلبوا على تلك الأمور الصعبة بأنفسهم في الماضي.

- نعم، وهذا سبب بيعنا للأحلام. في النهاية كل شيء يعتمد على الزبائن. هل هذا صحيح؟

- سيد دالوجوت، لديك موظفة جيدة جدًّا.

ابتسم ماكسيم بإشراقٍ كأشعة الشمس بالخارج.

5. الاجتماع العام الدوري لمؤلفي الأحلام

كان المتجر هادئًا اليوم. الزبائن يتفقدون الأحلام بغير عجل، أما دالوجوت فكان يتجول في المتجر حاملًا صندوقًا من الحلوى ويناول الزبائن الذين لم يشتروا أحلامًا حلوى منومة كهدية.

- هل يمكنني أخذ واحدة أخرى؟

مدَّت إحدى الفتيات يدها له بلا خجل.

- هل لديكِ عطلة من العمل غدًا؟

- لا، سأذهب إلى العمل غدًا.

- تناولي واحدةً فقط إذًا. إذا تناولتِ اثنتين ستنامين بعمق لدرجة أنك لن تسمعي رنين المنبه.

كانت الفتاة ترتدي ثوبًا للنوم من قماش الدانتيل، تجهمت عندما فكرت في الذهاب إلى العمل بالغد وارتخت كتفاها في إحباط ثم غادرت المتجر في النهاية.

لم يكن لدى بيني شيء تفعله اليوم. قضت وقتها في مسح موازين الجفون مرَّة أخرى رغم أنها مسحتها بالفعل منذ قليل. عدما اقترب وقت مغادرتها

للعمل وقفت شاردة الذهن في مكتب الاستقبال. جلست العمة ويذر بجانبها تكتب شيئًا ثم تمسحه مرارًا وتكرارًا.

أشارت ساعة الحائط إلى الخامسة والخمسين دقيقة.

- ويذر، أظن أنه حان الوقت لنذهب. لقد حجزت سيارة أجرة الساعة السادسة.

اقترب دالوجوت من مكتب الاستقبال حاملًا سلة الحلوى الفارغة.

قالت العمة ويذر بقلق: «يا إلهي، مرَّ الوقت بسرعة. لم أستطع بعد تقرير نوع الحلى التي سنستخدمها في تزيين المتجر في موسم الكريسماس. كنت أريد شراءها اليوم...».

- أين أنتما ذاهبان معًا؟ وما خطب زينة الكريسماس؟ تبقى الكثير من الوقت حتى الكريسماس.

تساءلت بيني.

تمتمت العمة ويذر دون أن ترفع عينيها عن الورقة: «لا يمكننا الانتظار! لا يوجد غير متجر زينة واحد في هذا الحي. لو تأخرنا في الطلب فلن نحصل على زينة جيدة. السنة الماضية اضطررنا إلى دفع 100 جودن في شجرة عشوائية قطعوها من الجبل، كانت تبدو ككتلة طين. ليس لديكِ فكرة كم استمر مو تيه إيل في إغاظتي كلما مرَّ من أمامها متسائلًا لم جلبت كومة من الحطب».

- إذًا أين أنتما ذاهبان اليوم ولمَ حجزتما سيارة أجرة؟

ناولتها ويذر بلا انتباه ورقة مُجعدة كانت فوق المكتب.

فتحت بيني الورقة وبدأت في قراءتها.

السادة مؤلفي وبائعي الأحلام.

سيُفتتح الاجتماع الدوري لهذه السنة في «بيت نيكولاس» الواقع في مدخل جبل الثلج الدائم في الشمال. موضوع الاجتماع الرئيسي هو «تخلّف الزبائن المتكرر عن القدوم». فنرجو من جميع المسؤولين الحضور بلا استثناء.

رئيس جمعية العاملين في قطاع الأحلام.

قالت ويذر بلا مبالاة: «لقد تلقى دالوجوت دعوة، ولكن يمكنه أن يُحضِر مرافقًا واحدًا. إنها فرصة لرؤية مؤلفي الأحلام المشهورين عن قرب. رغم أنني سئمت من هذا الأمر الآن...».

- ما رأيك أن تصطحب المدير مايوس؟ إنه يعشق الأحلام، بالتأكيد سيرغب في مقابلة مؤلفيها.

- ليس بالضرورة. مايوس يحب الأحلام ذاتها. ولكنه يُكِن ضغينة لصانعيها... كيف أشرح لك الأمر؟

خفضت العمة ويذر صوتها وأكملت: «إنه يغار قليلًا منهم. يبدو أنه طُرد من الجامعة قبل التخرج لسبب ما. فلو كان تخرج من الجامعة لأمكنه أن يصبح صانع أحلام واعدًا. أعتقد أنه ما زال يتذكر هذا الوقت لذا من الأفضل ألا نتحدث عن صانعي الأحلام أمامه».

لم تبدِ ويذر رغبة في التحرك واستمرت في الكتابة في دفتر الملاحظات «إكليل الكريسماس 30 سم، أشرطة من الساتان 30 لفة، زينة من القطن 1000 قطعة، قرون غزال للزينة 3 قطع».

قال دالوجوت بجفاف: «ويذر، إذا كنتِ مشغولة يمكنني الذهاب وحدي».

- حقًّا؟

لم تحاول العمة ويذر إخفاء السعادة التي ظهرت على وجهها.

- بالطبع، يمكنني الجلوس بصمت بين مؤلفي الأحلام ثم أتناول الطعام وأعود.

اختفت الابتسامة من وجه العمة ويذر لسماعها ذلك.

تدخلت بيني في المحادثة، ليس لرغبتها في إسدائها خدمة، ولكن لأنها كانت ترغب بشدة في المشاركة في هذا الاجتماع.

- هل يمكنني الذهاب؟ فليس لديَّ شيء لأفعله بعد مغادرة العمل.

- حقًّا؟

بدت السعادة على كليهما.

- سوف أرتدي معطفًا وآتي، انتظريني قليلًا.

بدت العمة ويذر كأن عبئًا أزيل عنها حيث أضافت «مصابيح تزيين للشجرة» إلى دفتر ملاحظاتها بينما تدندن ترانيم قديمة.

- لم أكن على دراية أن مكتب الاستقبال يتولى أمر تزيين المتجر وقت الكريسماس.

كانت بيني تريد تعلُّم كل تلك الأمور لأنها ستقوم بها وحدها بدايةً من السنة القادمة.

- لا، يتولاه من يريد. أنا أحب تلك الأمور. فعندما أصبحت ابنتي الصغيرة حاملًا، انشغلت في شراء الأشياء لتزيين غرفة الطفل وانهمكتُ في الأمر حتى أصبحت ابنتي في الشهر الأخير من الحمل. لكن قبل أن أتولى هذا الأمر، كان مايوس مسؤولًا عنه.

- هل تقولين إن المدير مايوس كان يتولى أمر زينة الكريسماس؟

- فعل ذلك لعام واحد فقط. لكنه ظلَّ يزعج الموظفين طوال اليوم فيتذمر تارة من فروع الشجرة غير المتساوية على الجانبين وتارة أخرى يجعلهم ينظفون قطع الحُلي البراقة التي تساقطت على الأرض.

نفّذ موظفو الطابق الثاني ذلك بكل سرور لأنه كان دومًا يحرص على توظيف المهووسين بالنظافة فقط، أما باقي الموظفين فقد ذاقوا طعم الجحيم. لذلك قررت تولي الأمر بنفسي من أجل مصلحة الجميع. فأنا أستمتع بالتسوق. على أيّة حال، أريد أن أطلب الزينة اليوم لأتفقدها على مهل. إنه أمر مهم جدًّا بالنسبة لي.

بدت العمة ويذر غاية في الاستمتاع. عاد دالوجوت مرتديًا معطفًا بُنيَّ اللون وحذاء مطرٍ أزرق لا يتناسب مع لون المعطف على الإطلاق.

- سيد دالوجوت، الحذاء الذي كنت تنتعله منذ قليل أفضل.

في تلك اللحظة تردد صوت بوق سيارة الأجرة بالخارج.

- هيًا نذهب.

- سيد دالوجوت، إنه لشرف لي أن أوصلك اليوم.

خلع السائق الشاب قبعته ومدّ يده باحترام ليصافح دالوجوت.

- بل الشرف لي! شكرًا أنك أتيت في الموعد.

بدا أن حذاء دالوجوت كان ضيقًا حيث أخذ ينظر تحت قدميه ويتأوه مما جعله لا يلحظ يد السائق.

شعر السائق بالحرج فسحب يده ورفع صوت المذياع ثم انطلق.

عبرت سيارة الأجرة وسط المدينة. كان دالوجوت ينظر عبر النافذة في صمت. شعرت بيني بالجوع، فهي لم تتناول الكثير على الغداء. أصدرت معدتها أصواتًا، ولكن لحُسن الحظ فإن صوت المذياع قد غطى على تلك الأصوات.

- هل يمكنني أنا أيضًا تناول العشاء هناك؟ يبدو أن هذا الاجتماع هو لكبار الزوار فقط... العمة ويذر تعمل في هذا المجال منذ زمن طويل لكن أنا مجرد موظفة جديدة لا يعرفها أحد.

- لا تقلقي بشأن هذا. أُسست هذه الجمعية في البداية حتى يتمكن المسؤولون من إيجاد حلول لأيِّ مشكلة تحدث في قطاع الأحلام، ولكنه مؤخرًا أصبحنا نتجمع لتناول العشاء معًا فقط. لا أحد يهتم مَن جلب مَن معه، فكما تعرفين الأجواء المريحة تجعلنا نستطيع التحدث بشكل أفضل.

- ولكن الإعلان يقول إنكم ستتناولون موضوعًا ليس بالخفيف اليوم.

- هل تعنين موضوع تخلُّف الزبائن عن الحضور؟

- نعم، هل يقصدون بذلك الزبائن الذين يحجزون الأحلام ثم لا يستطيعون النوم يومها فلا يأتون؟ أنا أيضًا أعلم بشأن هذا.

- أنت تعلمينه بالفعل حقًّا. هذا صحيح. بالطبع ليس موضوعًا خفيفًا. فهو يسبب الكثير من الخسائر خاصةً لمن يتبعون نظام الدفع الآجل مثلنا.

- ما العمل لو أثر هذا على متجرنا؟

شعرت بيني بالقلق من أن تكون وظيفتها معرضة للخطر بعدما حصلت عليها بصعوبة.

- ليست مشكلة كبيرة لهذه الدرجة. لطالما واجهنا هذه المشكلة منذ زمن بعيد. لنأمل أن نخرج بفكرة جيدة في اجتماع اليوم.

لمحت بيني ورشة ماكسيم المعتمة من النافذة اليمنى.

- هل سيشارك السيد ماكسيم أيضًا؟

- لا أدري، في العادة هو يكرس كل وقته للعمل فلم يشارك في الاجتماع ولا مرة، هل تريدينه أن يأتي؟

قالت بيني وهي تعبث بشعرها القصير: «سأشعر بالارتياح لو كان هناك شخص آخر أعرفه».

بعد عبورهم أحد الأزقة، قلَّ الناس بشكلٍ ملحوظ. وبعد فترة من دخولهم إلى طريق مخصص للسيارات بضواحي المدينة، بدأت بيني تُدرك أن المكان من حولهم قد أصبح أكثر بياضًا، وما لبثوا أن وصلوا إلى مدخل جبل الثلج الدائم. قال السائق بعد صمته طوال الرحلة: «يجب عليكما إكمال الطريق مشيًا؛ لا يسمحون للسيارات بالدخول».

لم يكن حذاء بيني ذو الرقبة القصيرة مناسبًا للطريق المؤدي لكوخ نيكولاس، حيث ظلَّت قدماها تنغرز في الثلج حتى وصل إلى كاحلها. شعرت بيني بالغيظ من دالوجوت وهي تراه يسير بسلاسة مرتديًا حذاء مطر.

- ها هو كوخ نيكولاس.

توقف دالوجوت.

ظهر كوخ نيكولاس بعد مرورهما بعدَّة أشجار ضخمة، في مكان لم تتوقع بيني وجود أيِّ شيءٍ فيه. كان البيت أكبر من أن يُطلق عليه «كوخ». بدا أكثر سطوعًا من الثلوج حوله بفضل الحُلي الفضية الصغيرة التي زُين بها.

- لماذا لم نستطع رؤية هذا البيت من القرية؟

- إنه أكثر بياضًا من الثلج، فلا يمكننا رؤيته في وضح النهار. يبدو رائعًا مثل كل مرة.

- سيكون الذهاب إلى أي مكان صعبًا إذا كنت تعيش في بيت مثل هذا.

- لا تقلقي فهو لا يغادر منزله إلا في أيام الشتاء المعدودة على أيَّة حال.

عبست بيني عندما أدركت أن جواربها ابتلت بفعل الثلج.

بمجرد أن وصلا إلى الباب حتى فتح لهما رجلٌ عجوز بدا أنه يكبر دالوجوت بعشرين عامًا أو أكثر.

- دالوجوت!

حيَّاه العجوز بحماس ممسكًا بيده. كان شعر رأسه وحاجبيه أبيض كالثلج.

- نيكولاس، كيف حالك؟

صافحه دالوجوت بترحاب.

- أنت أول مَن يصل. هؤلاء الحمقى صانعو الأحلام، يكرهون تأخر الزبائن ثم انظر كيف يتأخرون هم.

مصمص العجوز المدعو بنيكولاس شفتيه في استياء.

- هل هذه موظفة جديدة؟ هل أتت بدلًا من ويذر؟

- نعم، تعالي وألقي التحية يا بيني. هذا نيكولاس صاحب المنزل.

- أهلًا. أنا بيني. بدأت العمل في متجر الأحلام منذ بداية هذه السنة.

- سعيد بمقابلتك. أنا نيكولاس. بالطبع تعرفين من أنا؟

لم تكن بيني تعرف أيَّ شيء عن صانع الأحلام المدعو بنيكولاس. عندما قرأت الإعلان ظنت أنه أحد موظفي الجمعية. التقت أعينهما فابتسمت بيني ابتسامةً لائقة لتُخفي جهلها.

- هيًّا لندخل. انظري إلى جواربك، قد تتعرضين لعضة صقيع.

شعرت بيني بالإحراج فخلعت جواربها المُبللة ثم ثنت الجزء الخلفي من حذائها وانتعلته مرَّة أخرى وتوجهت إلى الداخل.

- انتظرا هنا قليلًا. سوف أحضر لكما شيئًا تأكلاه. طبخت بعضًا من الأضلاع المشوية اللذيذة اليوم. فقد اشتريت فرنًا فاخرًا. ولديَّ الكثير من الخمر المناسبة للطعام.

قادهما نيكولاس نحو المطبخ الذي يُستخدم كغرفة معيشة أيضًا. كانت هناك طاولة عريضة ذات عدة مقاعد، وراءها نافذة تتخذ شكل قوس تطلُّ على منظر الثلوج ناصعة البياض بالخارج. فوق الطاولة وُضع مصباح صغير محاط ببعض النباتات المعمرة. كانت هناك أيضًا شجرة صنوبر أكبر من أن تُوضع في المطبخ، ولكنها لم تبدُ غريبة على الإطلاق، بل كانت مناسبة للمكان.

فكرت بيني أن العمة ويذر يمكنها أن تحصل على الكثير من الأفكار لزينة الكريسماس إذا أتت إلى هنا. أرادت أن تلتقط صورة من أجلها على الأقل.

- سيد دالوجوت، ما نوع الأحلام التي يصنعها السيد نيكولاس؟ إنها أول مرة أسمع اسمه.

- هذا وارد، قد يكون اسمه غريبًا عليكِ. ماذا تتوقعين نوع الأحلام التي يصنعها بالنظر إلى منزله؟

- أعتقد أنه يصنع أحلامًا تشبه قصص الأطفال. جدٌّ يعيش في الجبل الجليدي، كوخٌ مملوء بزينةٍ برّاقة وطعام وفير... آه! يبدو المكان هنا كالكريسماس.

- أنتِ سريعة البديهة!

- ماذا تقصد؟

- إن نيكولاس والكريسماس لا ينفصلان عن بعضهما بعضًا.

حدَّق إليها دالوجوت كأنه لا يستطيع التلميح أكثر من ذلك. لكن بيني استطاعت التوصل إلى الاستنتاج بسهولة.

- هل هو سانتا كلوز؟

- هذا صحيح! هو سانتا كلوز! لكننا نناديه نيكولاس فيما بيننا.

كان سانتا كلوز يمتلك مهارةً تماثل مهارة أساطير تأليف الأحلام الخمسة: ياسنوز أوترا، كيك سلامبر، واوا سليب لاند، دوچيه وأجانيب كوكو، إلا أنه يُصرُّ على نمط حياة معين، فلا يعمل إلا في فصل الشتاء، ولا يبيع الأحلام إلا وقت الكريسماس.

ولكن كونه يعيش في هذا الترف رغم أنه يعمل في موسم الكريسماس فقط، ما هو إلا دليلٌ على مهاراته.

- لا يطمع نيكولاس في المجد. إنه ليس إلا جدٌّ يحب أجواء الكريسماس ويحب الأطفال. ويحب أشياء مثل هذه.

أمسك دالوجوت بشوكةٍ فضية فاخرة وابتسم.

فكرت بيني أن نيكولاس بارع جدًّا في الحفاظ على التوازن بين العمل والحياة. كانت حياةً يتوق الناس إلى أن يعيشوا مثلها.

عاد نيكولاس بعد وقت من المطبخ حاملًا في إحدى يديه سلة تحوي خبزًا وفي اليد الأخرى طبقًا من سلطة الفواكه. جهَّز دالوجوت وبيني الطاولة لمساعدته.

عندما رأته بيني عن قُرب، لم يكن شعر رأسه وحده أبيض، بل كانت لحيته القصيرة أيضًا ناصعة البياض.

عندما أوشكوا على الانتهاء من تجهيز الطاولة، بدأ المشاركون في الاجتماع في الظهور. كانت أجانيب كوكو صانعة الرؤى هي أول من يصل بعد بيني ودالوجوت. وعلى غير المتوقع كان يرافقها ماكسيم. يبدو أنها اختارته بدلًا من مرافقيها. دخلا هما أيضًا بأحذية مُبتلة بفعل الجليد تاركين بقعًا من المياه على الأرضية.

كان مظهر ماكسيم الضخم إلى جانب أجانيب صغيرة الحجم متناقضًا للغاية. لكن المدهش في الأمر أن الهالة التي تُحيط بهما بدت متماثلة. هل يمتلك جميع صانعي الأحلام المخضرمين هالة مُشابهة؟ شعرت بيني بنفس تلك الهالة عندما قابلت دالوجوت للمرَّة الأولى. شعرت فجأة بالحماس لكونها تشارك في هذا الاجتماع. كأن وجودها وسط أشخاص مميزين قد يصيبها بعضٌ من ذلك التميز. شعرت أنه من حقها أن تستمتع بالأجواء في يوم مثل هذا.

حيتهما بيني بنبرة أكثر حماسًا من عادتها: «أهلًا!».

- أوه. أتت موظفة أخرى بدلًا من ويذر. إنها الفتاة اللطيفة التي رأيتها عندما ذهبت لتوصيل الرؤى المرة السابقة.

اندهشت بيني أن أجانيب كوكو تتذكرها.

حيَّاها ماكسيم: «بيني. لم أتوقع أن أراكِ هنا!».

كانت عيناه تترغرغان بالدموع. تفاجأت بيني للحظة ظنًّا منها أنه يبكي لسعادته بلقائها رغم معرفتها أن هذا أمرٌ مستحيل. تساقطت الدموع من عينيه بغزارة.

- عيناي تؤلمانني. الأنوار ساطعة للغاية حول المنزل. بالمناسبة يا بيني، لقد غيرت الستائر العاتمة في الورشة بعد زيارتكما. بدلتها بستائر رمادية اللون. قلتِ حينها إن الورشة معتمة للغاية.

- ماذا؟ ستائر رمادية؟

- نعم، يقال إن اللون الرمادي ينفذ الضوء بنسبة 3% أكثر من اللون الأسود.

- آه...

لم تعرف بيني كيف تجيبه لذا ظلَّت تحدِّق إليه في صمت. بدا كطفل ضخم خجول ينتظر الثناء، لكنَّ عينيه كانتا لا تزالان تؤلمانه فلم يفتحها بالكامل مما جعله يبدو كأنه يحلم بكابوس.

- ارتدِ نظارة.

ضربه نيكولاس بخفة.

- حان الوقت لتتوقف عن صُنع الأحلام المظلمة وتعيش في النور. فأنت ما زلت شابًّا.

بدا أن ماكسيم قد تعرَّض لهذا الأمر من قبل حيث تلقى نظارة الشمس من نيكولاس بلا اعتراض.

أجابه ماكسيم بجدية بعدما ارتدى نظارة الشمس الضخمة: «هناك الكثيرون يعيشون بلا أيِّ خوف في هذا العالم. فالملاءة الدافئة، والطعام

الساخن، والبيت الآمن... كل تلك الأشياء لا تدوم. أريد تدريب الناس ليصبحوا أقوى».

- لكن أنت نفسك لا تبدو قويًا فلا تقلق بشأن الناس. أنت وحدك الذي تفكر بهذه الطريقة. كما أنني أظن أن هناك الكثير من الأشياء المخيفة أكثر من التي ذكرتها. فهناك الغيرة والشعور بالنقص مثلًا، إنها أشياء تخيف أكثر من أن يطاردك حيوان مفترس.

قال ماكسيم وقد بدا عليه الاهتمام: «إنها فكرة مشروع رائعة».

تدخل دالوجوت لينهي المحادثة: «هيًا، لنتوقف عن الحديث عن العمل ونجلس».

جلست أجانيب كوكو بجوار نيكولاس. ظنت بيني أن ماكسيم سيجلس بجوار أجانيب، ولكنه تردد قليلًا ثم جلس إلى جانبها. فكرت بيني أنه ربما هناك مغزى وراء تركه لكل تلك المقاعد واختياره للمقعد الذي يجاورها، ولكنه كان لا يزال يرتدي نظارته فلم تستطع بيني قراءة تعبير وجهه.

لم يضع نيكولاس سوى القليل من التوابل في الطعام، إلا أنه كان ذا مذاقٍ لذيذ لجودة المكونات التي استخدمها. كانت أجانيب تتناول ثاني طبق لها من سلطة تحوي العديد من الفواكه.

- رائع! لا يوجد ما هو أفضل من الفواكه الطازجة.

كانت بيني قد قررت أن تبدأ الأكل بعدما يصل جميع الحاضرين. إلا أن الانتظار أصبح غير مُحتمل منذ ظهور طبق الأضلاع المشوية على الطاولة.

- لنأكل نحن أولًا. يصبح مذاق الطعام سيئًا عندما يبرد. هناك المزيد يُشوى في الفرن من أجل القادمين لاحقًا فلا تقلقوا وتفضلوا بتناول الطعام.

بمجرد أن أذن لهم نيكولاس بالأكل حتى أمسكت بيني بشوكتها وغمست قطعةً من اللحم في صوص الجريفي. كانت على وشك وضع قطعة اللحم في فمها حين دخل شخصان جعلاها تترك شوكتها.

كانت بيني تعرفهما جيدًا لكن لم يسبق لها رؤيتهما على أرض الواقع.

دخلت سيدة ذات بشرة بيضاء كالثلج وشعر بني يميل إلى الاحمرار يتدلى على كتفيها ومعها سيدة في مُنتصف العمر ذات شعر قصير ومعطف أنيق يصل حتى كاحلها.

لم تستطع بيني إخفاء حماسها وصرخت محدثة ضجّة: «لا أصدق أنني أرى كلًّا من واوا سليب لاند وياسنوز أوترا!».

ألقت واوا سليب لاند التحية على دالوجوت بينما تحيي بيني بعينيها.

- دالوجوت! لقد أتيت مبكرًا. جلبت موظفة غير ويذر اليوم.

انعقد لسان بيني من جمالها فتلعثمت قائلة: «آه! أنا حقًّا معجبة بأعمالك! منذ صغري. آه، أعني منذ أن كنتُ في المدرسة. فأنتِ قدمتِ أول أعمالك منذ أقل من عشر سنوات».

حياهما دالوجوت بلا تكلف: «لم أرَكِ منذ وقت طويل يا سليب لاند. تبدين في صحة جيدة. أوترا أيضًا، تبدين رائعة».

لم تنطفئ حماسة بيني وقالت: «سيد دالوجوت، هل تعلم أن رؤية حلم من أحلامهما هي أمنية من أمنياتي؟».

جلست واوا سليب لاند وياسنوز أوترا وأجانيب كوكو جنبًا إلى جنب يتذوقون الأضلاع المشوية. ظلّت بيني تسترق النظر لهن وهي تأكل بالكاد، لذا لم تلحظ عندما وضع ماكسيم بعضًا من لحم الأضلاع ناحيتها.

سألها دالوجوت مازحًا: «من بين أحلام هؤلاء الصُناع، أي حلم تريدين رؤيته؟».

- أنا ... أريد رؤية حلم السيدة سليب لاند.

قال دالوجوت بابتهاج: «واوا سليب لاند، اختيار موفق. تستطيعين رؤية مناظر طبيعية جميلة في أحلامها. رأيت أحد أحلامها من قبل كان عظيمًا حقًا. لم أرد الاستيقاظ. كنت أشاهد المدينة المنيرة من أعلى قلعة في يوم مطير في العصور الوسطى. الشمس الساطعة فوق رأسي مباشرة، وإذا مددت يدي إلى الأعلى تقترب مني النجوم والقمر».

- لا بد أن تلك الأحلام باهظة الثمن.

- أكثر مما تتخيلين. مع ذلك فإن أحلام ياسنوز أوترا أعلى سعرًا من أحلام سليب لاند.

أشار دالوجوت بكتفه إلى أوترا التي كانت تحتسي النبيذ. كانت هي وأجانيب كوكو تتبادلان التحيات وتتساءلان عن أحوال بعضهما بعضًا.

- أعلم أن أحلام السيدة ياسنوز أوترا ثمينةٌ للغاية. فهي تصنع الكثير من الأحلام التي تستطيع من خلالها وضع نفسك في مكان شخص آخر. لكن هل هناك حلم معين من أحلامها أعلى سعرًا من الباقين؟

- كلما ازداد سعر الحلم ازدادت مدته.

- وكم تكون مدته؟

- مدة تسمح لكِ بأن تعيشي حياة شخص آخر بأكملها.

تفاجأت بيني وقالت: «هل هذا أمرٌ ممكن؟».

ضحك دالوجوت بهدوء وقال: «كل الأمور ممكنة في الأحلام. ألا تعرفين ذلك وأنتِ تعملين في هذا المجال؟».

التقطت ياسنوز أوترا زجاجة الفلفل الأسود وقالت لدالوجوت الذي جلس بعيدًا عنها: «دالوجوت، كنت أنوي زيارة متجرك قريبًا».

- لماذا؟ إذا كنتِ تريدين شيئًا سوف أرسل إليكِ أحد. أنا أعلم كم أنتِ مشغولة على مدار العام.

- لا داعي لذلك، أنا بالفعل مشغولة، ولكن الأمور على ما يرام. كما تعرف أنا لا أصنع سوى عدد محدود من الأحلام كل عام. فأنا أصنع أحلامًا طويلة فقط حاليًّا... على ذكر هذا، متى ستسمح لي بالتعاقد مع متجرك؟

أجاب دالوجوت بصراحة: «لا أعلم، فنحن لم نتفق على الأسعار بعد. وأحلامكِ باهظة الثمن بالنسبة لي... خاصةً أنكِ تريدين ثمنها مقدمًا».

- بالطبع. فمعطف جميل مثل هذا لن ينتظر حتى أحصل على المال. إذا انتظرت فسيكون قد بيع بالفعل.

أشارت أوترا بعينيها إلى المعطف الطويل المعلق على الشماعة وهي تمسح بيدها البروش الكريستالي اللامع المُعلق في بلوزتها.

- إذًا اسمح لي المرة القادمة أن أبيع أحلامي الجديدة القصيرة في متجرك. هل توافق على هذا؟

- بالطبع سأكون شاكرًا لذلك.

ابتسمت أوترا لدالوجوت وبيني ثم رشَّت الكثير من الفلفل الأسود على طبقها. بدا على وجهها الرضا وهي تملأ كأسها بالنبيذ باهظ الثمن الذي أحضره نيكولاس.

بدأ نيكولاس يعد المقاعد الخالية المخصصة للحضور الذين لم يأتوا بعد.

- ألن يأتي بانتشو اليوم؟ إنه لا يفعل أيَّ شيء سوى العمل. لا بد أنه الآن في مكانٍ ما منهمك في عمل لن يدر عليه أيَّة أرباح. أو ربما نسي الموعد لانشغاله بإطعام حيوانات الجبل...

هو هو هو!

غطت أصوات نباح كلاب على صوت نيكولاس.

- مرحبًا! أنا آسف على التأخير!

طقطق نيكولاس بلسانه وقال: «يا إلهي، كنَّا للتو نتحدث عنك».

دخل شابٌ يحمل حذاءه المبلل بيده ويجرُّ وراءه كلابًا بحجم الذئاب. أخذت الكلاب تشمشم جواربه المُبللة.

- الشتاء يأتي سريعًا في الجبال. أصبح الطقس شديد البرودة بالفعل. تأخرت قليلًا لأنني انشغلت بالتحضير لفصل الشتاء. جهزت الحطب ونصبت لهؤلاء مكانًا كي يناموا فيه.

كان يبدو عليه التواضع. خلع سترته المُبطنة البالية وعلقها على الشماعة ثم جلس قرب الباب.

عطف دالوجوت على حاله فقال: «بانتشو، اجلس بجانب المدفئة. سوف تصاب بالزكام بهذه الطريقة».

انشغلت بيني بمراقبة صانعي الأحلام الذين كانوا من النادر أن يجتمعوا في مكانٍ واحد. في أثناء ذلك التقت عيناها بعينَي بانتشو، فحاولت أن تخفي ارتباكها بالضحك، ولكن لدهشتها وجَّه لها بانتشو الكلام:

- مرحبًا، تشرفتُ بمقابلتك! يبدو أنكِ أتيتِ مع السيد دالوجوت. كان عليَّ أن أزوركم بالمتجر، لكني أعتني بالكثير من الحيوانات فنادرًا ما أغادر الجبل. أعرفكِ بنفسي. اسمي إنيمورا بانتشو. أنا أصنع أحلامًا من أجل الحيوانات. إنها تباع في الطابق الرابع من متجركم. أنا مدين دائمًا للسيد سبيدو.

شعرت بيني بقلبها ينفتح له بسبب طريقته المُهذبة.

- أهلًا. أنا بيني وأعمل في متجر السيد دالوجوت. نحن نستقبل الكثير من الزبائن اللطفاء بفضلك.

إن الحيوانات أيضًا تنتابها المشاعر، ولكنها ليست حادَّة أو دقيقة كمشاعر البشر، لذا لم يكن هناك الكثير من المتاجر التي تتعامل مع هذا النوع من الأحلام. إلا أن دالوجوت كان يستورد كميات كبيرة من أحلام بانتشو كل مرَّة. شعرت بيني أن دالوجوت كان معجبًا بشخصية إنيمورا بانتشو. بدا

أن بانتشو يفهم لغة الكلاب حيث ظلَّ ينصت لزمجرتهم. أومأ برأسه نحو نيكولاس شاكرًا إياه على الطعام ثم أخذ يقطع الأجزاء غير المُتبلة من اللحم ويعطيها للكلاب، ثم مسح السكين في قميصه المهترئ.

طقطق نيكولاس بلسانه حينما رأى فِعلة بانتشو ثم أخذ يتمتم باستياء: «أعرف أن المال لا يجب أن يكون همَّ الإنسان الأول، لكن على الأقل يجب أن نعيش حياةً كريمة. اشترِ بعض الملابس لنفسك، أنت دائمًا ما ترتدي تلك الملابس الرثَّة، هل يمكنك صناعة أحلام جيدة وأنت تعيش في هذه المعاناة؟ الأحلام ما هي إلا صناعة خيالات لا توجد في الواقع. الحلم والخيال لا يفترقان. كيف ستصنع أحلامًا خيالية وأنت تعيش في معاناة كهذه؟».

- أنا على ما يرام. لديَّ كل ما أحتاج إليه في الجبل، ولا أشعر بالملل أبدًا وأنا برفقة هؤلاء. لا أجد حاجة لإنفاق المال. كنت دومًا ما أحلم بالعيش بهذه الطريقة.

كان بانتشو يبدو على ما يرام حقًّا، إلا أن مظهره كان رثًّا في حين بدا باقي صناع الأحلام في قمة أناقتهم.

استمرت المحادثة حتى قطعها صوتٌ يشبه صوت تكسير النافذة الزجاجية. بدا كأن هناك قطيعًا من كائنات لامعة ترتطم جميعًا بجسدها في النافذة الزجاجية.

- لقد وصل هؤلاء المشاغبون.

بمجرد أن دفع نيكولاس نافذة المطبخ لفتحها دخلت كائنات صغيرة الحجم تُرفرف بأجنحتها الفضية. كنَّ جنيَّات ريبراهون.

كان القطيع يتكون من عشر جنيَّات تقريبًا، طوين جميعًا أجنحتهن وجلسن بجانب بعضهن في مُنتصف الطاولة حول سلة الخبز بدلًا من الجلوس على المقاعد.

قالت جنية سمينة بدت كأنها قائدتهن بصوتٍ حاد: «نيكولاس، هل يمكنك أن تقطع الطعام قطعًا صغيرة من أجلنا؟».

كانت تتصارع مع قطعة خبز أكبر منها حجمًا.

- يا للتعجرف، ألم أخبركن ألا تُنادِيني باسمي وأن تنادِيني سانتا كلوز؟ في وقت العمل نادِيني باسم العمل.

قهقهت أجانيب كوكو قائلة: «أنت لا تعمل إلا في أوقات الكريسماس على أيَّة حال يا نيكولاس».

رد نيكولاس بغضب: «يجب عليَّ العمل بجد طوال العام لمعرفة أحلام الأطفال جميعها وصناعتها قبل الكريسماس. هل تعرفين كم يتغير ذوق الأطفال؟ تظنون جميعًا أنني ألهو طوال الوقت في المنزل لأنني أعيش منعزلًا في الجبل، أليس كذلك؟».

حاول دالوجوت استعجاله قائلًا: «هيًا يا نيكولاس، لقد حضر الجميع فما رأيك أن نبدأ الاجتماع؟».

- لم يأتِ كيك سلامبر بعد. أعتقد أنه سيستغرق بعض الوقت لصعوبة الطريق، ما رأيكم أن ننتظره؟

قالت واوا سليب لاند وهي تضع زبدة العسل على قطعة من الخبز: «لن يأتي كيك سلامبر اليوم. لقد ذهب في رحلة استكشافية إلى جرف كامنيك للبحث عن مراجع سيستخدمها في صناعة أحلامه».

بدا نيكولاس آسفًا: «ذهب حتى جرف كامنيك؟ لهذا لم أستطع التواصل معه».

عندها تساءلت ياسنوز أوترا: «واوا، كيف عرفتِ ذلك؟».

احمرَّ وجه واوا سليب لاند وراوغت في الإجابة: «آ... كما تعرفين، إن معجبيه يعرفون كل ما يفعله وينشرونه على الإنترنت. هناك صورة له في الجرف على مواقع التواصل الاجتماعي».

- لم يأتِ دوچيه هذا العام أيضًا.

قالت أوترا وهي تفتح زجاجة نبيذ جديدة: «أعتقد أنه لم يأتِ من قبل إلى اجتماعاتٍ مثل هذه، لا بد أنه في مكانٍ ما يتلقى تدريبًا أو شيئًا من هذا القبيل».

قام نيكولاس من مقعده وقال: «إذًا لنتحدث عن موضوع اجتماع اليوم. حسنًا لنتحدث أولًا عن قدر الخسائر التي تحملتموها بسبب تخلُّف الزبائن عن الحضور».

قالت قائدة جنيّات ريبراهون وهي تمضغ قطعةً من الجبنة: «لم نحصل على نصيبنا من الأرباح والمقدرة بـ 15%، ذلك لأن العقد ينص على أننا لا نتلقى تعويضًا عن الأحلام غير المباعة».

تجمعت خمس جنيّات حول قطعة من الجبن يأكلن منها.

قالت جنية أخرى ترتدي بلوزة وردية بغضب: «لا أعتقد أن الخسائر تطول صانعي الأحلام المشهورين الموجودين هنا، أليس كذلك؟ فالأحلام المعروضة في الطابق الأول لمتجر الأحلام تُباع بسرعة. لا يعاني من هذا الأمر سوى مؤلفي الأحلام المساكين من أمثالنا».

اعترضت أجانيب كوكو: «أنتِ لا تعرفين شيئًا! الكثير من الزبائن لا يأتون لاستلام الرؤى الخاصة بي. يا دالوجوت، أخبر هؤلاء الأقزام عن الرؤى التي تركتها لك تلك المرة».

حاول دالوجوت التذكر: «حسنًا... كان هناك زوجان لم يأتيا لاستلام الرؤية. لذا كنت أنوي إعطاءها لصديقٍ مقرب منهما أو حتى أبويهما، لكن لم يأتِ أيٌّ منهم فاضطررت إلى أن أعطيها لأخت صديقة قريبة من الزوجة. كانت أخت الصديقة غير متزوجة، عوضًا عن أنها لم ترَ الزوجين من قبل فتفاجأت كثيرًا عندما رأت في منامها رؤية تبشير بالحمل خاصة بهما. لكن كان عليَّ إيصال الرؤية في وقت معين فلم يكن لديَّ خيارٌ آخر».

تذمرت قائدة الجنيَّات التي كانت ترتدي ساعة ذهبية: «لكنكِ ثرية يا سيدة كوكو. صانعو الأحلام الفقراء أمثالنا يتكبدون خسائر فادحة».

قال نيكولاس: «كان عليكن الترويج لأحلامكن بشكلٍ أفضل إذًا».

ثم هزَّ كتفيه وأكمل: «فنحن السانتا كلوز مثلًا نشرنا شائعة منذ زمن طويل أنك لو لم تنم مبكرًا لن يزورك سانتا كلوز. إن رواية الحكايات هي أساس التسويق. الناس في هذا الزمن يعشقون الحكايات. فمثلًا حكاية أننا نترك لهم الهدايا في أثناء نومهم. لا أدري من ألَّفها من أجدادنا، ولكنها ممتازة».

وبَّخته أجانيب كوكو: «لكن بسبب كذبتكم أصبح على الآباء تحمل مسؤولية وضع الهدايا تحت رؤوس الأطفال. وما داعي قصة الجوارب أيضًا؟ إنهم يضعون الجوارب ذات الرائحة النتنة بجانب رؤوسهم وينامون».

يبدو أن أجانيب كانت تتأثر كثيرًا بكل ما يتعلق بالأطفال والآباء.

- أين الكذب في ذلك؟ نحن بالفعل نعطيهم هدايا عندما ينامون. لكن الهدية ليست سيارة متحولة وإنما حلم جميل. أما بالنسبة لموضوع الجوارب، فلن يفهم الأمر إلا من سبق له تلقِّي جوارب النوم من النوكتيلوكا. إنها ذات كاحل طويل فيمكنك أيضًا وضع أشياء فيها وحملها بسهولة. كما أنه يتمطط جيدًا...

شعر نيكولاس أن كلامه طال بلا فائدة فغير الموضوع: «على أيَّة حال! لندخل في صلب الموضوع، أريد أن آخذ رأيكم في اقتراح أن يتحمل البائعون جزءًا من غرامة تخلُّف الحضور».

فجأة اتجهت الأنظار نحو دالوجوت، حدقت بيني إليه محملقة العينين.

لم يتفاجأ دالوجوت بل أجاب برصانة قائلًا: «نيكولاس، لا أعتقد أنه اقتراح يجوز ذكره في اجتماع لا يوجد فيه بائعون غيري. ألا يجب علينا الاجتهاد لحل أصل المشكلة؟».

تمكن دالوجوت بفطنته من إيقاف هذا النقاش.

أيدت واوا سليب لاند كلامه: «هذا صحيح، من التعسف أن نطالب البائعين بتحمل غرامة التخلُّف لتقليل خسائر صانعي الأحلام. يجب علينا أن نحافظ على الاحترام المتبادل بين الصُناع والباعة بعيدًا عن الأرباح».

سأل نيكولاس بفضول: «ماذا تظنون سبب تخلُّف الزبائن عن الحضور إذًا؟ أنتم تعرفون أن عملي يقتصر على موسم واحد فلم أتعرض لمثل هذا الأمر من قبل».

أجابت جنية بدا أنها أكثرهن ذكاءً: «إنها ليست مشكلة بسيطة. يتعلق الأمر بالظروف الشخصية للزبون وبما يحدث في البلد».

فكرت بيني أن صوتهن عالي للغاية بالنسبة لكائناتٍ في حجمهن، لكن عندما دققت النظر وجدت أنهن يستخدمن ميكروفونًا لا سلكيًّا صغيرًا.

- أنتم تعلمون بالطبع أنه عندما يتعرض الزبون لظرفٍ مُقلق يطير النوم من عينيه، فإنه لا يأتي حتى بزوغ الفجر.

أومأ الجميع بالموافقة.

أكملت الجنية باستعلاء: «لكن بالإضافة إلى هذه الظروف الشخصية، لنفترض مثلًا أن كأس العالم يُقام في أوروبا. آه، أنا لا أريد الخوض في تفسير ما هو كأس العالم. أومن أن جميع صانعي الأحلام هنا لديهم معرفة أساسية بعالم الزبائن. إذًا وقتها سيزداد عدد الآسيويين الذين يسهرون الليل لمشاهدة المباريات في أوروبا، أليس كذلك؟ المشكلة هنا تكمن في أن تلك الفعاليات العالمية في تزايد، وتتزايد أيضًا القنوات التي تنقلها مباشرة.

بدا أن جنيَّات ريبراهون على اطلاعٍ بما يحدث في العالم.

- فهمتُ ماذا تقصدين، أعتقد أن الآنسة الشابة أيضًا لديها رأي في الأمر.

فجأة طالبها نيكولاس بالكلام.

بالكاد استطاعت بيني تذكر الكلام الذي سمعته من مو تيه إيل فقالت «في رأيي... يمكنهم أيضًا التخلُّف عن الحضور في فترة الامتحانات. يأتي الكثير من الكوريين في الوقت الذي أعمل فيه وجميعهم يبدؤون الامتحانات في نفس

الوقت. في هذا الوقت يسهر الكثير من الطلبة طوال الليل. آه... لكنها ليست مشكلة دائمة، فهم يفعلون ذلك فقط قبل يوم أو يومين من الامتحان. يبدو أنهم لا يختلفون كثيرًا عنَّا، فجميعنا نبدأ في الدراسة قبل الامتحان مباشرة.

- كلامكِ منطقي. ماذا عنك يا ماكسيم؟ ما رأيك؟

كان ماكسيم يحدق بشرود إلى بيني وهي تتحدث، فلما ناداه نيكولاس تفاجأ وأُصيب بالغصة وأخذ يسعل لمدة طويلة. بالكاد استجمع نفسه ثم قال بصوت رخيم: «أنا لم أتضرر من هذا الأمر بشكلٍ شخصي. فالزبائن تتهافت على شراء أحلام الصُناع الآخرين بالحجز، لكنهم لا يتهافتون على منتجاتي لهذه الدرجة...».

بدا عليه الحرج وهو يكمل: «فلا أبيع سوى الكميات التي يبيعها دالوجوت بدلًا مني. لذلك لم يحدث أن تخلَّف الزبائن عن الحضور من قبل».

- لذلك أنت تأكل وأنت مرتاح البال.

انفجر الجميع ضحكًا على تعليق نيكولاس. تمعنت بيني في وجهه الذي أخذ يزداد احمرارًا وفكرت أن ماكسيم يمتلك العديد من الجوانب غير المتوقعة في شخصيته.

فجأة، سألت أجانيب كوكو: «إنيمورا، ماذا عنك؟ هل لحقتك خسائر كبيرة؟».

لم يكن إنيمورا بانتشو يتناول الطعام وإنما انشغل في الاعتناء بكلابه التي أحضرها معه، وتقطيع اللحم والخبز قطعًا صغيرة من أجل جنيَّات ريبراهون.

همست بيني في سرها: *السيد بانتشو ودود جدًا...*

فجأة جذب ماكسيم سلة الخبز نحوه وانهمك في تقطيع الخبز.

قال إنيمورا بانتشو وهو يُراقب الكلاب التي رقدت جانب قدمه: «أنا أيضًا ليست لديَّ مشكلة. فالحيوانات تنام كثيرًا. فلا يوجد شيء ممتع في حياتهم يجعلهم يؤجلون نومهم».

كان الكلب ذو الرقبة السوداء ينام بسلام ساندًا وجهه على قدم بانتشو.

أجفلت بيني عندما صرخت الجنية الذكية قائلة فجأة: «كلام السيد بانتشو هو الإجابة. هناك الكثير من الأشياء الأكثر إمتاعًا من النوم، مما يجعل الناس لا يخلدون إلى النوم».

طارت الجنية الذكية فوق الطبق.

فهناك من لا ينام لانهماكه في لعبة فيديو، ومن ينامون في وقت متأخر بسبب انشغالهم بالهاتف المحمول، وهناك أيضًا من يسهر الليل يتحدث مع حبيبه! كل هؤلاء يؤجلون نومهم ليفعلوا شيئًا ممتعًا، أليس كذلك؟

استقرت الجنية فوق كتف نيكولاس طاوية أجنحتها اللامعة.

بدا الضيق على وجه نيكولاس، ولكنه لم يحاول إبعادها.

وافقت ياسنوز أوترا على كلام الجنية: «كلامها صحيح. هؤلاء مختلفون عمَّن لا ينامون بسبب الامتحانات. فهؤلاء يتخلفون عن الحضور بشكلٍ مؤقت. أما مشكلتنا فهي الناس الذين لا ينامون عن عمد».

أخذت الجنيَّات يتناولن الخبز سعيدات بأن أوترا أخذت كلامهن على محمل الجد.

- ماكسيم، عليك أن تقطع الخبز قطعًا ذات حجم مناسب، كيف سنأكله بعد أن تفتت وأصبح مثل المسحوق؟ لماذا تقوم فجأة بأشياء لا تفعلها في العادة؟

احمر وجه ماكسيم مرَّة أخرى عندما وبخته الجنية التي ترتدي بلوزة وردية ذات أكمام منفوشة.

استغرق نيكولاس في التفكير وقال: «همم، ماذا نفعل كي نجعل الناس تنام في موعدها وتتوقف عن فعل الأشياء الأخرى؟».

- ألا يمكننا استخدام حلوى التنويم التي يملكها دالوجوت؟

هزَّ دالوجوت رأسه وقال: «إنها لا تفعل شيئًا سوى جعل النائمين بالفعل ينامون بعمقٍ أكثر».

قالت إحدى الجنيّات بغرور كأنها تملك حلًّا عبقريًّا: «أو يمكننا أن نحقق أرباحًا بطريقة أخرى لتعويض الخسائر الناتجة عن تخلف الزبائن عن الحضور. يمكنني أن أعلمكم طريقتنا الخاصة في فعل ذلك».

شعرت بيني بالفضول فقالت: «وكيف نحقق أرباحًا أخرى؟».

كانت بيني لا تزال تتذكر كلام موج بيري عن جنيّات ريبراهون الماكرات عندما ذهبت في جولة تفقدية في طوابق المتجر. وقتها قالت موج بيري أن جنيّات ريبراهون استخدمن أساليب حقيرة لكسب الكثير من بيع الأحلام.

مشت قائدة الجنيّات نحو منتصف الطاولة وقالت: «لا بد أنكم تتساءلون كيف استطعنا التوسع والانتقال إلى متجر في منتصف المدينة، أليس كذلك؟ بما أن مزاجي جيد اليوم، سأخبركم السر. إذا قمنا ببيع الأحلام لمئة زبون، فإننا نستطيع تحصيل ثمن ستين منهم فقط. في العادة نتلقى «التحرر» أو «الدهشة» كثمن للأحلام. لكن كثيرًا ما نتلقى أيضًا «خيبة الأمل» و«الإحساس بالخسارة»؛ فهم يستطيعون الطيران في الحلم، ولكنهم لا يستطيعون فعل ذلك عندما يستيقظون مما يسبب لهم تلك المشاعر. جميعكم تعرفون بالطبع أن هذا النوع من المشاعر لا يساوي الكثير من المال. لذلك فكرنا في طريقة لحل ذلك!».

أوسعت القائدة الطريق للجنية الذكية لتتحدث بدلًا منها.

- طبقًا لنتائج الأبحاث التي قمنا بها، فإننا نحقق أرباحًا أكثر عندما نجعل الزبائن يحلمون بـ«أحلام العجز عن الحركة» أكثر من «أحلام الطيران في السماء». أحلام عدم القدرة على الحركة هي مثل تلك الأحلام التي تحاول فيها الجري، ولكنك تشعر أن قدمك ثقيلة ككتلة معدن، أو تحاول مثلًا لَكْم شخص يضايقك، ولكن جسدك يتحرك ببطءٍ شديد. عندما نجعلهم يحلمون أحلامًا كهذه نتلقى كمية أكبر بكثير من مشاعر «التحرر». فشعور التقيد الذي ينتابهم في أثناء النوم يختفي بمجرد استيقاظهم ويشعرون بخفة أجسادهم».

ثم أخرجت آلة حاسبة صغيرة وبدأت تضغط الأرقامَ.

- انظروا إلى هذا، هناك فارق كبير في الأرباح. بهذه الطريقة يمكننا تغطية الخسائر الناتجة عن تخلُّف الزبائن عن الحضور بسهولة.

هزت الجنية كتفيها بحماس وهي تُري الآلة الحاسبة للجميع. لكن رد فعل الناس كان فاترًا عكس ما توقعته الجنيّات، فارتبكن قليلًا.

- يبدو أنكم لم تفهموا الأمر جيدًا بعد فنجاحنا لم يأتِ مصادفة، بالمناسبة يا ماكسيم! ما رأيك أن تتعاون معنا بكوابيسك؟ إذا اتحدنا معًا وصنعنا «حلمًا لا تستطيع فيه تحريك قدميك في أثناء التعرُّض للمطاردة من قبل شخص مخيف»، سوف نحقق نجاحًا باهرًا، سوف نتلقى ثمنًا باهظًا مقابله.

جلست الجنية فوق كتف ماكسيم محاولة إقناعه بالفكرة.

أمسك ماكسيم الجنية بأصابعه وأنزلها على الطاولة قائلًا: «أنا لا أشارك في تلك المقالب الطفولية!».

ضحك دالوجوت ببرود وقال: «ها ها، كانت موج بيري على حق».

بدا غاضبًا، ولكنه أكمل بأدب: «كانت تخبرني أن جنيّات ريبراهون يخلطن الأحلام ويرسلنها إلى الناس. وتبين أن هذا يحدث بالفعل. من المستحيل أن نُغضِب زبائننا بخلط الأحلام بهذه الطريقة، نحن لسنا من هذا النوع من المتاجر».

لم يعلُ صوته ولو قليلًا، لكن الجميع شعروا بغضبه.

- نحن آســ... آسفات.

شعرت قائدة الجنيّات بخطورة الموقف فاعتذرت.

قال دالوجوت بصرامة: «لو اكتشفنا أنكن تستخدمن هذه الطرق الخسيسة مرَّة أخرى، سوف أفسخ العقد».

احتست ياسنوز أوترا النبيذ المتبقي ووضعت كأسها على الطاولة.

- كلام دالوجوت صحيح. جميعنا نعلم بشأن هذه الحيلة. لا تَظُنَّ أننا نمتنع عن استخدامها لأننا لا نعلم بأمرها.

- حسنًا، كفانا كلامًا بلا فائدة. أليس علينا أن نخرج باستنتاج؟ فأنتم جميعًا مشغولون. لذا ما استنتاجك يا دالوجوت؟

عدَّل دالوجوت ياقته وتنحنح ثم قال: «بادئ ذي بدء، أتمنى ألا يتضايق أحدٌ من كلامي. كل ما أريد فعله أن ننظر إلى هذه المشكلة ببساطة».

وبَّخه نيكولاس قائلًا: «قلتُ لكم إنه دائمًا ما يطيل المقدمات».

- لقد خرجنا باستنتاج بالفعل. كما قال بانتشو والجنيَّات منذ قليل؛ إن الناس لا ينامون لأن هناك أمورًا أكثر متعة من النوم. لذا لما لا نفكر بالعكس؟

ضحك دالوجوت كأنها مسألة غاية في السهولة.

جلست جنيَّات ريبراهون معتدلات القامة يصغين إلى كلامه.

- ألا يمكننا صناعة أحلامٍ أكثر متعة من تلك الأشياء؟ أنا واثق أن صانعي الأحلام لديهم ما يكفي من المهارة لفعل ذلك.

تصاعدت الضحكات وسط الصمت الذي كان يعمُّ المكان.

قهقه نيكولاس قائلًا: «أتقصد أننا لن نتعرض لهذا الأمر إذا صنعنا الكثير من الأحلام الجيدة؟ يا إلهي، إنه يلقي اللوم علينا».

قال دالوجوت بمكر: «لم أكن وقحًا لهذه الدرجة، ولكنه المغزى من كلامي فعلًا. أعترف بذلك».

رفعت أوترا كأسها:

- لم يكن اجتماعًا مثمرًا للغاية، ولكن أعتقد أننا انتهينا. ما رأيكم أن نشرب نخبًا ثم نكمل الباقي من طعامنا؟

- حسنًا.

رفع الجميع كؤوسهم.

قام نيكولاس من مقعده وصرخ بحماس: «لنأكل بشهية، وننام جيدًا ونحلم بأحلام سعيدة!».

6. الأحلام الأكثر مبيعًا هذا الشهر

كانت الطرق تلمع بشكل ساحر في الأسبوع الأخير من ديسمبر. تزين متجر الأحلام بفخامة أكثر من أيٍّ وقتٍ مضى بفضل الزينة التي جلبتها العمة ويذر مبكرًا. لُفَّت منصات البيع من الطابق الأول وحتى الخامس بمصابيح لامعة جعلتها تبدو كصناديق مجوهرات. اقترحت العمة ويذر أيضًا أن تُغلف المنتجات بأغلفة براقة لكن استُبعدت الفكرة نظرًا إلى اعتراض موظفي الطابق الثاني ومديرهم بيجو مايوس.

- أتعرفين مدى صعوبة تنظيف بقايا المساحيق البراقة؟

حتى كائنات النوكتيلوكا في الشوارع حاولت التغيير من شكل أردية النوم التي تؤجرها بتطريزها برقائق الثلج، ولكن التصميم لم يرُق للزبائن.

- موضته قديمة جدًّا. ألا توجد أردية نوم جميلة؟

بدا الطفل على وشك البكاء، فرتب له النوكتيلوكا ملابسه وقال ببرود: «إذا لم ترغب بارتدائها فارتدِ ملابس ثقيلة قبل أن تخلد إلى النوم، ونم بهدوء ولا تركُل البطانية».

كان موسم الكريسماس يُشرف على نهايته. كان سانتا كلوز ذا قدرة عظيمة. فالأحلام التي جلبها نيكولاس لم تُبع بسرعة وحسب، وإنما نفدت جميعها بالفعل. فقد بِيع منها للأطفال كمية تساوي ما يُباع من الأحلام الأخرى في عام كامل.

كانت الأحلام تنفد في لحظات مهما جلبوا منها أكوامًا، الأمر الذي جعل نيكولاس يتردد على المتجر كما لو كان بيته طوال موسم الكريسماس لجلب الأحلام التي يصنعها باستمرار.

كان نيكولاس يرتدي حزامًا جلديًا ضخمًا مزينًا بحلية نحاسية. انشغل هو وموظفوه بنقل الصناديق إلى داخل المتجر. لم يستطع حلق لحيته البيضاء فنمت بكثافة وعَلِق بها بعضٌ من فتات الخبز الذي تناوله على عجل في الصباح.

وقف الزبائن الصغار بحماس أمام صناديق الأحلام المزينة بأكاليل الكريسماس. كان بينهم طفلٌ يبدو في السادسة من عمره يرتدي رداء نوم لطيفًا. تساءل الطفل عن محتويات أحد الصناديق وهو يفحصه من جميع الاتجاهات: «ما نوع الحلم الموجود داخل هذا الصندوق؟».

سألته بيني بعطف: «ماذا تريده أن يكون؟».

- إنه... أبي. أنا دائمًا ما ألح عليه أن نلعب الغميضة معًا. أتمنى لو كان الصندوق يحوي حلمًا لا يدخل أبي فيه غرفته ويخبرني أن أتوقف عن الإلحاح، حتى لو طلبت منه اللعب مئة مرة.

انحنت بيني لتصبح في مستوى الطفل وقالت بلُطف: «قد يكون هذا الحلم بالفعل. أو قد يكون حلمًا تصبح فيه شخصًا رائعًا عندما تكبر. يعرف سانتا كلوز ما تحبون. سوف يكون حلمًا رائعًا بالتأكيد».

- حقًا؟ لكن أنا أبكي كثيرًا في العادة... يقولون إن سانتا كلوز لا يعطي البكاءين الهدايا. أخبرني أبي وأمي ذلك.

بدا أن الطفل كان على وشك البكاء.

مالت بيني على أذنه وهمست: «لا تقلق بشأن هذا، فهذه شائعة نشرها سانتا كلوز عن عمد حتى لا يبكي الأطفال ويصرون على عدم النوم في الكريسماس».

- حقًّا؟

فتح عينيه المستديرتين.

- فكر في الأمر، إذا أصر الزبائن من أمثالك على عدم النوم فلن تستطيعوا شراء الأحلام التي يصنعها سانتا كلوز، أليس كذلك؟ سأخبرك سرًّا، إذا لم يبع سانتا كلوز الكثير من الأحلام هذا الموسم سوف يقع في مأزق.

تذكرت بيني الزينة الفخمة والطعام اللذيذ في بيت نيكولاس. سيكون من الصعب أن ينعم بهذه الحياة الراقية إذا فوت هذا الموسم الذي يأتي مرَّة واحدة في العام.

انتهى موسم الكريسماس الذي كان أشبه بالإعصار بقدوم أطفال جزيرة ساموا الواقعة في جنوب المحيط الهادئ حيث كانت آخر مكان يحل عليه الكريسماس. أخذت العمة ويذر عطلةً طويلة لتقضي نهاية العام مع عائلتها.

- هذا برنامج للتصديق على العطلات صنعته بنفسي. إذا أدخلتِ أيام العطلة التي ترغبين فيها سيُصدق دالوجوت عليها. لكنه لا يعرف كيف يستخدم البرنامج رغم أنني صنعته من أجله، لذا أُصدق أنا عليها ضبطته ليُصدق تلقائيًّا. إذا أردتِ أخذ عطلة في أي وقت أدخلِيها فقط. لن يهتم دالوجوت بالأمر على أيَّة حال.

غادرت ويذر العمل مرتاحة البال.

تولى دالوجوت وبيني معًا أمر مكتب الاستقبال. جلب نيكولاس آخر شحنة من الأحلام إلى المتجر ثم جلس متمددًا على مقعد مكتب الاستقبال.

- دالوجوت، ألديك أحلام أستطيع الحلم بها في وقت الراحة؟ رشح لي بعضها. سوف أنام ليلتين وثلاثة أيام عندما أعود إلى المنزل. أنا متعبٌ للغاية. يبدو أنني أنا أيضًا قد تقدمتُ في السن.

اختار دالوجوت عدَّة أحلام ثم جلس إلى جانب نيكولاس. كانت قدما بيني تؤلمانها فتسللت لتجلس هي أيضًا. شعرت بوخز في ركبتها من أثر قيامها وجلوسها القرفصاء عدَّة مرات لتتحدث مع الزبائن الصغار.

مدَّ نيكولاس يده داخل سترته الثقيلة المصنوعة من فراء الخروف التي ربطها بحزامه ذي الحلية النحاسية ثم أخرج منها زجاجة تحوي سائلًا. كانت مغطاة برقاقات الثلج كما لو أنها كانت مدفونة في الجليد.

تقاسم ثلاثتهم المشروب الغازي العجيب ذا اللون الأحمر الداكن. كُتب على الزجاجة من الخارج «تحوي 17% من الانتعاش». بمجرد أن تأخذ منه رشفة تشعر بوخزٍ في حلقك ثم ينتشر الانتعاش في فمك. كأنك جمعت هواء الفجر المُنعش وضغطتَه ثم وضعته في فمك.

- هذا لذيذٌ جدًّا.

بعدما تذوقت بيني ملأت منه كوبًا آخر وشربته.

- كوبٌ من هذا المشروب بجانب بعض من لحم الخنزير المشوي المُقرمش يجعل الإرهاق يزول على الفور...

لعق نيكولاس شفتيه.

- على أيَّة حال، أعتقد أنني أحسنت صُنعًا ببيع الأحلام. لو كنا لا نزال نركب الزلَّة ونلف على البيوت لتوزيع الهدايا مثل أجدادنا القدامى، لاختفى سانتا كلوز منذ زمن. فكاميرات المراقبة جعلت الأمر أكثر تعقيدًا مؤخرًا. لكن الآن مجرد أن ينام الأطفال في موعدهم يأتون بأنفسهم لشراء الأحلام، أيوجد أسهل من هذا؟ غير أننا نحقق الكثير من الأرباح!

تظاهر نيكولاس أنه يعدُّ نقودًا بأصابعه.

- فيما مضى كنا لا نستطيع سوى زيارة عدد صغير من المنازل لأننا لا نملك المال الكافي للهدايا وطعام الرنَّة. كيف كان لنا أن ندبر تكلفة كل تلك الهدايا؟

سأله دالوجوت وهو يصبُّ كوبًا آخر من المشروب: «لقد عانى أجدادنا أشد المعاناة حتى نصل نحن إلى هذه المكانة. أحسنت صنعًا يا نيكولاس. أنت على حق؛ أعتقد أننا بِعنا أكثر من العام الماضي، هل تظن ذلك؟».

قال نيكولاس بثقته المعتادة: «في الحقيقة لا يوجد فارق كبير. لقد بعتُ الكثير العام الماضي. أعتقد أن جائزة الحلم الأكثر مبيعًا في حفل جوائز نهاية هذا العام ستكون من نصيبي. أتعلم يا دالوجوت؟ لو حدث ذلك سأكون قد فزت بها لمدة خمسة عشر عامًا على التوالي! خمسة عشر عامًا! يا له من رقم قياسي. هاهاها».

كانت بيني دومًا ما تشاهد حفل جوائز نهاية العام مع عائلتها لذا كانت تعلم أن نيكولاس يقول الحقيقة. كانت هناك جوئز متنوعة في حفل جوائز نهاية العام للأحلام حسب قيمة كل حلم، بجانب الجائزة الكبرى، هناك جائزة الصناع الجدد، الجائزة الفنية وجائزة أفضل سيناريو وغيرهم.

لكن جائزة الحلم الأكثر مبيعًا كانت الجائزة الوحيدة التي يُحدَّد الفائز بها حسب الحلم الأكثر مبيعًا في شهر ديسمبر فقط. كان الفائز كل عام منذ أن كانت بيني طفلة هو سانتا كلوز. لكنها لم تكن تعلم أن سانتا كلوز العظيم هو نفسه الجالس أمامها الآن؛ ذلك لأنه كان يلزم كوخه بعد انتهاء الكريسماس ويتغيب دومًا عن الحفل.

يتلقى صانع الحلم الأكثر مبيعًا جائزة مالية من قِبل الجمعية تقديرًا لمساهمته في تنشيط الاقتصاد، يقال إنها مبلغٌ لا بأس به. استطاعت بيني أن تخمن كيف استطاع نيكولاس شراء بيته وأثاثه. فقد كان بيته فاخرًا لدرجة لا يصح معها تسميته بالكوخ.

- ترى ما الجائزة الإضافية هذه المرة؟ أهدوني العام الماضي عشر زجاجات من «رفرفة القلب» بجانب الجائزة الأساسية. بفضلها لم ينطفئ حماسي وأنا أنتظر انتهاء أعمال توسعة غرفة المعيشة في منزلي. لم أشعر بالملل ولا للحظة. أتمنى أن يعطوني خمس زجاجات من «الشعور بالدفء» مثلًا هذا العام.

تساءل دالوجوت: «وأين ستستخدمها؟».

- يا صديقي، عليك أن تشتري بعضًا من «الشعور بالدفء» وتفعل مثلي. بالطبع أنت تعلم ذلك لأنك جربت الجلوس على مقعد في منزلي. عندما جلست عليه ألم تشعر أنه يحتضنك من رأسك حتى أخمص قدميك؟ إذا وضعت «الشعور بالدفء» في رشاشة ورششت منه على الأثاث كل حين والآخر، يستمر تأثيره لمدّة أسبوع تقريبًا. تتغير أجواء البيت كليًا. في الواقع لقد نفدت اليوم الزجاجة التي اشتريتها من قبل ولا أجرؤ على شراء أخرى لارتفاع سعره مؤخرًا. أتمنى أن يعطوني منه كجائزة إضافية.

كان نيكولاس يتحدث كأن اللجنة قد أصدرت قرار فوزه بالجائزة بالفعل. فكرت بيني أنه من الطبيعي أن يكون واثقًا لهذه الدرجة. فطالما كان الفائز يُحدَّد على أساس الحلم الأكثر مبيعًا في ديسمبر، من المستحيل أن يحظى أيٌّ صانع أحلام بفرصة أمام سانتا كلوز.

خطر على بال بيني أن نيكولاس يبيع أحلامه في ديسمبر فقط عن عمد ليفوز في حفل توزيع الجوائز. قد يرى البعض أن هذا مكر منه لكن بيني ترى أن لديه قدرة عظيمة على التخطيط.

صعد نيكولاس إلى سيارته الواقفة أمام المتجر بعدما أنهى استعداداته للعودة إلى منزله في جبل الثلج الدائم. كانت سيارته مسطحة ومفتوحة السقف مما جعلها تبدو كزلاجة جليد.

سأل نيكولاس دالوجوت وهو يدير المحرك: «هل ستشاهد حفل جوائز نهاية العام في المتجر مع الموظفين هذا العام أيضًا؟».

- أُخطط لفعل ذلك إذا وافق الموظفون. سأقوم بدعوة عائلاتهم أيضًا. ما رأيك أن تأتي لتشاهده معنا؟

ضحك نيكولاس قائلًا: «أنا أشعر بالحرج في تلك الأجواء، فأنت تعلم أنا مرشح لجائزة مهمة. أفضل أن أشاهده وحدي بهدوء في منزلي. إلى اللقاء يا صديقي أراك لاحقًّا. أحسنتِ صنعًا أنتِ أيضًا. سوف أزوركم مرَّة أخرى».

حيًّا نيكولاس بيني أيضًا بلطف ثم اختفى داخل إحدى الحارات تاركًا وراءه صوت المحرك المدوي.

بعد عودة نيكولاس إلى كوخه في جبل الثلج الدائم، قلَّ عدد الزبائن بشكل ملحوظ في المتجر في آخر أسبوع في العام. راقبت بيني موازين جفون الزبائن المعتادين ولاحظت أن حتى الزبائن الذين اعتادوا القدوم في مواعيد محددة أصبحوا يزورون المتجر بعد موعدهم ببضع ساعات. كانوا يلقون نظرة على الأحلام بلا اهتمام ثم يعودون إلى منازلهم فارغي الأيدي قائلين: «الأفضل أن آخذ قسطًا كافيًا من النوم». مع ذلك ظهرت هالاتٌ داكنة تحت أعينهم جميعًا.

- تُرى ما الذي يفعلونه بدلًا من النوم مبكرًا؟

- الجميع لديهم مواعيد في نهاية العام. كأنهم يريدون التمسك بالأيام المتبقية حسرةً على العام الذي فات. فيقضون وقتهم بالخارج قدر المستطاع ثم يعودون ليغطوا في النوم من الإرهاق.

بدا أن دالوجوت لا يهتم للأمر.

- لا أدري ما حال الأدوار الأخرى، ولكن المبيعات في الدور الأول انخفضت بشكلٍ كبير. إذا استمر الحال كما هو سيحصل الجد نيكولاس بسهولة

على جائزة الحلم الأكثر مبيعًا للعام الخامس عشر على التوالي. فقد باع الكثير بالفعل في موسم الكريسماس.

- لا أدري، فدومًا ما يظهر منافس غير متوقع.

شعرت بيني عندما رأت تعابير وجهه أن هناك تغييرًا ما على وشك الحدوث.

- هل هناك أحلام تُباع بقدر أحلام سانتا كلوز؟ من هو صانع الحلم؟ هل ظهر صانع أحلام جديد لا أعلم بأمره؟

- ليس جديدًا. دائمًا ما تُباع الكثير من أحلامه في هذا الوقت من السنة. فقد حقَّق مكانته كحصان أسود بفضل مبيعاته التي تقارن بمبيعات نيكولاس، إلا أنه لا يحب الظهور كثيرًا فلا يعرفه الكثير. لكن أعتقد أنه يقوم بدور فعال هذا العام.

لم تستطع بيني كبح فضولها:

- عمَّن تتحدث؟ هل هو شخص أعرفه؟

- سأعطيكِ تلميحًا كما أفعل دائمًا، هذا أفضل من إخبارك مباشرة، أليس كذلك؟

لم يسبق لدالوجوت حقًّا أن أخبرها بالإجابة مباشرة. لكن لحُسن الحظ كانت بيني قد اعتادت على أسلوبه فلم تستعجل وأصغت إلى تلميحه.

- قد يبدو موسم الكريسماس ونهاية العام من الخارج موسمًا سعيدًا ساحرًا، لكنه يخبئ خلفه الكثير، الوحدة والشعور بالخواء. بالطبع يمكنك استنتاج ذلك عند رؤية الزبائن الذين يحاولون جاهدين أخذ المواعيد في نهاية العام أو ينامون في وقت متأخر.

- نعم، في الحقيقة أنا أيضًا كذلك. أشعر أنه عليَّ أن أمضي نهاية العام بشكلٍ مختلف عن الأيام العادية. وأشعر أنني لا أريد العودة إلى المنزل.

- من تظنين إذًا أكثر شخص يشعر بالوحدة في نهاية العام؟

أجابت بيني على سؤال دالوجوت بلا تردد: «بالتأكيد العُزَّاب الذين ليس لديهم موعد غرامي في نهاية العام من أمثالي».

أجابت بيني بثقة، ولكنها تمنت أن تكون إجابتها خاطئة. آلمها الاعتراف بذلك.

- ليست إجابة خاطئة، ولكنها ليست إجابة هذا السؤال.
- إذًا... الآباء الذين ينتظرون عودة أبنائهم إلى المنزل في وقت متأخر؟
- إجابة منطقية.
- يعني هذا أنها ليست الإجابة الصحيحة. يا له من سؤال صعب! أحتاج إلى تلميح آخر.
- هل ستعرفين من هم إذا قلتُ لكِ إنهم زبائن لا يأتون لمكتب الاستقبال كثيرًا، بل يستقلون المصعد مباشرة ويصعدون إلى الطابق الرابع.
- كان الطابق الرابع مخصص لأحلام القيلولة. كان زبائنه في الغالب من البالغين الذين ينامون في النهار كثيرًا، أو الأطفال والحيوانات الذين ينامون في أيِّ وقت. لكن بيني لم تستطع اكتشاف الإجابة بعد.
- هل هذا صعب؟ أوه، لقد أتوا في الوقت المناسب.

استدارت بيني لتنظر إلى اتجاه المدخل الذي يشير إليه دالوجوت. دخلت مجموعات من الكلاب والقطط يتقدمهم كلب عجوز يهز ذيله بخفة. كان يقف بجانبه شاب يرتدي ملابس رثة ويحمل حقيبة ظهر تساويه حجمًا. ربط في حقيبته الضخمة عددًا من الحِزم جعلته يبدو كالبائع المتجول.

- إنيمورا بانتشو! كنت أنتظرك.
- سيد دالوجوت، مرحبًا. الآنسة بيني أيضًا هنا. كيف حالكِ؟

لم تستطع بيني إخفاء سعادتها بقدومه

- سيد بانتشو، سعيدة بلقائك مجددًا!

- اتصل بي السيد سبيدو مدير الطابق الرابع بنفسه قائلًا إن أحلامي قد نفدت. هاها، لقد ظلَّ يستعجلني كثيرًا.

اندهشت بيني مرَّة أخرى من مهارات سبيدو في البيع التي جعلت بانتشو نفسه يتعجب.

- لذلك صنعت المزيد على عجل وأتيت. في الحقيقة ضللتُ الطريق لأنني لم أغادر الجبل منذ فترة. لولا هؤلاء لظللتُ تائهًا في الحارة المجاورة لمدَّة طويلة.

أصدرت الحيوانات التي أتت معه صوتًا كالأنين وأخذت تمسح جسدها فيه. مسح بانتشو على أجسادهم بحنان كأنه يفهم ما يقولونه ثم تمتم: «فهمت، أتمنى أن تساعدكم أحلامي».

- هل تفهم ما تقوله الحيوانات؟

ساعدته بيني في إنزال حقيبته.

احمر وجه بانتشو خجلًا وقال: «ليس كله، ولكن يمكنني الفهم إذا أصغيتُ بتركيز».

- حقًّا؟ هذا مذهل!

أخذت بيني تنظر بين بانتشو والكلب الذي وقف ملتصقًا به. كانت فروته قد تساقطت في عدَّة مواضع في جسده. أخذ الكلب يهز ذيله تجاه بيني أيضًا.

- إنه نفسه الكلب الذي كان يختار حلمًا من ركن أحلام القيلولة عندما ذهبت في الجولة التفقدية حول الطوابق للمرة الأولى. وقتها... هذا صحيح، كان موجودًا في ركن «حلم اللعب مع المالك». ماذا قال لك للتو إذًا؟

- قال إن عائلته لم تعد للمنزل حتى وقت متأخر من الليل.

بدا وجه الكلب مثيرًا للشفقة وهو يئن مرَّة أخرى. ربته بانتشو بلطف وهو يومئ برأسه.

- يقول إنه قلق من أن يكون أصابهم خطب ما. لا تقلق يا ليو. سيكونون قد عادوا عندما تستيقظ. أتريد أن تحلم بحلم مما أحضرته اليوم؟ لقد صنعت المزيد من أحلام «الذهاب إلى التمشية» التي تحبها. هيًّا ليختر كل منكم واحدًا من هذه الأحلام. ستجدون أيَّ حلم ترغبون به.

أحاط الكلب العجوز ليو وباقي الحيوانات بحقيبة ظهر بانتشو. أدركت بيني الآن من هو الحصان الأسود الذي كان دالوجوت يتحدث عنه.

***

كانت العائلة المكونة من أربعة أفراد تعيش في شقة قديمة لكنها نظيفة. كانت الشقة خالية حيث ذهب الزوجان معًا إلى إحدى حفلات نهاية العام، أما الابن والابنة فذهب كلٌّ منهما ليقابل أصدقاءه. أُطفئت الأنوار جميعها عدا مصباح صغير، ولم يتبقَّ في المنزل سوى الكلب العجوز الذي أتم 12 عامًا هذه السنة. غطَّ ليو في نوم عميق.

جلس ليو طوال النهار في الشرفة ينتظر عائلته بهدوء، ثم استعاض عن تمشيته اليومية بالتنقل بين الغرف وهو يمسك دميته بأسنانه. عندما غربت الشمس وحلَّ الظلام، اشتعل المصباح الذي يحوي حساسًا إلكترونيًّا من تلقاء نفسه. لكن لم يجد ليو شيئًا يفعله سوى النوم. لحسن الحظ مع تقدمه في السن أصبح النوم يأتيه بسهولة، استغرق ليو في النيم يحلم بحلم إنيمورا بانتشو، كان ليو يقفز بحماس في حلمه بفضل بانتشو الذي أعطاه «حلم الذهاب للتمشية».

بينج بينج بينج بينج.

في تلك اللحظة، تردَّد صوت إدخال الرقم السري لباب الشقة. لكن ليو لم يستيقظ لأنه كان مستغرقًا في الحلم. فُتحت عيناه تلقائيًا عند سماعه صوت دخول أحدهم، لكنه أغمضهما مرَّة أخرى وعاد للنوم.

تقابل أفراد العائلة الأربعة بالمصادفة أمام باب المنزل ودخلوا معًا.

قال الأب لأولاده وهو يقف بجانب خزانة الأحذية: «ما الذي جعلكما تعودان إلى البيت قبل منتصف الليل؟».

تدخلت الأم: «صحيح، ظننا أنكما ستعودان بعدنا بكثير. هل نضجتما أخيرًا؟».

أجابت الابنة بلا اهتمام: «لا سبب، لم يكن اليوم ممتعًا فحسب. أحيانًا ما تكون هناك أيامٌ مثل هذه».

- ليو، لقد عدنا.

بدأت الفتاة في البحث عن ليو قبل أن تخلع حذاءها.

- يبدو أنه غاضب أننا تأخرنا. إنه مستغرق في النوم ولم يأتِ ليحيينا.

- لم يأكل حتى أيًّا من طعامه حتى.

أشعل الابن ضوء غرفة المعيشة وتفقد طبق الطعام الخاص بليو.

- لا توقظي ليو، إنه مستغرق في النوم.

- حسنًا.

جلست الابنة بجانب ليو النائم دون أن تخلع معطفها، ثم نادت عائلتها ضاحكة: «انظروا إليه».

- ما الأمر؟

جلست العائلة حول ليو.

رقد ليو على ظهره فوق الوسادة رافعًا أقدامه القصيرة تجاه السقف، وأخذت أقدامه تتحرك بانتظام كما لو كان يجري وارتسمت على وجهه ابتسامة.

قال الابن ضاحكًا وهو يفتح كاميرا هاتفه: «يبدو أنه يركض ويلعب في الحلم. كم هو لطيف».

- إنه لا يستطيع الركض في الحقيقة لأن أقدامه تؤلمه. تُرى كم كان يتوق إلى الركض لدرجةٍ تجعله يحلم بالأمر...

بدا الأب على وشك البكاء.

وبختهُ الأم مازحة: «لقد أصبحت مشاعرك مُرهفة منذ بدأنا تربية ليو، لم تكن كذلك وأنت تربي أبناءك».

كان ليو نائمًا لا يدري ما يحدث حوله، ولكن بمجرد أن سمع كلمة «تمشية» فتح عينيه على مصراعيهما. عندما استيقظ ليو من النوم ووجدهم قد عادوا أخذ يدور في مكانه ويهز ذيله ذا الفرو المتساقط كأنه لا يدري بمن يرحب أولًا.

***

في يوم رأس السنة، تجمَّع الموظفون في الردهة بعد أن أغلقوا باب المتجر ليشاهدوا حفل جوائز «حلم السنة». أزاحوا منصات البيع والخزانات الفارغة ناحية الحائط ووضعوا عددًا من الكراسي القابلة للطيِّ جلبوها من المخزن، فتكونت مساحة لا بأس بها.

- لا يوجد أفضل من مشاهدة حفل جوائز نهاية العام معًا في المتجر.

جلس مدير الطابق الخامس مو تيه إيل مع الموظفين الآخرين في الصف الأخير وبدأ في إخراج الأطعمة الخفيفة التي حضَّرها. أتى الجميع إلى المتجر لمشاهدة الحفل على الشاشة الكبيرة رغم كون اليوم عُطلة. كان هناك من أحضر أبويه كبار السن، وآخر أحضر قطته وآخر أحضر ابنته الصغيرة.

كانت الأجواء صاخبة، ساهم في ذلك جنيَّات ريبراهون اللاتي دعاهن بلا شك مو تيه إيل، حيث أخذن يطِرن حول المكان مسببات دوارًا للجميع. عندما بدأن في غناء النشيد الذي اعتدن على غنائه عند صناعة الأحذية، غطت موج بيري أذنيها كأنها لا تستطيع تحمُّل الضوضاء. أسهمت تلك الأجواء الصاخبة، بالإضافة إلى توفُّر المأكولات والمشروبات، في جعل بيني تشعر بالحماس.

على الجانب الآخر، وضع دالوجوت دليل استخدام جهاز العرض تحت ذراعه وبدأ يحاول جاهدًا تشغيله لعرض الحفل على شاشة الردهة من قبل أن يبدأ العرض بثلاثين دقيقة. كان يرتدي بنطالًا من الجينز وقميصًا ضيقًا ذا أكمام طويلة.

- سيد دالوجوت، أتبقى أمامك الكثير؟ هل يمكنني أن أشغله أنا؟ سيفوتنا الجزء الأول بأكمله على هذه الحال! لا أريد أن أفوت أيَّ لقطة لواوا سليب لاند الفاتنة.

كعادة سبيدو حاد الطباع أخذ يستعجل دالوجوت وهو يهز ساقه.

- أوشكتُ على الانتهاء، لماذا تظهر شاشة سوداء؟

بدا أن دالوجوت يريد القيام بالأمر بمفرده.

- لقد بدأ الحفل منذ ثلاثين دقيقة بالفعل، على الأرجح سيكون الآن دور «جائزة الصناع الجدد» وبعدها «جائزة الحلم الأكثر مبيعًا في شهر ديسمبر». لا نحتاج إلى مشاهدة ذلك الجزء، فنيكولاس سيأخذها على أيَّة حال.

عندما سمعت بيني هذا، تعجلت هي الأخرى. كانت تشعر بالفضول تجاه الفائز بجائزة الحلم الأكثر مبيعًا أكثر من أيِّ جائزةٍ أخرى. فالجميع يظن أنها ستكون من نصيب سانتا كلوز هذه المرة أيضًا، ولكنها كانت تتطلع إلى أن يفوز بها إنيمورا بانتشو بعدما سمعت تلميحات دالوجوت.

بالطبع لا يهمها من يأخذها، لكنها تذكرت كلابه الشرهة وملابسه الرثّة وتمنت في سرها أن يحصل على الجائزة ولو لهذه السنة فقط.

في تلك اللحظة لاحظت بيني أن طرفَي السلك قد تم توصيلهما بالعكس. استغلت بيني انشغال دالوجوت بقراءة الدليل مرّة أخرى وتظاهرت أنها ذاهبة لإعادة ملء كوبه بالمشروبات وبدلت طرفَي السلك بسرعة.

- سيد دالوجوت، الشاشة تظهر الآن جيدًا.

- كما توقعت، لقد تمكنت من تشغيلها بنفسي! أرأيتم؟ قلتُ لكم إنني لست فاشلًا في التعامل مع الأجهزة. كان على ويذر رؤيتي وأنا أقوم بذلك.

جلست بيني بسرعة في المقعد الخالي بين موج بيري ودالوجوت.

جلس بيجو مايوس في الركن يحتسي كأسًا وراء كأسٍ من الخمر القوية وهو يحدق إلى الشاشة.

- كان من المفترض أن أكون هناك...

كان قد ثمل بالفعل.

استدارت له موج بيري التي كانت تجلس أمام الشاشة وقالت: «كيف تفرط في الشرب في وجود أطفال صغار؟».

- بالطبع أنت لا تفهمين شعوري...

بدا مايوس كشخصٍ آخر كليًّا وهو ثمل.

سألت بيني موج بيري: «لكن لماذا تخلى مايوس عن رغبته في أن يصبح صانع أحلام؟».

ردت موج بيري بفضول: «أنا أيضًا أتساءل عن ذلك. لماذا رُفد من الجامعة ولماذا تخلى عن الأمر إن كان سيتحسر عليه بهذه الطريقة، فليس من المستحيل أن يصبح صانع أحلام، حتى لو لم يتخرج من الجامعة. علينا الانتظار حتى يثمل أكثر إذًا».

عندما ظهر صانعو الأحلام المشهورون على الشاشة ازدادت الأجواء حماسة في المتجر. أخذ المتفرجون يلقون التعليقات وهم يشاهدون.

- هل رأيتم الشاشة منذ لحظة؟ تبدو واوا سليب لاند فاتنة اليوم أيضًا كالمعتاد.

- هل حلق كيس كرو شعره بالكامل هذه المرة أيضًا؟ هل تحطم قلبه مجددًا؟

تحولت الكاميرا لتقف على مقدم الحفل الواقف فوق المسرح.

- أعزائي المشاهدون، نحن هنا في دريم آرت سنتر حيث يُقام حفل جوائز أحلام السنة. الأجواء هنا حماسيَّة للغاية. لا تزال هوسون ديمونا الحاصلة على جائزة الصانع الجديد تبكي في مقعدها. تهانينا مرَّة أخرى يا هوسون ديمونا!

صفق مقدم الحفل مشيرًا إلى مقاعد الضيوف.

- حسنًا، لقد أخذنا الوقت قليلًا! الجائزة التالية هي «جائزة الحلم الأكثر مبيعًا». تُرى من الذي سجل حلمه أعلى مبيعات خلال شهر ديسمبر؟ هل هو سانتا كلوز هذه المرة أيضًا؟ إذا كان كذلك فسيسجل رقمًا قياسيًّا لفوزه بهذه الجائزة لخمسة عشر عامًا على التوالي. لنرَ المرشحين معًا!

على الفور انقسمت الشاشة إلى أربعة أجزاء لتُظهِر المرشحين الأربعة. لم يحضر نيكولاس الحفل هذه السنة أيضًا فكتبوا اسمه على الشاشة بخط كبير، أما باقي المرشحين فبدا على وجوههم التفاجؤ عندما التقطتهم الكاميرا.

ضحك كيس كرو صانع الأحلام الرومانسية وهو يمسح على شعره الحليق بخجل، بينما تفاجأت سيلين جلوك صانعة أحلام الفانتازيا والخيال العلمي للحظة، ثم استجمعت نفسها وأخذت ترسل القبلات الطائرة ردًّا على تشجيع

الجمهور. أما المرشح الأخير فقد اعتلى وجهه تعبير مضحك من أثر المفاجأة، فبدا كأن شوكةً ضخمة قد علقت في حلقه.

صرخ سبيدو الذي جلس خلف بيني مباشرة: «هذا مستحيل، إنه إنيمورا بانتشو!».

يبدو أنه لم يتوقع أن إنيمورا بانتشو سيكون أحد المرشحين رغم كونه مدير الطابق الرابع. خفق قلب بيني بحماس عندما تحققت توقعات دالوجوت ورُشِّح بانتشو للجائزة.

سكت مقدم الحفل قليلًا ثم تنحنح وقال: «سأعلن الفائزَ إذًا. صانع الأحلام التي حظيت بحب الكثيرين خلال شهر ديسمبر هو...».

ضمَّت بيني قبضتها. هيًا هيًا، ابتلع دالوجوت ريقه وبدا أنه يشاركها التوتر.

- يا للمفاجأة، لدينا فائز جديد! جائزة «الحلم الأكثر مبيعًا» تذهب لإنيمورا بانتشو!

بمجرد أن انتهى مقدم الحفل من كلامه انفجر الجمهور في مزيج من التشجيع والذهول. هللت بيني ودالوجوت أيضًا وهما جالسان.

- بانتشو، تفضل على امسرح. فليوقظه أحدكم، يبدو أنه تجمد من المفاجأة!

صعد بانتشو بشرود إلى المسرح بعدما دعاه المقدم. تلقى الظرف الذي يحوي الجائزة، فاغرًا فاه كأنه لا يستطيع التصديق. بدت بذلته قديمة كأنه استأجرها من متجر ملابس مستعملة. كانت كبيرة بعض الشيء، ولكنها تليق به.

حثَّه المقدم على الحديث مازحًا: «هيًا، لتُلقي خطاب الفوز على معجبيك في كل أنحاء البلاد يا بانتشو».

- حسنًا، حسنًا! أنا... لم أتوقع الفوز بجائزة مثل هذه. آه، أعني أنني اعتقدت أننا بعنا الكثير من الأحلام هذا الشهر، لكن على أيَّة حال شكرًا جزيلًا. وأشكر على الأخص الزبائن المعتادين. أعني... ليو، كامي، لاكي، هيندونجي، آ چي، تاني، ماندو، سارانجي، نانا، وتشوكو... آه، أنا آسف. قد ينتهي البث وأنا ما زلت أُعدِّد في أسمائهم لذا سوف أكتفي بهذا. يا أطفالي! أعلم أنكم لن تروا هذا البث، ولكن أنا سعيد لأنني التقيت بكم. لقد حصلتُ على جائزة أيضًا.

رفع بانتشو ظرف الجائزة.

- سوف أستخدمها في صناعة المزيد من الأحلام الجيدة، لذا لا تمرضوا وكلوا وناموا جيدًا، ولنعش جميعًا عمرًا مديدًا.

زال التوتر عن بانتشو وهو ينادي أسماء أصدقائه الحيوانات، واستمر في إلقاء خطاب فوزه بالجائزة بلا عوائق.

- قبل عدَّة سنوات، كنت أحلم بعرض منتجاتي في متجر السيد دالوجوت للأحلام. لم يمر على تحقيقي لهذا الحلم عدَّة سنوات بعد وهأنذا أتلقى جائزة. لا أستطيع تصديق الأمر. سيد دالوجوت! هل تشاهد البث؟ شكرًا لأنك وثقت بي ووقَّعت معي العقد حين كنت لا أملك شيئًا.

هلَّل الناس داخل المتجر عندما ذُكِر اسم دالوجوت.

عدا سبيدو الذي قال بصدمة: «مهلًا، ماذا عن اسمي؟».

- وأيضًا... سانتا كلوز خاصتنا؛ نيكولاس، بالتأكيد أنت تشاهد البث من المنزل، أليس كذلك؟ كنت دائمًا ما أريد أن أصبح شخصًا يساهم في صنع عالم سعيد من أجل الأطفال والحيوانات. ثم رأيتك. كنت بالفعل تصنع أحلامًا لإسعاد الأطفال. كنت أتوق لأصبح مثلك لذا تبعتك وقررت أن أستقر في جبل الثلج الدائم وأن أصنع أحلامًا من أجل الحيوانات. نيكولاس، أنا أعرف أنك تترك لنا كل صباح الكثير من الطعام والحطب

أمام المنزل وتذهب. لولاك لما استطعنا الصبر على البرد والجوع. أُكِنُّ لك كل الاحترام يا نيكولاس! من الآن سوف أفوز أنا بجائزة «الحلم الأكثر مبيعًا»، فمن الأفضل أن تحصل أنت على الجائزة الكبرى! سوف أشتري خمرًا ثمينة وأزورك في الكوخ. يبدو أن مقدم الحفل ينظر لي شذرًا لأنني أطلت الحديث.

انفجر الجمهور ضاحكًا.

- سوف أنزل عن المسرح الآن، شكرًا لكم جميعًا. أتمنى لكم عامًا جديدًا سعيدًا.

استمر الجمهور في تهنئته بالتصفيق حتى عاد إلى مقعده.

أحدث فوز إنيمورا بانتشو اضطرابًا في حفل توزيع الجوائز، وبدأ الموظفون في المتجر يتكهنون بالفائز بالجائزة التالية. انهمك كلٌّ مِن مو تي إيل وبيجو مايوس في نقاش حاد في أحد الأركان وتعالت أصواتهم من أثر الخمر.

- تُرى من سيفوز بالجائزة الكبرى؟ على الأرجح واحد من أساطير صناعة الأحلام الخمسة، أليس كذلك؟

- بلا شك. في رأيي هناك احتمال كبير أن تحصل واوا سنيب لاند على الجائزة الفنية عن حلم «الغابة الاستوائية الحية»، لذا على الأرجح ستذهب الجائزة الكبرى إلى كيك سلامبر أو ياسنوز أوترا. إنهم يحصلون عليها في كل مرة، حفنة من المتباهين...

تساءل مو تيه إيل: «لماذا استثنيت أجانيب كوكو ودوچيه؟».

- انظر، إن دوچيه لا يذهب إلى حفلات توزيع الجوائز، كما أنه لم يُطلِق أيَّ أحلام جديدة هذا العام ليأخذ عليها جائزة. كما أن كوكو قد حصلت على الجائزة الكبرى عدَّة مرات عن عدد من الأحلام المتشابهة. سيكون من الصعب أن تحصل عليها هذه السنة أيضًا. انتظر وسترى يا مو تيه

إيل. ستذهب الجائزة الكبرى لحلم «التحول إلى نسر والطيران فوق جرف» لكيك سلامبر أو «الحلم السابع من سلسلة وضع نفسك مكان الآخرين: العيش كشخص عذبك من قبل لمدة شهر» لياسنوز أوترا.

ذهبت الجائزة الفنية لحلم «غابة استوائية حية» لواوا سليب لاند كما توقع بيجو مايوس. عُرض فيديو مختصر لحلمها الفائز في الحفل. كانت الغابة التي رسمتها تفوق الواقع جمالًا. فهي لم تستخدم ألوانًا زاهية فحسب، وإنما صورت اتجاهات سقوط أشعة الشمس، وتغير مظهر الغابة حسب الوقت بشكلٍ مذهل. فهمت بيني وقتها لماذا اتفقت لجنة التحكيم بأكملها على إعطائها الجائزة.

- لا، لا. لو كنتُ عضوًا في لجنة التحكيم لما أعطيت الجائزة الحلم وإنما للآنسة سليب لاند ذات نفسها. إنها أكثر جمالًا من الحلم.

بمجرد أن ظهر وجه واوا سليب لاند اقترب سبيدو من الشاشة حتى أوشك أن يقفز داخلها.

صرخ بيجو مايوس الثمل فيه قائلًا: «ابتعد يا سبيدو، لا نرى الشاشة. واربط شعرك هذا، دائمًا ما يتساقط شعرك على الأرض».

عندما فازت هوسون ديمونا بجائزة أفضل سيناريو إلى جانب جائزة الصناع الجدد وقفت تبكي بتأثر ولم تستطع إكمال خطابها. حصلت ديمونا على الجائزتين عن حلمها «الشعور بالوحدة وسط الناس». كان حلمًا باختصار يصور الحياة كشخص يُعامل كأنه شفاف. أثنت لجنة التحكيم على الحلم قائلين إنها استطاعت صناعة حلم يصور مشاعر الإنسان في العصر الحديث ورغبته في أن يحظى بالاهتمام في ظلِّ شعوره بالوحدة الذي لا يستطيع الهروب منه.

لكن كان لبيجو مايوس رأي آخر.

- هذا هراء. تلك الأحلام موجودة منذ أن كنت في الثالثة من عمري. إنها تُغيِّر أسماء الأحلام قديمة الطراز ثم تطرحها مجددًا. يمكنها أن تخدع لجنة التحكيم لكنها لا يمكن أن تخدعني أبدًا.

تبقى الإعلان عن الجائزة الكبرى فقط. ظلَّ مو تيه إيل طوال الحفل يسأل الناس من سيكسب الجائزة الكبرى في رأيهم من بين «كيك سلامبر» و «ياسنوز أوترا».

- من ستختارين يا بيني؟

- هل ستعطيني جائزة إذا كان توقعي صحيحًا؟

- آه، صحيح! هذه أول سنة لكِ هنا، أليس كذلك؟ يحصل الموظف الذي يتوقع الفائز الصحيح على قسيمة شراء. يعطيه دالوجوت قسيمة شراء يمكنه أن يشتري بها حلمًا من المتجر. إنه الحدث الأهم خلال حفلة جوائز نهاية العام.

- حقًّا؟

حدقت بيني بدهشة إلى دالوجوت الجالس بجانبها، اعتلى وجه دالوجوت تعبير بين الضحك والبكاء ورد قائلًا: «أوشكتُ على الإفلاس في مطلع العام عندما توقع أكثر من مئة موظف الفائز الصحيح بالجائزة الكبرى ثم أخذوا ينتقون الأحلام باهظة الثمن فقط».

فكرت بيني لمدة طويلة، ثم كتبت «كيك سلامبر» في الورقة التي أعطاها إياها مو تيه إيل. كان هناك العديد من الأشخاص الذين كتبوا أسماء صناع غير كيك سلامبر وياسنوز أوترا. بجانب اسم موج بيري كُتب اسم غير مألوف: الشيف كرانج بونج.

- سيدة موج بيري، من هو الشيف كرانج بونج؟

- إنه صاحب المتجر الذي أذهب إليه باستمرار. إنه يصنع ويبيع الأحلام الخاصة بالأكل فقط. ساعدني كثيرًا في حميتي الغذائية. بفضله كنت

أستطيع تناول البطاطس المحمرة وأنا نائمة حتى في أثناء الحمية. بغض النظر عن أن رغبتي في تناولها كانت تزداد عندما أستيقظ من النوم، لكن على أيَّة حال هو الأفضل بالنسبة لي. آه، يبدو أنهم سوف يعلنون الجائزة الكبرى!

انتهى الاستعراض وظهر مقدم الحفل الذي ارتدى بذلة لامعة من أجل الإعلان عن الجائزة الكبرى.

- الآن، أحمل في يدي هوية الاثنين المرشحين للجائزة الكبرى. تُرى ما هو أفضل حلم لهذا العام؟

أخرج المقدم ببطء الورقة التي كُتِب فيها المرشحان من الظرف الذي يحمله.

- آها، إنهما هذان. سأعلن عنهما على الفور! «حلم التحول إلى نسر والطيران فوق جرف» لكيك سلامبر أو «الحلم السابع من سلسلة وضع نفسك مكان الآخرين: العيش كشخصٍ عذبك من قبل لمدَّة شهر» لياسنوز أوترا.

عندما صدق توقع بيجو مايوس وقف موظفو الطابق الثاني وصفقوا له احترامًا. تحسن مزاج مايوس واهتزت أطراف شفتيه وهو يجاهد ألا يبتسم.

- الفائز بالجائزة الكبرى هو واحد من هذين الحلمين! أكاد أسمع المعجبين من جميع أنحاء البلاد يصرخون بأسماء المرشحين، لكل من يشاهدنا على التلفاز أيضًا، لتصرخوا باسم المرشح الذي تشجعونه.

بمجرد أن انتهى المقدم من كلمته حتى انطلق كل من في المتجر صارخين بأسماء «سلامبر» و«أوترا». تبعتهم بيني وصرخت «سلامبر». تحمست بيني وشعرت كأنها تشاهد المباراة النهائية لرياضة ما في الملعب.

- الحلم الأفضل لهذا العام! سيذهب شرفُ الجائزة الكبرى إلى...

سكت المقدم قليلًا وتسارعت أصوات المشجعين وتعالت كأنهم على وشك الانفجار. انتظر المقدم حتى وصل الترقب إلى ذروته ثم ابتلع ريقه وصرخ في مواجهة الكاميرا: «الفائز بالجائزة الكبرى هو «حلم التحول إلى نسر والطيران فوق جرف» لكيك سلامبر!».

تعالت الصيحات والتنهُّدات في وقت واحد. أخذت بيني تعانق هؤلاء الذين كتبوا اسم «كيك سلامبر» في الورقة وأخذوا يقفزون معًا في حلقات. كان هناك الكثير من الأشخاص الذين لا تعرفهم بيني، فربما كانوا من عائلات الموظفين، لكن لم يهتم أحدهم بذلك وتقاسموا جميعهم الفرحة.

أخذ مو تيه إيل يهلل وهو يمسك بقميصه فوق رأسه ويلفه في الهواء. أما سبيدو الذي اختار ياسنوز أوترا على الأرجح، فقد استند على الحائط في حسرة. لم يقتصر الحماس على المتجر فقط وإنما شمل الشارع بأكمله.

رأت بيني قطيعًا من النوكتيلوكا خارج المتجر يركضون مهللين بسعادة. كانت بيني متأكدة أن أسام كان بينهم، فقد كان من أشد المعجبين بكيك سلامبر.

احتضن كيك سلامبر ياسنوز أوترا التي هنأته على الفوز بصدق، ثم بدأ يصعد إلى المسرح ببطء. وقفت الكاميرا للحظة على واوا سليب لاند التي وضعت يدها على فمها في تأثر شديد كأنها هي التي فازت بالجائزة.

- لقد عبَّر بشكلٍ عبقري عن إحساس اليأس في أثناء الوقوف على جرف خطر، وشعور النسر وهو يفرد أجنحته في لحظة السقوط من على الجرف ويطير للأمام. مبارك لك، سيد سلامبر.

تلا المقدم التعليق الذي حضَّره مسبقًا على الجمهور في أثناء صعود كيك سلامبر على المسرح.

أخيرًا ظهر كيك سلامبر على المسرح، وعلى الفور حلَّ الصمت على المكان. كان أسمر ذا حاجبين كثيفين وذقنٍ محدد وعينين سوداوين كالفحم.

وقف على المسرح مستندًا إلى عكازه، فقد وُلد دون الجزء الذي يقع أسفل الركبة من ساقه اليمنى.

بدأ سلامبر في الحديث: «شكرًا لإهدائكم هذا الشرف لي».

كان صوته يرتعش قليلًا من السعادة، ولكن لم يلحظ أحد ذلك بسبب هيبته الطاغية.

- أظنني ألقيتُ الكثير من خطب الفوز من قبل، لذا سأتحدث اليوم عن نفسي. قد يكون كلامي مثيرًا للضجر بعض الشيء.

عندما بدأ كيك سلامبر في الكلام، جلس مو تيه إيل في مقعده بهدوء بعد أن كان يدور حول المتجر ويثرثر بلا توقف.

- كما ترون فأنا عاجز.

رفع سلامبر عكازه الأيسر وأشار إلى قدمه اليمنى.

- عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، تعلمتُ على يد أساتذتي وصنعت أول حلمٍ لي من أحلام التحول إلى حيوانات. كان حلم التحول إلى حوت قاتل يعبر المحيط الهادئ كما تعلمون جميعًا.

تعالت الهتافات من مقاعد الجمهور.

- عندما أثنى الجميع على الحلم قائلين إنهم شعروا بذروة الحرية عندما حلموا به، أدركت منذ صغري عدم كمال تلك الحرية. كنت أمشي وأقفز وأطير في الحلم، ولكني لا أستطيع فعل ذلك عندما أستيقظ. فالحوت القاتل الذي يرتحل في الماء ليس حرًّا على الأرض، والنسر الذي يحلق في السماء ليس حرًّا في البحر. فكل الكائنات تنعم بحرية مقيدة مهما اختلف شكل تلك الحرية ودرجتها.

نظر كيك سلامبر إلى الجمهور وعدسة الكاميرا بالتناوب:

- متى تشعرون بأنكم لستم أحرارًا؟

وجه كلامه للجمهور الذين يتابعونه حابسين أنفاسهم كأنه يُجري محادثة معهم.

- مهما كان الشيء الذي يقيدكم، سواء أكان مكانًا، وقتًا أو عاهة مثلي، أتمنى ألا تعيروه اهتمامًا. بل اسعوا للبحث عن شيء يمدكم بالحرية طيلة حياتكم. في أثناء رحلة البحث، قد تشعرون أحيانًا بيأس كأنكم تقفون على حافة جرف شديد الخطورة. هذا ما كنت أشعر به طوال هذا العام. فحتى أستطيع أن أصنع هذا الحلم، كان عليَّ أن أحلم بالسقوط من على الجرف آلاف، بل عشرات الآلاف من المرات. لكن عندما عقدتُ العزم على ألا أنظر إلى الأسفل، وأن أخطو على الجرف وأطير، استطعت أن أكمل حلم التحول إلى نسر والتحليق في السماء. أتمنى أن تحظوا بتلك اللحظات في حياتكم وأن يكون الحلم الذي صنعته ملهمًا لكم. وشكرًا لأنكم منحتموني هذه الجائزة الكبيرة.

صفق الجميع تصفيقًا حادًا. وقف كيك سلامبر صامتًا كأن كلمته انتهت ونظر شاكرًا إلى مقدم الحفل الذي لم يقاطع خطابه الطويل ثم نظر إلى الكاميرا وبدأ في الحديث مرَّة أخرى.

- أردتُ قول شيءٍ آخر اليوم. أريد شكر واوا سليب لاند التي بذلت قصارى جهدها لصناعة خلفيات حلمي. لقد أهدتني مناظر البحر العميق، والسماء البعيدة، والحقول الدافئة. أدين لكِ بهذه الجائزة. وأتمنى أن نبقى معًا إلى الأبد.

التقطت الكاميرا وجه واوا سليب لاند التي أوشكت على البكاء. انطلق التهليل والصافرات من مقاعد الجمهور بلا توقف.

قالت موج بيري بسعادة: «يا إلهي، لقد وُلد ثنائي مذهل!».

أما سبيدو فقد انهار راكعًا أمام الشاشة.

تلقى المقدم الميكروفون مرة أخرى وقال: «مشاهدونا في جميع أنحاء البلاد، لقد فاز كيك سلامبر بالجائزة الكبرى لهذا العام. بالتأكيد سيحظى معجبوه المخلصون بليلة رائعة! شكرًا لمتابعتكم لنا طوال هذا الوقت. كان معكم مقدم الحفل بامادي هان. أتمنى أن تحظوا بأحلام سعيدة في العام الجديد أيضًا!».

انتهى الحفل ولم تنتهِ الجلبة داخل المتجر. حيث أخذ كل منهم يشارك الآخرين انطباعاته عن حفل الجوائز.

بدت موج بيري في قمة حماسها، ووقفت -لدهشة الجميع- تتحدث باستمتاع مع جنيَّات ريبراهون.

- هل تُصلِحن لي شعري؟

كانت موج بيري تنظر إلى مرآة يد وهي تحرك رأسها يمينًا ويسارًا بينما تطير الجنيَّات حول رأسها يرتبن لها شعرها الذي تطاير في كل اتجاه.

- يبدو شعري لامعًا وأكثر سوادًا. لقد اختفت الخُصلات المتطايرة! شكرًا لكُنَّ.

ظنت بيني أن هناك رائحة ملمع أحذية نفاذة تنبعث من شعرها، ولكنها تجاهلت الأمر.

أرادت بيني أن تسأل بيجو مايوس عن سبب طرده من الجامعة، ولكنه نام بالفعل من أثر الثمالة. قررت بيني أن تسأله في وقتٍ آخر.

قام دالوجوت من مقعده بهدوء وأخذ يعد القسائم الشرائية التي سيعطيها لمن خمن الفائز بالجائزة الكبرى. أدركت بيني أنه يحمل قسائم تفوقُ بكثير عدد من خمنوا الإجابة الصحيحة. ربما سيحظى كل من في المتجر برأس سنة سعيد.

سُرعان ما دخلت كائنات النوكتيلوكا المتجر عندما لاحظت الأنوار بالداخل وهي تجوب الشوارع، وانضم إليها الزبائن الذين شعروا بالفضول تجاه سبب الجلبة التي تجري داخل المتجر. بدت أجواء متجر الأحلام أشبه بأجواء المهرجانات. تبقت دقيقة واحدة على منتصف الليل.

30 ثانية، 10 ثوانٍ، 5 ثوانٍ...

بدأ دالوجوت في العد التنازلي صارخًا: «ثلاثة! اثنان! واحد! كل عام وأنتم بخير!».

على الأرجح لن تنسى بيني ليلة رأس السنة هذه التي قضتها مع العديد من الأشخاص لوقت طويل.

7. البارحة وحلقات البنزين

في صباح يوم الجمعة، جلس الرجل أمام طاولة الحاسوب إلى جانب النافذة، ينظر قليلًا إلى الشاشة ثم ينظر خارج النافذة ثم إلى الشاشة مرَّة أخرى. كانت الشبكة التي وُضعت على النافذة لمنع الحشرات صدئة ومهترئة وتنبعث منها رائحة غبار كريهة. فتح الرجل النافذة والشبكة على مصراعيهما واستنشق هواء الصباح. ثم فرك عينيه في محاولة لاستعادة انتباهه.

مرَّ سكان العمارات المجاورة أمام بيته الذي يقع في ناصية الحارة في طريقهم للذهاب إلى محطة قطار الأنفاق. كان يعيش في الدور الأول في تلك الحارة غير المستوية، لو انخفضت أرضية المنزل قليلًا لكان من الواجب تسميته قبوًا. بل كان من الأفضل لو كان قبوًا بحق، عندها لانخفض الإيجار 50 ألف وون تقريبًا.

- نعم، أنا في طريقي إلى العمل. ما رأيك أن نلتقي بعدما ننتهي من العمل؟ إنه يوم الجمعة.

كانت الأجواء بالخارج كأجواء يوم الجمعة المُعتادة؛ أصوات الناس وهم يمشون بينما يتحدثون في الهاتف، وأصوات تسارع خطواتهم للحاق بقطار الأنفاق. تشتَّتت أفكار الرجل وهو ينظر إلى الناس بالخارج.

- أنا وحدي مَن لا أستطيع أن أحيا حياةً آدمية، أقبع في البيت لأصنع الموسيقى، أجميع من لديهم حلم بلا موهبة يصبحون مثلي؟ أتمنى لو يُعلمني أحدهم الفرق بين الطمع والشغف.

كان يحاول جاهدًا تلحين الأغنية التي ألفها قبل موعد تجربة الأداء التي قدَّم لها بصعوبة. لكن حتى الآن لم يستطع تأليف لحنٍ يُرضيه.

كان يريد أن يصبح مطربًا. لم يحلم بشيء آخر طوال حياته. فشلت محاولة إطلاق أول أغانيه تحت شركة الإنتاج الصغيرة التي التحق بها في طفولته، ومضى الوقت ليصبح في التاسعة والعشرين من عمره.

في بداية هذا العام بينما يتنقل بين الوظائف، اشتهرت إحدى أغنياته التي كان ينشرها على مواقع التواصل الاجتماعي عندما يسنح له الوقت. وعرضت عليه إحدى شركات الإنتاج المعروفة أن يأتي إلى تجربة أداء. لكن الرد الذي حصل عليه بعد تجربة الأداء أعاده إلى نقطة الصفر.

- ليس لك لون محدد. ما رأيك أن تتركك من هذا وتؤلف أغنية؟ وسنراك في تجربة الأداء القادمة. نحن نعطيك فرصةً أخرى.

عمل جاهدًا لتوفير مصاريف معيشته. أراد الالتحاق بأحد معاهد التلحين أو تعلم العزف على آلة موسيقية، ولكن وقته وماله لم يسمحا له بذلك. تمكن بالكاد من شراء حاسوب مُستعمل عن طريق معارفه وثبت أحد برامج التلحين ثم بدأ تعلم التلحين وحده بشكلٍ عشوائي.

استمرت حياته كالحلقة المُفرغة، يبذل قصارى جهده ولا يجني ثماره، فأحيانًا كانت مصروفاته تفوق دخله، وأحيانًا يتقشف ليوفر بضعة آلاف وون.

أخذ يغير الألحان ويغني حتى جفَّ حلقه. كان يطارد الوقت لينهي الأغنية قبل موعد تجربة الأداء. كل ما عليه هو إيجاد لحن واحد جذاب. كان يشعر

أنه سيجد واحدًا إذا اجتهد قليلًا بعد. غرق في حيرته طوال الليل حتى بزغ الصباح.

ثقلت جفونه، وعضه الجوع. لم يكن يمتلك طعامًا في المنزل، ورغم أنَّ هناك بقالة على بُعد خمس دقائق فإنه لا يحب الذهاب إلى هناك في وقت ذهاب الموظفين إلى العمل. كان يكره أن يشقَّ طريقه بعينين أرهقهما النعاس وسط الذاهبين إلى العمل كل صباح.

أبعد نظره عن النافذة واستمع فقط للأصوات بالخارج. فكر أن أصوات الخطوات والكلام قد يلهمه شيئًا ما فأخذ يضرب على لوحة المفاتيح بالبرنامج محدثًا نغمات مقاربة لتلك الأصوات.

حاول الرجل توظيف صوت الشخص الذي مر منذ قليل متحدثًا في الهاتف داخل نغمة. حاول أن يبث من خلالها إحساس ترقب نهاية الأسبوع وراحة البال التي ينعم بها الموظفين. لكنه لم يكن يمتلك عُطلة نهاية أسبوع سعيدة، فلم يستطع حتى تقليد هذا الإحساس في ألحانه.

كان عليه الاختيار؛ اختيار شيءٍ يتخلى عنه مُقابل تحقيق ما يرغب به. فتخلى عن الحياة المناسبة لسنه.

لم يكن يستطيع قط التخلي عن هدفه في أن يصبح مطربًا. فرغبته تلك أصبحت جزءًا منه. لا يستطيع أن يتخيل نفسه دون تلك الرغبة. فعاش مجاهدًا لتقبُّل نفسه كما هي.

أكمل الرجل عمله داخل غرفته الضيقة. أصدر الحاسوب طنينًا كأنه على وشك الانفجار، فالحاسوب العتيق لا يقوى على تشغيل البرنامج المتقدم الذي يستخدمه. شعر بالاختناق وأغلق البرنامج بأكمله. ثم فتح محرك البحث وبدأ يكتب أيَّ شيء يخطر على باله.

«عندما تشعر بالاختناق».

«عندما تشعر بأنك لا قيمة لك».

«عندما يكون لديك حلم لكن ليست لديك موهبة».

وجد العديد من الأسئلة المشابهة، لكن لم يجد الإجابة التي يريدها.

«ألا بد أن تنجح؟ أليس اجتهادك حتى الآن نجاحًا في حد ذاته؟».

لم يكن ذلك الكلام الذي يريد سماعه الآن.

فتح نافذة البحث مجددًا وبحث عن «الإلهام» و "inspiration"، وأشياء من هذا القبيل كأن الإلهام سيأتيه بهذه الطريقة.

«الإلهام: حافز أو فكرة تُحفِّز عملًا إبداعيًا».

كان شيئًا تمناه، ولكنه لم يحصل عليه.

كان يعرف أنه من المستحيل أن يحصل على الإلهام من بحثٍ على الإنترنت، ولكنه كان في حاجة إلى التشبث بأيِّ أمل. لذا بحث بشكل أكثر تحديدًا.

«طُرق الحصول على الإلهام».

ظهرت مئات الصفحات ومقاطع الفيديو.

حارب الرجل نعاسه وأنزل الصفحة إلى الأسفل. وقعت عيناه على صفحة بعينها.

«عباقرةٌ ألهمتهم الأحلام».

طبقًا للسيرة الذاتية لبول مكارتني والبيتلز، فإن مكارتني قد ألف أغنيته «البارحة» في حلمه. بمجرد أن استيقظ ركض إلى البيانو وعزفها قبل أن ينساها. قلق مكارتني من أن تكون أغنية قد سمعها من قبل وكانت محفوظة في عقله الباطن ولم يتذكرها سوى الآن.

«ظللتُ شهرًا كاملًا أسأل العاملين في مجال الموسيقى إذا كانوا سمعوا هذه الأغنية من قبل، كأنني وجدتُ شيئًا أضاعه أحدهم فذهبت به إلى الشرطة. فإذا لم يدَّعِ أحد أنها ملكه، سأتمكن أخيرًا من أن أقول إنها ملكي».

وهكذا اكتملت «البارحة» أحد أشهر الكلاسيكيات داخل حلم بول مكارتني...

هناك نظرية مشهورة تُعرف بنظرية حلقات البنزين لعالم الكيمياء الألماني كيكوله. هناك حكاية طريفة تقول إن تركيب حلقة البنزين خطر على بال كيكوله عندما رأى حلمًا يعضُّ فيه ثعبانٌ ذيلَه. وبذلك ابتكر شكل حلقة البنزين مدمرًا بذلك المعتقد القديم بأن ذرة البنزين مستقيمة الشكل.

بدأ النعاس يغلبه. وبدأت جفونه تتثاقل كلما حاول التركيز على الحروف.

مال على المكتب وخلد إلى النوم في مكانه. قبل نومه لم يتوصل سوى إلى الجزء المتكرر من الأغنية. امتلأ رأسه بآلاف الألحان. وخلد إلى النوم وهو يعوم في دوامة من النغمات.

***

وقف موظفو متجر الأحلام في صفٍّ أمام مكتب الاستقبال يحملون قسائم الشراء التي حصلوا عليها في ليلة رأس السنة. كانت قسائم شراء أهداها لهم دالوجوت يمكنهم من خلالها شراء أيِّ حلم من المتجر.

أرشدتهم ويذر قائلة: «قفوا صفًّا وقرروا الحلم الذي تريدونه مسبقًا. يجب علينا الانتهاء من هذا خلال استراحة الغداء. وتجنبوا الأحلام باهظة الثمن، فأنتم موظفون هنا».

- تُرى ماذا أشتري؟

وقفت بيني أيضًا في الصف تنتظر مع الموظفين الآخرين.

- سوف أخبرك بحيلة جيدة. إذا كنت لا تدرين ما تريدين شراءه، اشتري نفس الحلم الذي اشتراه مو تيه إيل.

أشارت موج بيري إلى مو تيه إيل الذي كان يقف في بداية الصف.

كان مو تيه إيل يتشاجر مع سبيدو الذي وقف أمام مكتب الاستقبال على المكان.

- سيد سبيدو، أنا أتيتُ أولًا.

- أنا لا أكره شيئًا أكثر من الانتظار. هلَّا تتنازل هذه المرة؟

- ما هذا الهراء. ارجع إلى الوراء من فضلك.

لم يتراجع مو تيه إيل. تراقص شعر سبيدو الطويل وهو يدفع مو تيه إيل بجسده للوراء.

سألت بيني: «إنهما يتشاجران مجددًا. لكن لماذا علينا شراء نفس ما يشتريه مو تيه إيل؟».

- بيني، ألا تريدين معرفة كيف حصل هؤلاء الاثنين على وظيفة هنا؟

- السيد سبيدو يستطيع العمل بسرعة فائقة. سمعت أنه لا يوجد من يستطيع ترتيب شحنات أحلام القيلولة بنفس سرعته.

قبل أن تعرف بيني بهذا الأمر، لم تكن تفهم سبب اختيار سبيدو كمدير للطابق الرابع. لكنها فهمت السبب عندما رأته مرَّة في أثناء عمله. فقد كان دائمًا ما يحرص على إنهاء عمله قبل موعد المغادرة. فلا يوجد في قاموسه ما يسمى بالبقاء في العمل بعد المواعيد الرسمية.

- ماذا عن مو تيه إيل؟

- مو تيه إيل... إنه يجيد البيع. فهو تاجر موهوب.

- ليس هذا فحسب. فما يختلسه على الأرجح أكثر مما يبيعه. هل تعتقدين أن دالوجوت لا يعلم ذلك؟

- لماذا يُبقي عليه إذًا؟

- لماذا يا تُرى. لأن الأحلام التي يختارها ويختلسها تُحقق نجاحًا كبيرًا! فلديه موهبة في انتقاء اللؤلؤ من الوحل. ففي العام الماضي اختار حلمًا لصانعٍ جديد غير معروف. أخذ الناس يسخرون منه متسائلين لمَ أهدر قسيمة الشراء على شيء كهذا؟ ولكن الحلم حقق نجاحًا كبيرًا في النهاية.

عندما أتى دور بيني، طلبت نفس الحلم الذي اختاره مو تيه إيل كما أخبرتها موج بيري.

قالت العمة ويذر بأسف: «بيني، مع الأسف لقد نفد. لماذا يطلب الجميع نفس الحلم الذي أخذه مو تيه إيل؟».

- يا إلهي... ماذا كان محتوى الحلم؟ أشعر بالفضول.

- كان عنوانه «مصعد الخيال»، يقولون إنكِ إذا تخيلتِ داخل الحلم أي مكان تتمنينه قبل أن تفتح أبواب المصعد في كل طابق فهو يأخذك له. يعتبر صفقة بالنسبة إلى سعره إذا كنتِ واثقة من قدرتك على التركيز في الحلم.

- يا للأسف. بالتأكيد سيحب البارعون في الأحلام الواعية هذا الحلم. أعطيني إذًا أيَّ حلم يظهر فيه أحد المشاهير.

تحسن مزاج بيني عندما فكرت أنها ستنام وتحلم يوم عطلتها حتى وقت متأخر.

- حسنًا، انتهينا أخيرًا! لنستعِد لدوام بعد الظهر.

عاد الكل إلى طوابقهم مع نداء العمة ويذر.

- بيني، يجب أن أذهب إلى المصرف في مأمورية لدالوجوت. هلَّا تتولين أمر مكتب الاستقبال؟ تستطيعين فعل ذلك وحدك الآن، أليس كذلك؟

ردت بيني بثقة: «نعم، بالطبع!».

بعد مرور ثلاثين دقيقة، وقفت بيني التي كانت مفعمة بالثقة منذ قليل تتصبب عرقًا. فقد وضعها أحد الزبائن في موقف محرج. فقد وقف يجادل بيني زاعمًا أنه قد تفقد المبنى بأكمله ولم يجد الحلم الذي يريده. ولسوء حظها لم تعد العمة ويذر من مهمتها الطويلة، وخرج دالوجوت ليقابل أحد صناع الأحلام. كانت تلك أكبر أزمة تعرضت لها بيني منذ التحاقها بالعمل.

- لا يوجد حلم كهذا.

ترجاها الشاب ذو البشرة الشاحبة: «أرجوكِ كُفِّي عن هذا وأعطيني «حلم الحصول على الإلهام». «أنا في أمسِّ الحاجة إلى هذا الحلم».

بدا كأنه يعاني نقصَ التغذية، فبشرته كانت خشنة وشعره جافًّا. لا شيء ينمُّ عن الحياة فيه سوى نظرات عينيه الثاقبة تملؤها رغبة شديدة في شيء ما.

- لقد أتيت هنا بعد أن قرأت قصة البيتلز وحلقات البنزين لكيكوله. يقولون إن الأحلام ألهمتهم. ألا يمكنكِ أن تبيعي لي حلمًا مثل هذا؟ أتفعلين هذا لأنه باهظ الثمن؟

- ما هو البيتلز؟ وماذا تعني حلقات البنزين؟ نحن لا نرفض بيع الأحلام للزبائن بسبب غلو ثمنها، فالدفع مؤجل على أيَّة حال. لا تُسِئ الفهم.

لم تستطع بيني إيجاد أي حلم مقارب لـ«حلم الحصول على الإلهام» مهما بحثت في كُتيب المتجر.

أيوجد حلم لا أعرفه؟ فكرت بيني قليلًا ثم اتصلت بمديري جميع الطوابق ودعتهم للقدوم.

قال مدير الطابق الثاني مايوس بصرامة: «لا يوجد حلم مثل هذا. لقد عملت طوال حياتي بائعًا للأحلام. لا يوجد حلم لا أعرفه. بول مكارتني؟ قد يكون زبونًا زارنا من قبل، لكني لا أتذكره. فأنا في الحقيقة لا أتحدث مع الزبائن في العادة. لكنني متأكدٌ من شيء واحد. لن تجد حلمًا كهذا في أيِّ متجر».

قالت موج بيري مديرة الطابق الثالث بقلق: «لكنك تبدو شاحبًا للغاية».

أما سبيدو مدير الطابق الرابع فقد ألقى نظرة سريعة إليه ثم سأل: «منذ متى لم تنم؟».

- 40... لا، نحو 48 ساعة.

تنهَّد الجميع وقالوا معًا في حَزم: «يجب أن تأخذ قسطًا كافيًا من النوم أولًا».

اعتلى اليأس وجه الرجل كأنه حُرم من آخر أمل لديه.

- لمَ اجتمعتم في الطابق الأول؟ هل هناك خطب ما؟

عاد دالوجوت من عمله بالخارج ودخل المتجر وهو يخلع معطفه.

- كل ما في الأمر...

روت له بيني الحكاية بأكملها. ففكر دالوجوت بتمعن ثم أمحص النظر إلى الزبون. بدا الرجل كأنه يترقب بصيصًا من الأمل عندما وجد شخصًا يبدو ذا أهمية كدالوجوت يستمع إلى حكايته. دسَّ دالوجوت شيئًا في يده.

قال الرجل بحماس: «هل سيعطيني هذا إلهامًا؟».

- ربما، على حسب.

قِبَل الرجل ردَّه بصدر رحب. ثم أحكم قبضته على الشيء الذي أعطاه دالوجوت إياه كأنه يخاف أن يسرقه أحدهم.

***

أدرك الرجل أنه استغرق في النوم حتى بعد الظهر. آلمته رقبته من النوم جاثمًا، لكن عقله بات صافيًا.

أدرك أيضًا أن الألحان التي كانت تتراقص بعشوائية في رأسه قد رتبت نفسها وأخذت تسري في عقله بهدوء. لم يكن يعرف من أين أتت تلك الألحان لكنه بدأ ينقر على لوحة المفاتيح على أيَّة حال.

فكر الرجل هل كان هذا لحنًا يعرفه من قبل؟ أم سمعه في الحلم؟ لم يكن متأكدًا.

- على أيَّة حال عليَّ تسجيله على الفور قبل أن أنساه.

ملأ الرجل الفراغات في اللحن وأكمله. لا يدري من أيِّ مكان من عقله أتت تلك الألحان، ولكنها كانت ما يبحث عنه بالضبط.

كانت الأغنية تعجبه. لا يستطيع الانتظار ليُسمعها للناس. سوف تكون تجربة أداء الغد أول مكان يُسمِع فيها أغنيته للآخرين.

***

زار الرجل المتجر مجددًا وقابل دالوجوت بعد مضي فترة.

- لقد أعجبتهم. والأهم من ذلك أنها تعجبني للغاية. لقد كتبت الكلمات بنفسي أيضًا. الأمر محرج بعض الشيء، ولكنها تروي حكايتي.

بدت بشرته نضرة.

- سوف أذهب إلى تسجيل الأغنية هذا الأسبوع. شكرًا لمساعدتك. إن الأحلام لشيءٌ عظيمٌ بحق. فقد ساعدتني في حل مشكلة عويصة. أنا غاية في الامتنان.

انحنى الرجل لدالوجوت.

- لا داعي لتشكرني.

- إذًا من عليَّ أن أشكر؟

- من الأفضل أن تشكر نفسك.

- ماذا؟

- لم أُعطِك سوى حلوى منومة. تجعلك تنام بعمق.

أخرج دالوجوت بعضًا من الحلوى من جيبه وأراهم إياها.

- كان الحلم بالفعل في رأسك من قبل.

- حقًّا؟

- الإلهام كلمة سهلة للغاية. تجعلك تشعر أن شيئًا عظيمًا سيظهر لك فجأة من العدم. لكن في النهاية ما يصنع الفارق هو الوقت الذي تستغرقه في التفكير. هل فكرت حتى تعثر على الإجابة؟ أم لم تفعل ذلك؟ هذا هو الفارق في النهاية. وأنتَ فكرت في الأمر حتى وجدت الإجابة.

- هل هذا يعني أن لديَّ موهبة؟ هل سأبلي بلاءً حسنًا فيما بعد؟

- أنت تعرف أكثر مني إذا كانت لديك موهبة أم لا. فأنا قليل الخبرة في هذا المجال. إذا أردت الاستمرار في الغناء لفترةٍ طويلة فعلى قدر

عملك عليك أيضًا أخذ قسط كافٍ من النوم. فالنوم يساعدك في ترتيب أفكارك.

- حقًّا؟ شكرًا لك على أيّة حال. على كل شيء...

انحنى له الرجل مرارًا وتكرارًا.

- إذا كنت شاكرًا لهذه الدرجة هل تسمح لي أن أحول حكايتك إلى حلم؟

- حكايتي؟ وأين ستستخدمها؟

- في الحقيقة... أنا أصنع خط أحلام جديدًا مع أحد معارفي من صناع الأحلام، لكننا كنا نحتاج إلى عينات من القصص. لكن عليّ الحصول على موافقتك أولًا. وبالطبع يمكنك الرفض.

- وما هي تلك الأحلام الجديدة؟

- لم نقرر عنوانًا لها بعد، ولكننا سميناها «حياة الآخر» مؤقتًا! سوف نُطلِق نسخة تجريبية أولًا. سيصنعها صانع أحلام غاية في المهارة، لذا أنا أيضًا أتطلع إليها.

- تبدو ممتعة. إذا كانت حكايتي ستساعدك فاستخدمها.

- هل تأذن لي؟

قال الرجل مازحًا وهو يقهقه: «بالطبع. الحلم شيءٌ مثير للاهتمام. من المذهل أن كلمة «حلم» و«حلم» كلمتين متجانستين. وهي كذلك بالإنجليزية أيضًا dream وdream. هل هذا يعني أنني وجدت حلمي في الحلم؟».

كان يبدو أكثر استرخاءً وحيوية. اعتقدت بيني أن ذلك بسبب أنه نام بقدرٍ كافٍ في الفترة السابقة.

أخذ الرجل يتفقد الأحلام قليلًا ثم اختار حلمين وغادر المتجر.

قالت بيني وهي تشاهده يغادر المتجر: «سوف يصبح زبونًا معتادًا لدينا. يجب أن نطلب ميزان جفون له».

- هذا صحيح يا بيني. إذا قلتِ لويذر ستُعلِمك بالشركة التي تصنعه لنا.

أجابته بيني بنشاط: «حسنًا، سأتواصل معها حالًا».

- هناك شيء آخر. هل يمكنك التواصل مع ياسنوز أوترا أيضًا؟ اطلبي منها أن تبدأ العمل على صناعة الأحلام. ستسعد كثيرًا عندما تعرف أننا حصلنا على العينة التي كنا ننتظرها.

8. إطلاق تجريبي: حياة الآخر

وجدت بيني نفسها في رحلة عمل في ضاحية ذات منازل راقية.

- تقول ياسنوز أوترا أنها أنهت عينات الأحلام الجديدة. اذهبي أنتِ لاستلامها لتستنشقي بعض الهواء على سبيل التغيير.

اقتصرت تعليمات دالوجوت على ذلك.

جلست بيني في غرفة المعيشة بالطابق الأول للمنزل. كانت الغرفة ذات إضاءة خافتة بفضل عدد من المصابيح التي ثُبّتت في سقف الغرفة العالي. كانت هناك عدة تماثيل تجريدية في الحديقة التي يمكن رؤيتها عبر النافذة الزجاجية، وفوقها زرعت بعض النباتات المتسلقة التي تليق بها.

تشابكت الستائر الزرقاء الداكنة ذات النقوش الصغيرة مع الستائر الخفيفة التي وضعت خلفها واهتزت بفعل الرياح. يبدو أنها تستخدم موزع عطر يحتوي على بضع قطرات من «الرزانة» مما أضفى على البيت هالةً من الوقار. كان البيت في رأي بيني أنيقًا مثل ياسنوز أوترا. أصابتها مشاعر متضاربة عندما فكرت كم عامًا يجب أن تدخر راتبها لتشتري بيتًا كهذا.

بدا أن أوترا كانت لا تزال مشغولة بعملٍ آخر في الطابق العلوي. تحرك حولها العاملون بالمنزل، ويبدو أنهم شعروا بالذنب لتركها تنتظر فأخذوا

يقدمون لها مُختلف المأكولات والمشروبات، فأتوا لها بعصير العنب، ثم كعكة البيض، ثم فطيرة الخضراوات.

كان مظهرهم لا يقلُّ أناقةً عن أوترا. فجميعهم كانوا طوال القامة يرتدون ملابس غير مريحة ويتجولون في المنزل مثل عارضي الأزياء. في المقابل كانت ثياب بيني اليوم واسعة وعريضة، مما جعلها تشد أطراف ملابسها وتخفيها وراء ظهرها لتبدو أضيق قليلًا.

عندما كانت بيني على وشك أن تقلق أن أوترا قد نسيت أنها طلبت مقابلتها، مدَّ فتى يبدو صغير السن رأسه فوق درابزين سلم الطابق الثاني.

- أنتِ أتيتِ من متجر السيد دالوجوت للأحلام، أليس كذلك؟ تطلب منك السيدة أوترا أن تصعدي إلى ورشتها في الطابق الثاني.

كان الطابق الثاني يحوي أكثر من عشر غرف. مشت بيني وراء الفتى نحو آخر غرفة في الرواق الأيمن. مرت بجانبهما فتاة ترتدي قميصًا قطنيًّا وسروالًا قصيرًا بألوان رمادية. يبدو أنها زبونة تغادر مكتب أوترا.

- هل هذه زبونة؟

- نعم، تستقبل السيدة أوترا الزبائن شخصيًّا في منزلها. فهي تصنع معظم الأحلام بالحجز لكل شخصٍ على حدة. كان هذا ثالث اجتماع مع هذه الزبونة. وأعتقد أنها ستأتي عدَّة مرات حتى يحددوا كل التفاصيل. يبدو أن اجتماعهم اليوم قد طال على غير المتوقع. فهي لا تستخف بمواعيدها في العادة.

توقف الفتى أمام غرفة عُلِّق عليها بورتريه لياسنوز أوترا. ثم طرق الباب مرتين. كان البورتريه يصورها من الجانب وهي تُغمض عينيها.

- إنها هنا. يمكنك الدخول على الفور.

- حسنًا، شكرًا لك.

عندما فتحت الباب وخطت للداخل قابلتها أوترا التي قصت شعرها أقصر مما كان عليه وقت الاجتماع.

- تفضلي، آسفة أنني جعلتكِ تنتظرين طويلًا.

- أنا بيني وأتيتُ من متجر السيد دالوجوت للأحلام. لم أنتظر طويلًا فلا تقلقي بشأن هذا.

- لقد رأيتكِ في بيت نيكولاس المرة السابقة. أتذكركِ.

كانت ترتدي قميصًا ذا أكمام زاهية اللون وبنطالًا رسميًا ذا خصرٍ عالٍ. كانت الورشة خلفها مليئة بالأدوات والصور من مُختلف الأنواع. مزدحمة، ولكنها مرتبة مما جعلها تبدو كموقع تصوير فيلم. الأرفف ممتلئة بمجلات الأزياء، وتوجد خزانةٌ كبيرة لا تقل في حجمها عن خزانات متاجر الأحلام. شعرت بيني بالفضول تجاه الأحلام المرصوصة داخلها.

- أتريدين كوبًا من القهوة؟

- لا، شكرًا. قدم لي العاملون بالخارج الكثير من المشروبات والأطعمة الخفيفة.

- حسنًا، سأشرب كوبًا أنا إذًا. أنا متعبة قليلًا. منذ الصباح قابلت ثلاثة زبائن للتشاور بشأن أحلامهم.

- لقد رأيت الزبونة التي خرجت منذ قليل. سمعت أنها أتت عدَّة مرات من قبل.

- هذا صحيح، في العادة يزورني الأشخاص الناقمون على حياتهم. وتلك الزبونة كانت كذلك. فهي تهدر وقتها في مُقارنة حياتها مع الآخرين. ويزداد الأمر سوءًا يومًا بعد يوم.

مررت أصابعها الطويلة داخل شعرها القصير.

- يجب أن أتشاور معها عدَّة مراتٍ أخرى قبل صناعة الحلم؛ فأنا لا أدري حتى الآن ماذا تريد بدقة. ما زلتُ أفكر في الطريقة المناسبة لمساعدتها.

ارتشفت أوترا قهوتها.

- على أيَّة حال. أكان الطريق إلى هنا صعبًا؟

- على الإطلاق. وصلتُ بسهولة بفضل السيارة التي أرسلتِها إليَّ. شكرًا لك.

ظلت بيني في أثناء المحادثة تسترق النظر إلى الخزانة ذات الباب السميك. فالزخارف من طراز الروكوكو لا تتلاءم مع جهاز قياس الحرارة والرطوبة الذي لُصق عليها. يبدو أنها كانت تحوي جهازًا لتوزيع الهواء أيضًا حيث كان يصدر صوتًا خافتًا. لا بد أنها تحوي أحلامًا ثمينة للغاية.

- تبدو الخزانة مُبهرجة، أليس كذلك؟ أتريدين تفقدها؟

قالت بيني بابتهاج: «هل يمكنني ذلك؟».

- بالطبع.

قامت أوترا من مكانها واقتربت من الخزانة. كانت صناديق الأحلام ملفوفة بعدَّة طبقات من ورق التغليف، بعضها وُضع داخل صناديق عملاقة ذات قفل كبير. كانت بيني تعرف مما سمعته من قبل أن ياسنوز أوترا تهوى جمع الأحلام النادرة تمامًا مثلما تهوى شراء الملابس.

- كل الأحلام الموجودة هنا إما وجدتها بصعوبة وإما اشتريتها في مزاد.

فتحت أوترا باب الخزانة وأخرجت صندوقًا ذا قفل.

- هذا حلم صُنع منذ ثلاثين عامًا. صنعه أستاذي الراحل.

- ألا تفسد الأحلام مع الزمن؟

- لا، إنها على ما يرام. لم أشهد من قبل أن فسد أحد أحلام أستاذي. فأنا أحافظ عليها جيدًا.

- ما نوع الأحلام التي كان يصنعها أستاذك؟

كانت بيني لا تصدق أنها تتحدث مع أحد أساطير صناعة الأحلام في أمور شخصية. لكنها قررت ألا تهوّل الأمر كالمُستجدين.

- صنع أحلامًا تمكنك من عيش حياة شخص آخر مثل التي أصنعها. كان عظيمًا. قال دائمًا إننا يجب أن نصنع كل حلم بتفانٍ وإخلاص. لن أصل أبدًا إلى مستواه طوال حياتي.

مدحتها بيني قائلة: «مع ذلك أنتِ واحدة من أساطير صناعة الأحلام. بالتأكيد سيكون فخورًا بكِ».

- أساطير صناعة الأحلام وكل تلك الألقاب ما هي إلا ألاعيب واهية من الجمعية لبيع الأحلام...

بدت أوترا خجولة.

- ألا تريدين معرفة مدة هذا الحلم الذي صنعه أستاذي؟

- كم مدته؟

- ما يقدر بسبعين عامًا. لقد وضع فيه سبعين عامًا من حياته قبل أن يرحل. ثم ورثني إياه. أحيانًا عندما أشتاق إليه كثيرًا أفكر في فتحه ورؤيته. وقتها سأستطيع أن أرى لحظة مقابلتي له، وأعرف طريقة صناعته لتلك الأحلام المذهلة.

- لماذا لم تفعلي ذلك إذًا؟

- لأنه سيختفي بمجرد أن تحلمي به مرة واحدة. أنا راضية بالاحتفاظ به في هذه الخزانة فقط. هناك أيضًا هذا الحلم بالرف السفلي. لقد حصلتُ عليه بصعوبة في مزاد. إنه أول حلم صنعه نيكولاس في شبابه. أراهن أن نيكولاس ذاته لا يدري أني أمتلكه. أنتِ أيضًا يا بيني، تفقَّدِي المزادات أحيانًا. ستجدين أشياء ذات قيمة استثمارية أكبر بكثير من أي تحفة فنية.

نصحتها أوترا.

ثم أكملت: «حسنًا، لما لا نعود إلى حديثنا عن العمل؟».

ذهبت أوترا نحو المكتب ثم أخرجت صندوقًا صغيرًا كان مدفونًا في أحد الأدراج. جلستا متقابلتين على الأريكة وبينهما الصندوق.

- هذه نسخة تجريبية صنعتها من العينة التي تلقيتها سابقًا. أرغب أن نسميها «حياة الآخر» كما اقترح دالوجوت. أعجبني هذا الاسم.

ردَّت بيني بخجل: «لكن ما نوع الزبائن الذين سنعطيهم هذا الحلم؟ لم يقل دالوجوت أيَّ شيء عن هذا الأمر».

- قد أكون من الجيل القديم، ولكني أعرف أن الناس مؤخرًا يصرون على مقارنة أنفسهم بالآخرين بشكلٍ مبالغ فيه. بالطبع أحيانًا يحدث ذلك رغمًا عنهم.

هزت أوترا كتفيها.

- ولكن لو تطور الأمر وأصبح يعوقهم عن التركيز في حياتهم فهناك مشكلة. إن هذا الحلم صُنع من أجل هؤلاء الأشخاص.

دفعت أوترا الصندوق الصغير تجاه بيني.

- بالتأكيد سوف يحقق نجاحًا. فأنتِ مَن صنعتِه.

قالت أوترا بتواضع: «على الإطلاق. قد يصبح منتجًا فاشلًا لا يشتريه أحد. أنا أيضًا أريد أن أعرف كيف سيبيع دالوجوت هذا الحلم. فأحلامي في العادة لا تلقى رواجًا».

- مستحيل! ستنفد على الفور.

- لا. فحلم «عيش حياة شخص عذبك من قبل لمدة شهر» قد تلقى تقييمًا جيدًا من النقاد، ولكنه حقق مبيعات منخفضة. فمن الذي سيرغب في العيش كالشخص الذي عذبه من قبل؟ كان عليَّ أن أضع له عنوانًا غير هذا.

ضحكت أوترا بعفوية.

- إن أحلامي لا تحقق مبيعات جيدة دون إعلانات. لذا أنفق الكثير على إعلانات التلفاز والإعلانات الخارجية. لو قللت الإنفاق على الإعلانات لاستطعت تجديد ستائر المكتب. لكن على أيَّة حال، لم نروج للحلم هذه المرة لذا... دوركِ أنتِ ودالوجوت سيكون غاية في الأهمية في بيعه.

كانت أول مرة تتولى بيني عملًا على هذا القدر من الأهمية منذ أن بدأت العمل.

- حسنًا! ثقي بي.

ضحكت أوترا قائلة: «شكرًا».

- لحظة! علينا تمييزه حتى لا تختلط الصناديق ببعضها.

كتبت أوترا على الصندوق:

حياة الآخر (نسخة تجريبية) - ياسنوز أوترا

ارتسم الإصرار على وجه بيني وهي تدفن الصندوق في أعماق حقيبتها حتى بدت كعميل سري في مهمة. ثم خرجت من البيت على عجل وعادت إلى متجر الأحلام.

***

في صباح يوم أحد خامل، استيقظ الرجل متأخرًا، وما إن أكل سريعًا ثم غسل ملابسه المُكومة حتى وجد أن الوقت تجاوز الظهيرة. كان يشاهد إعادة برنامج موسيقي وهو مُتمدد على الأريكة. كان برنامجًا يظهر فيه ثلاث فرق من المطربين يقومون ببعض المقابلات ثم يقيمون حفلة موسيقية صغيرة. أتى الدور على مطرب حصلت أغنيته على شعبية كبيرة مؤخرًا. فثبت الرجل القناة بسرور.

قدمه المذيع قبل دعوته إلى المسرح قائلًا: «يقال إن أهل الموسيقى يصطفون مؤخرًا للعمل مع ضيفنا اليوم».

ثم أكمل بعفوية: «وأنا بالطبع واحد منهم. أريد أن أحصل على رقمه بعد انتهاء البرنامج».

- معنا المطرب الناجح صاحب الأغنية التي تتصدر القوائم للشهر الثاني على التوالي. بارك دو هيون. لنستقبله بالتصفيق.

سبق له رؤية هذا المغني من قبل على أرض الواقع. فقد انتشرت شائعة أنه كان يقيم في مجمع سكني آيل للسقوط يمر به وهو في طريقه إلى العمل، ولكنه سينتقل إلى منزل آخر، مما دفع سكان المنطقة إلى التجمع يوم انتقاله لرؤيته، وكان هو واحد من بينهم. فقد شعر بالذهول أن هناك شخصًا مشهورًا مثله يعيش بالقرب منه.

- بالطبع أنت منشغل جدًّا مؤخرًا، أليس كذلك؟

- نعم. أكاد أفقد عقلي، ولكنني أشعر بالسعادة.

- هل تستطيع تصديق مدى شهرتك؟

- لا، ما زلتُ لا أستطيع استيعاب الأمر.

ابتسم المطرب ابتسامة عريضة.

- بالطبع تغيرت حياتك كثيرًا خلال أشهر معدودة، كيف تشعر؟ هل توقعت أن أول أغنية لك ستلقى هذا النجاح؟

- بالطبع تغيرت أشياء كثيرة. فقد عشتُ قبلها زمنًا طويلًا كمطرب مغمور. لم أدرِ أن أغنيتي ستحقق هذا القدر من النجاح. لكنها أعجبتني كثيرًا بعدما ألفتها. وأعتقد أن هذا هو أهم شيء.

- لا بد أنك تلقيت الكثير من الاتصالات من أصدقائك، أليس كذلك؟

- بلى، أنا في حالة من الذهول. حتى الظهور في هذا البرنامج يبدو كالحلم بالنسبة لي. كنت أحرص على مشاهدته كل أسبوع وأفكر: لن

أحلم حتى بالظهور في برنامج مثل هذا، كل ما أتمناه أن أستطيع الوقوف على مسرح ولو كان صغيرًا.

فكر الرجل وهو يشاهد التلفاز.

تُرى كم يعيش بسعادة هؤلاء الذين يحظون بحياة رائعة مثل هذه؟

أصبحت حياته مؤخرًا مملة. لديه حبيبة، وهو أيضًا في طريقه إلى تثبيت أقدامه في وظيفته، لكنه يستيقظ كل يوم صباحًا للعمل، ويذهب إلى نفس المكان ويرى نفس الأشخاص ويقول نفس الكلام في وقت الغداء ثم يعود للمنزل إذا حالفه الحظ ولم يظل بالعمل حتى الليل، حتى عطلة نهاية الأسبوع تمر كالبرق. بدت كل تلك الأشياء كدائرة من العذاب.

لا بد أن هذا المطرب دائمًا ما يقابل أشخاصًا مختلفين، ويجرب أشياء جديدة ويعرفه مئات الآلاف من الناس ويحبونه. كم هي حياة رائعة! يقال أيضًا أنهم يتلقون الكثير من الأموال مقابل حقوق النشر.

مؤخرًا عندما يرى المشاهير في وسائل الإعلام، أصبح يبحث عن أعمارهم ومؤهلاتهم. فإذا كانوا أكبر منه عمرًا يشعر بالراحة، أما لو كانوا أصغر منه أو في نفس عمره يشعر بالخوف.

وُلدنا في نفس الزمن، كيف يمكن لحياتينا أن تكون على هذا القدر من الاختلاف؟

في الحقيقة لم يكن لديه ما يشتكي منه في حياته. لكنه كان يتحسر أن حياته لا يمكن أن تصبح أكثر تميزًا، فعندما يسمع لكلام مَن يقولون إن الأشخاص المميزين يولدون مميزين أو أن هذا قدرهم، يشعر بالضيق لاعتقاده أنه ليس من المقدر لحياته أن تكون مميزة.

استغرق في التفكير وهو يتمدد على الأريكة حتى ثقلت جفونه.

النوم يجلب النوم. ما لبثت أن استيقظت من النوم وهأنذا أشعر بالنعاس مجددًا...

***

كان يختار حلمًا من ركن أحلام القيلولة في الطابق الرابع. لكنه لم يكن يستطيع البحث بحرية بسبب الموظف الذي ظل يتتبعه.

- لدينا نقص حاد في أحلام القيلولة الجيدة. فمؤخرًا أصبح الكثير من الناس يأخذون غفوة في النهار. خاصةً أن اليوم عطلة نهاية الأسبوع كما تعلم. فحاليًّا عليك أن تشتري ما تبقى، وليس ما تريد. إذا لم تختر سريعًا سوف ينفد المخزون.

أخذ الموظف طويل الشعر الذي ارتدى بذلة من قطعة واحدة يستعجله.

حاول تجنُّب الموظف وذهب إلى ركن يعرض أحلام «الذهاب في رحلة قصيرة في أثناء الحياة اليومية»، لكن كل الأحلام التي بدت ممتعة كانت قد بيعت بالفعل.

- ما رأيك في هذا؟ هذا حلم أحبه شخصيًّا.

تتبعه الموظف واستمر في إزعاجه. كان يحمل في يده حلمًا يُدعى «الذهاب إلى العمل طائرًا». أعجبه جزء «طائرًا» لكن لم يعجبه جزء «الذهاب إلى العمل».

- لكننا يوم الأحد، لا أرغب أن أحلم بالذهاب إلى العمل.

- ماذا؟ لا يعجبك هذا؟ لكنك تستطيع الوصول إلى شركتك في ثلاث دقائق دون زحام مروري!

قفز سبيدو متفاجئًا كأنه لا يستطيع فهمه.

- الذهاب مبكرًا إلى العمل لا يعني أنني سأغادره مبكرًا. لن يساعدني ذلك على تحسين مزاجي...

لم يكمل الرجل جملته.

- هذا ليس مهمًّا. المهم هو القيام بكل شيء بسرعة حتى ولو كان الذهاب إلى العمل. أنت لا تفهم الأمر.

- من الأفضل أن أنام بعمق ولا أحلم إذًا.

لم يرغب في الجدال معه أكثر من ذلك. ترك سبيدو خلفه عابسًا وركب المصعد إلى الطابق الأول ليغادر المتجر. كان على وشك الخروج عندما لحق به دالوجوت.

- ما مدَّة الحلم الذي تريد رؤيته؟

- لقد غفوت لفترة قصيرة، ربما خمس عشرة دقيقة؟

- خمس عشرة دقيقة، وقتٌ مناسب. أنت تريد حلمًا فريدًا من نوعه، أليس كذلك؟

- كيف عرفت ذلك؟ إن حياتي اليومية مملة للغاية وتخلو من المتعة. لا مرح فيها؛ تتكرر كل يوم.

أخذ الرجل يشكو لدالوجوت كأنه كان يتوق لفعل ذلك منذ مدة.

- ما رأيك إذًا في «حياة الآخر (النسخة التجريبية)؟ وظَّفت فيه ياسنوز أوترا تقنيتها الخاصة للتحكُّم في الوقت. ستحلم حلمًا مدته خمس عشرة دقيقة، ولكن في حلمك ستعيش تجربة خاصة وطويلة جدًّا.

شرح له دالوجوت الحلم بحماس.

- وبما أنه نسخة تجريبية فسنتلقى نصف ثمنه فقط.

- حياة الآخر؟ يبدو حلمًا مُغريًا من عنوانه! ما نوع هذه الحياة؟ حياة مَن؟

- ستعرف ذلك عندما ترى الحلم ولكنها حياة مغنٍ صعد إلى الشهرة. إنه شخصٌ تعرفه.

خطر على باله شخص بعينه.

- لقد غلبني النوم وأنا أشاهد برنامجًا ظهر فيه! يا لها من مصادفة.

قال دالوجوت بنبرةٍ جادة: «لا أدري. قد لا تكون مصادفة».

***

كان الرجل في الحلم في غرفةٍ صغيرة. أصابه الإرهاق من قلة النوم، ورأسه كان على وشك الانفجار من الضغط وسط محاولاته لتأليف أيِّ شيء. داخل غرفته الضيقة أصدر الحاسوب طنينًا كأنه على وشك الانفجار، فالبرنامج المتقدم الذي يستخدمه لا يتناسب مع الحاسوب العتيق. شعر بالاختناق وأغلق البرنامج بأكمله.

كان قد تخلى عن طمعه في المال والمجد منذ زمن بعيد، وكيف لا يفعل ذلك وهو يفتقر الآن لأساسيات المعيشة. لا يسعه الآن سوى وضع كل تركيزه في تأليف أغنيةٍ تنال رضاه.

فتح الرجل النافذة والشبكة على مصراعيهما واستنشق هواء الصباح. ثم فرك عينيه في محاولة لاستعادة انتباهه.

مرَّ سكان العمارات المجاورة أمام بيته الذي يقع في ناصية الحارة في طريقهم للذهاب إلى محطة قطار الأنفاق.

- نعم، أنا في طريقي للعمل. ما رأيك أن نلتقي بعد انتهاء من العمل؟ إنه يوم الجمعة.

كان هو الموظف الذي يتحدث في الهاتف، ولكنه لم يميز نفسه في الحلم.

تتابعت الأيام داخل الحلم وهو يشعر باليأس لعدم قدرته على عيش حياة آدمية، ويتفادى اتصالات أصدقائه الذين يسألونه عن أحواله، ويشعر بالأسف تجاه عائلته.

وهكذا مرَّ نصف شهر على هذه الحال داخل الحلم.

***

عندما استيقظ من قيلولته، أدرك أنه لم يغفل سوى لوقت قصير. لم ينتهِ بعد البرنامج الموسيقي الذي كان يشاهده قبل نومه. كان المطرب يقول كلمة قصيرة قبل البدء في الأغنية الأخيرة.

- هذه أغنية أودعت فيها مشاعري خلال ثماني سنوات عشتها كمطرب مغمور. وضعت فيها كل ما كنتُ أشعر به بمجرد عودتي إلى المنزل بعدما كنت أتظاهر بالخارج بأنني على ما يرام. هي تحمل ذكرياتي عن أوقات عندما أتذكرها الآن، أتساءل كيف استطعت التحمل.

ثماني سنوات بأكملها؟ تذكر الرجل العذاب الذي مرَّ به خلال خمس عشرة دقيقة التي قضاها في الحلم. لم يستطع تخيل إحساس المطرب الذي عاش ثماني سنوات بأكملها بلا أيٍّ مستقبل مضمون.

وسط الذاهبين إلى نفس الاتجاه.
أشق طريقي إلى المتجر بينهم.

بدأ المطرب يغني بثقة. ما زال الرجل يتذكر بوضوح شكله في الحلم. كان يطابق بشكلٍ غريب وجه المطرب الذي يغني داخل التلفاز.

أنارت أشعة الغروب غرفة المعيشة فأغمض عينيه ليتفاداها. شعر أن أشعة الشمس وقت الغروب اليوم كانت أقوى من مثيلاتها في الصباح على غير العادة.

حدق الرجل إلى أنحاء منزله الذي أناره ضوء الغروب. في العادة كان هذا الوقت من مساء يوم الأحد أكثر وقتٍ يشعر فيه بالكآبة، ولكن اليوم كان مختلفًا.

***

- تُرى ما حال الزبون الذي أخذ النسخة التجريبية الآن؟ لم يصل ثمن الحلم بعد.
- يأخذ الإدراك وقتًا.

انهمك دالوجوت في ترتيب الكتيبات المكومة فوق المكتب.

- تُرى ما نوع الثمن الذي سنُحصِّله مقابل حلم «حياة الآخر»؟، عندما أرى حياة الآخرين أحيانًا ما ينتابني إحساس بالدونية لأنني أشعر بالغيرة منهم، وأحيانًا ما أشعر بالتفوُّق أو الراحة.

تذكرت بيني عدَّة مواقف. تذكرت زملاءها ممن توظفوا قبلها في متاجر مرموقة، وزملاءها الأغنياء، وتذكرت أيضًا خجلها من نفسها بعدما رأت الطفل الذي يعمل في منطقة تحميل البضائع وفكرت «على الأقل أنا أفضل حالًا منه».

- أنا أومن يا بيني أن هناك طريقتين تجعل الإنسان يحب حياته. الأولى هي أن يغيرها لو لم يكن راضيًا عنها.

أومأت بيني قائلة: «هذا صحيح».

- أما الطريقة الثانية فقد تبدو سهلة، ولكنها في الواقع أصعب من الأولى. حتى الأشخاص الذين تمكنوا من تغيير حياتهم باتباع الطريقة الأولى عليهم في النهاية إتقان الطريقة الثانية حتى ينعموا براحة البال.

- وما هي هذه الطريقة؟

قال دالوجوت ببساطة: «أن نتقبل حياتنا كما هي ونرضى بها. يبدو كلامًا سهلًا، ولكن تنفيذه ليس كذلك. ولكن إذا استطعنا فعل ذلك سندرك أن السعادة أقرب مما نتخيل».

ثم أكمل: «أومن أيضًا أن كل زبون سيجد الطريقة التي تناسبه. وعندها ستصلنا مشاعر ثمينة كثمن للأحلام».

- لكن ربما سيستغرق هذا الأمر وقتًا طويلًا.

- ما رأيكِ أن نتأنى؟ بعد ذلك نخطط لطرح «حياة الآخر» رسميًا.

٩. حلمٌ مُرسل من مجهول

جلس الموظفون يحظون باستراحة مُنتظرة بعدما غادر الزبائن الذين اندفعوا داخل المتجر كالإعصار منذ قليل. كان مديرو الطوابق وبعض الموظفين يستمتعون بالشاي الذي حضَّرته العمة ويذر في استراحة الموظفين بالطابق الأول.

احتل سبيدو الأريكة وحده وقال متذمرًا: «نادرًا ما ينفق السيد دالوجوت المال على مكتبه أو على استراحة الموظفين».

كان يقرأ صحيفة اليوم وهو يلتهم بسرعة الضوء الكعكة التي جلبتها بيني من متجر الحلوى المقابل. كانت الأريكة الجلدية مهترئة لدرجة أن الأجزاء التي رقعت بقطعٍ من القماش كانت أكثر من الأجزاء الجلدية السليمة منها. جعلت إضاءة الثريا التي تساقطت نصف مصابيحها بذلة سبيدو تبدو أكثر صفارًا مما كانت عليه.

- أشعر بالتحسن قليلًا. كانت يداي ترتعشان من انخفاض مستوى السكر في دمي.

جلست موج بيري على مقعد تمضغ آخر قضمة من كعكة الكستناء بسعادة. أما سبيدو فقد كشط بقايا كريمة الزبدة التي التصقت بالصندوق

وأكلها، وعندما لم يجد المزيد ليأكله مسح فمه وتمدَّد وفتح صحيفته مرَّة أخرى كأن شيئًا لم يكن.

قررت بيني التي كانت تجلس بجانبه تحتسي القهوة أنها لن تُنظف وراءه. ففي كلِّ مرة يتناولون الأطعمة الخفيفة معًا، يكون سبيدو أكثر من يأكل ثم يتجاهل التنظيف بعدما ينتهون. لكن بيجو مايوس الذي جلس أمامها أخذ يطوي الصناديق ويُكومها فوق بعضها رغبة في التخلص منها.

سألت العمة ويذر: «أما زال دالوجوت يستقبل الزبائن؟».

ارتسم الضيق على وجهها، فشفاطة مشروب «السموزي» التي تتناوله كانت ضيقة لا تسمح بمرور العصير.

- نعم، إن كعكة الكستناء هي المفضلة لديه، ولكنه رفض القدوم.
- أتى إلى المكتب زبون لم يأتِ منذ فترة طويلة، يقول إنه أمر مهم للغاية.
- يبدو أنه أتى لاستخدام خدمة توصيل الأحلام.

يبدو أن العمة ويذر قد فقدت الأمل حيث أزالت الشفاطة وبدأت في تناول «السموزي» بملعقة.

- توصيل الأحلام؟ هل يقدم هذه الخدمة أيضًا؟

وجهت بيني السؤال لويذر ولكن الإجابة جاءت من سبيدو.

- يا إلهي، كيف تجهلين كل تلك الأشياء حتى الآن؟ عندما يحجز زبون حلمًا ليرسله لزبون آخر، يقوم السيد دالوجوت بتوصيل الحلم في الوقت المُتفق عليه.
- لم أكن أعلم أنه يقوم بهذه الأشياء أيضًا.

رد سبيدو وهو يقرأ صحيفته: «عندما يصبح الحلم المُراد إرساله جاهزًا، يحتفظ دالوجوت به في مكتبه حتى موعد التوصيل».

تذكرت بيني الصناديق التي أرادت التخلص منها يومًا ما في مكتب دالوجوت.

- آه. عرفتُ ما تقصد! إنها تلك الصناديق التي تكوّمت كالبرج في المكتب. ولكن أعتقد أن هناك خطأ ما. فهناك أحلامٌ مرَّ على صنعها أكثر من عشر سنوات.
- ليس هناك أي خطأ. في العادة ينتظرون مدة ثم... يا إلهي! يجب عليَّ شراء هذه!

هبَّ سبيدو واقفًا فجأة وبيده الصحيفة.

- بها كل شيء أريده! وتبدو واسعة ومريحة. كنت بدأت أملُّ من هذه البذلة، إنها مثالية.

سأله مايوس: «عمَّ تتحدث؟ هل يبيعون الملابس في الصحف هذه الأيام؟».

- انظر إلى ملابس هذا الشخص.

فردَ سبيدو الصحيفة على الطاولة التي يجلسون حولها.

داخل الصحيفة كان هناك صورة بالأبيض والأسود لرجلٍ يجلس فوق صخرة من بعيد. كان شعره مربوطًا للأعلى ويرتدي عباءة كورية تقليدية.

- انظروا إلى هذه الملابس. إذا ارتديتها سيكون الذهاب إلى دورة المياه غاية في السهولة. لا بد أن أطلب مثلها فورًا. عمة ويذر، سوف أستخدم حاسوب مكتب الاستقبال قليلًا.

قالت العمة ويذر: «إنه السيد دوچيه. يا سبيدو لا يقتصر لباسه على العباءة، وإنما يرتدي من تحتها زيًّا كوريًّا تقليديًّا أيضًا. قد تتعرض إلى فضيحة إذا ارتديت العباءة وحدها فقط».

ولكن سبيدو كان قد غادر بالفعل. التقطت بيني الصحيفة التي تركها سبيدو لتقرأها.

رحلة استكشاف المشاهير - حلقة دوچيه

طِبقًا للاستطلاع الذي أقامته صحيفة (التفسير أهم من الحلم) فإن «كيك سلامبر» هو الأكثر شهرة بين أساطير صناعة الأحلام الخمسة. حيث اختاره أكثر من 32.9% من المجيبين. على الأرجح لعب اعترافه الرومانسي في حفل توزيع الجوائز الماضي دورًا في شهرته تلك.

أما ياسنوز أوترا، وواوا سليب لاند، وأجانيب كوكو فقد احتللن المراكز الثالثة والرابعة والخامسة بفروق طفيفة. المفاجئ في الأمر هو احتلال دوچيه للمركز الثاني. فشهرته لم تتراجع رغم غياب أنشطته الخارجية في السنوات العشر الماضية. تُرى ما هو سره؟ ذهبنا لزيارة دوچيه الذي اعتكف في بيته ليكون ضيفنا في حلقة هذا الشهر من رحلة استكشاف المشاهير.

رفض دوچيه الذي ذهب ليتدرب في الجبل إجراء مقابلة مع صحيفتنا رفضًا قاطعًا. لكنه طلب منَّا إيصال كلمة واحدة لمعجبيه ثم اختفى خلف الشلالات. قال: «من فضلكم ابتعدوا عنِّي قدر المستطاع».

- لا أتذكر أنني رأيت السيد دوچيه من قبل في أثناء عملي هنا رغم أنني أعمل هنا منذ عام كامل.

قال مايوس: «لا تحلمي بالأمر، فحتى أنا لم أره بعد».

- ألا يعمل السيد دالوجوت معه؟

- بالطبع! فعندما يذهب في مأمورية، يكون ذاهبًا إلى مقابلة السيد دوچيه.

- حقًّا؟

رنَّ هاتف الاستراحة فجأة. رفعت بيني السماعة وردت: «معك بيني من الطابق الأول».

- بيني، لحسن حظي أنتِ من أجبتِ الهاتف. كنت أبحث عنكِ عندما لم أجدكِ في مكتب الاستقبال. هل انتهيتم من حفلة الشاي؟

- أجل، سيد دالوجوت. انتهينا للتو. كانت الكعكة لذيذة... ليتك أتيت. لكن لمَ تبحث عني؟

- أحتاج إلى شخص يساعدني في المكتب. هلّا تأتين إلى المكتب وتساعدينني؟

- حسنًا، سآتي في الحال!

شجعتها العمة ويذر قائلة: «من الواضح أن دالوجوت يثق بكِ. فهو لا يطلب من أيٍّ أحد مساعدته في عملٍ كهذا. اذهبي وساعديه».

ثم توسلتها قائلة: «انتظري! أرجو أن تتجنبي الحديث عن أشياء غير مهمة مع الزبائن. حاولي إراحتهم بقدر الإمكان».

عندما وصلت بيني إلى المكتب كان ينتظرها دالوجوت وسيدة في منتصف العمر ذات خدين مُجوَّفين. كانت السيدة ترتدي ملابس نومٍ بيضاء واسعة. في العادة تبدو ملابس نوم الزبائن دافئة، لكن ملابسها كان تبعث إحساسًا بالبرد لسببٍ ما.

- شكرًا على قدومكِ يا بيني. اجلسي هنا.

جلست بيني أمام الزبونة. تُرى ما نوع العمل الذي طلبوها من أجله؟ كانت الزبونة تحتسي الشاي الذي قدمه لها دالوجوت. كانت أصابعها التي تحمل الشاي شديدة النحافة. حدقت بيني إليها بقلق من شدَّة نحافتها، ثم أدركت أن الملابس التي ترتديها ما هي إلا رداء المستشفى.

- حاولي على قدر المُستطاع كتابة كل ما تقوله الزبونة في هذه المفكرة. فلو حاولت كتابتها وحدي فعلى الأرجح سأفوت الكثير من النقاط.

أعطاها دالوجوت قلمًا ومفكرة.

- إذًا، من المرسل إليه؟ عندما بحثت وجدت أن كل أفراد عائلتكِ من زبائن متجرنا. لذا لن تكون هناك مشكلةٌ في التوصيل.

- أريد إرساله إلى زوجي وابنتي.

- ألا تريدين إرساله إلى أشخاص آخرين غيرهم؟

- أبي وأمي... يا إلهي، أريد إرساله أيضًا إلى أبي وأمي.

شربت الزبونة رشفةً من الشاي ثم أطبقت شفتيها وحدقت إلى الحائط لعدَّة ثوانٍ. أدركت بيني أنها كانت تحاول كفَّ دموعها. لكن دالوجوت لم يحاول مواساتها فقررت بيني أنها لن تفعل ذلك. فهناك سبب بالتأكيد وراء عدم تدخل دالوجوت لمواساتها. ركزت بيني مرَّة أخرى على تسجيل المحادثة في المفكرة.

- ما المحتوى الذي تريدينه؟ تستطيعين اختيار الخلفية والموقف الذي تريدينه. يمكنك الاستعانة بالكتيب هذا.

ناولها دالوجوت كتيب التعليمات الخاص بحجز الأحلام. تصفحته الزبونة لفترة.

- أريد أن تكون خلفية الحلم هي البيت، لا، سيكون ذلك ... حزينًا جدًّا.

بدا أنها تجد صعوبة في اختيار الخلفية. لم تكن بيني تفهم لماذا وضع البيت كخلفية هو شيء حزين، ولكنها قررت ألا تقاطعها. تذكرت بيني العمة ويذر وهي تطلب منها الكفَّ عن الكلام غير الضروري.

- إذا كان من الصعب عليكِ الاختيار فهل يمكنني أن أرشح لكِ شيئًا؟

- نعم، سأكون شاكرة. الأمر صعب لأنها أول مرَّة أقوم بهذا. هاها. أليس كلامي غريبًا؟ بالطبع تكون المرَّة الأولى لكل الناس.

عندما سمحت له الزبونة مدَّ دالوجوت يده وقلب الصفحات حتى توقف على الصفحة الأخيرة من الكتيب. اصطف في ظهر الصفحة عدَّة خلفيات، معظمها كانت مناظر طبيعية متنوعة كغابة واسعة كثيفة، أو شرفة قلعة تكاد تلمس السماء المرصعة بالنجوم، أو منظر كوكب الأرض من الفضاء وغيرها. عرفت بيني مَن صَنع تلك الخلفيات بمجرد رؤيتها للصور.

نسيت بيني للحظة إصرارها على أن تبقى صامتة وقالت في دهشة: «إنها الخلفيات التي تظهر في أحلام واوا سليب لاند!».

- إنها صانعة أحلام مشهورة للغاية. بالتأكيد عرفتِ ذلك من ردَّة فعل موظفة متجرنا. فلا تقلقي بشأن جودتها.

كان دالوجوت بالتأكيد يقدم أفضل خدمة للزبونة. فجعلها تختار خلفية من خلفيات واوا سليب لاند ثم تحدد محتوى الحلم الذي تريده. من المستحيل أن تغطي الأرباح تكلفة هذه الخدمات.

- فهمت. سترتاح قلوبهم إذا تقابلنا في أماكن جميلة كهذه. سأختار هذه.

- اختارت الزبونة خلفية الغابة الكثيفة الواسعة.

- هل يمكننا إضافة القليل من نباتات الزينيا الأنيقة داخل هذه الخلفية؟ فأنا أحبها كثيرًا.

- نعم بالطبع. ليس القليل فحسب، بل سأخبرها أن تزرع لكِ الكثير منهم.

تخيلت بيني وهي تسجل طلبات الزبونة منظر الغابة وقد امتلأت بنباتات الزينيا الأنيقة.

قالت بيني للزبونة بحماس: «سوف يصبح حلمًا رائع الجمال بلا شك».

- شكرًا لكِ.

بدا أن مزاجها تحسَّن كثيرًا.

- إذًا لنقرر محتوى الحلم. أخبرينا إذا كان هناك موقفٌ تريدينه أو كلام ترغبين في قوله. لا تقلقي بشأن طريقة كلامك أو تصرفاتك داخل الحلم فلقد جمعت كثيرًا من البيانات عنكِ بالفعل.

- همم... اجعله موقفًا طبيعيًا قدر الإمكان. أن أسألهم عن أحوالهم مثلًا، أو نتحدث كما نفعل في العادة.

- على سبيل المثال؟

- على سبيل المثال... توبيخ الأمهات الطبيعي، كأن أسأل ابنتي هل أصبح لديها حبيب بعد، أو هل ما زالت تزيل قطع الخيار من الكيمباب كالأطفال. أو أن أخبر زوجي أن يضع ملصقًا على زجاجات الشامبو ومعطر الملابس حتى لا يخلط بينها. تكفيني تلك الأحاديث اليومية، هل هي أشياء عادية أكثر من اللازم؟ من الأفضل أن نبتعد عن التوبيخ فهي أول مرة سيرونني منذ فترة طويلة.

- لا، تعجبني أفكارك، هل تريدين سؤال والديكِ عن حالهما في الحلم الذي سترسلينه إليهما أيضًا؟

- والداي؟ من فضلك أخبرهما فقط أنني آسفة.

توقفت يدا دالوجوت عن الحركة.

- إذا لم يكن لديكِ كلام محدد تقولينه لهما، فالكثيرون يفضلون مواساة الشخص الذي يستقبل الحلم. بالطبع الأولوية لرغباتك، ولكن قول إنك آسفة لن يواسيهما في شيء. هل توافقين؟

- معك حق. لم أُحسن التفكير. بالطبع سيكون من الأفضل أن أقول لهما إنني بخير وأخبرهما ألا يقلقلا.

غيرت الزبونة رأيها.

عدَّلت بيني ما كتبته في المفكرة. كانت المحادثة بين دالوجوت والزبونة هادئة، ولكنها حزينة لسببٍ ما.

- حسنًا. أعتقد أننا انتهينا. تبقى فقط سؤال واحد. متى تريدين توصيل الحلم؟

- لا أدري. هل يمكنك أن تراقب عائلتي جيدًا وتوصله إليهم في الوقت المناسب؟ ليس في وقت مُبكر. عندما يصبحون على ما يرام. ولكن ليس في وقت متأخر جدًّا فيتحسرون.

- اختيارٌ موفق. اتركي الأمر لي.

- سأعتمد عليك. وأيضًا... شكرًا جزيلًا لك.

- الشكر لكِ لأنك زرتِ متجرنا. اعتني بنفسك وخذي قسطًا وفيرًا من النوم.

ودعها دالوجوت بأدب.

بعدما غادرت الزبونة، شمَّر دالوجوت عن ساعديه وبدأ يقارن بين ما كتبه وما كتبته بيني. كان لديها آلاف الأسئلة، ولكنها انتظرت بصبر حتى ينتهي دالوجوت من ترتيب ملاحظاته.

قال دالوجوت من وراء المفكرة التي يحملها في يده: «ليس لديكِ أسئلة اليوم على غير العادة يا بيني. لقد ناديتك خصوصًا لأني ظننت أنكِ ستشعرين بالفضول».

أجابت بيني على الفور: «هل يمكنني طرح أسئلة إذًا؟».

- بالطبع. لمَ لا؟

- يوجد شيءٌ غريب في الصناديق الموجودة هنا، وفي الحلم الذي طلبته الزبونة التي غادرت للتو. لم أسمع من قبل أننا نصنع أحلامًا يمكن إرسالها إلى شخص آخر، بل نوصلها أيضًا. بالإضافة إلى ذلك...

- بالإضافة إلى ذلك ماذا؟

- لا تبدو الزبونة على ما يرام. بدت كأنها تبكي وهي تتحدث عن أبويها، كأنها لن تراهما مجددًا.

- شعرت بذلك عندما رأيتك للمرة الأولى في أثناء مقابلة العمل، لديك قوة ملاحظة. أعتقد أنني أُحسن اختيار الموظفين.

قام دالوجوت من مقعده.

- كنت أنوي توصيل اثنين من هذه الأحلام اليوم. ما رأيكِ أن تتولي أنتِ هذا الأمر؟

اختار اثنين من الصناديق المكومة فوق بعضها. بدا كلاهما قديمًا حيث تراكمت عليهما طبقات من الغبار.

- ألا تفسد تلك الأحلام أو تتغير مع الزمن؟

- لا، فالأحلام التي يصنعها دوچيه ليس لها تاريخ صلاحية.

تفاجأت بيني.

- السيد دوچيه؟

دوچيه، أقل أساطير صناعة الأحلام انخراطًا في الأنشطة الخارجية وأقلهم ظهورًا بين الناس. وهو صانع «حلم رؤية شخص مات».

***

في مساء أيام العمل، يحب الرجل الذهاب إلى مقهى في طريقه إلى المنزل ويجلس لينهي بعض الأعمال على حاسوبه المحمول ليعود بعدها إلى منزله ببال مرتاح. احتل مقاعد المقهى أناس من مختلف الأعمار؛ شباب وكبار من عمر والديه وطلاب مدارس صغار السن.

كان دائمًا ما يشرب «الأمريكانو» ولكن الصف كان طويلًا اليوم فتسنَّت له الفرصة لقراءة قائمة المشروبات. توقفت عيناه على مشروب «كاراميل ماكياتو». لم يسبق له أن أحب هذا المشروب. بل كان يكرهه لصعوبة اسمه، ولمذاقه الحلو المبالغ فيه.

لكنه ذكره بجدته الراحلة.

- جدتي، ماذا تريدين أن تشربي؟

كانت تلك المرة التي أخذ فيها جدته للمقهى لأنها كانت تشعر بالعطش. عندما ناولها قائمة المشروبات المطبوعة، أخذت تقرأ أسماء المشروبات واحدًا تلو الآخر بصعوبة بالغة.

- أميريـــ... ما هذا؟

- إنه مشروبٌ مرٌّ يا جدتي. شديد المرارة. مرٌّ كالعلقم.

- لماذا ينفق الناس المال على شيء مثل هذا؟ لا أريده. أريد شيئًا حلو المذاق.

- كاراميل ماكياتو إذًا؟ إنه أكثرهم حلاوة.

- أين هو؟

- ها هو يا جدتي. توجد صورةٌ له أيضًا. كيف لا ترينه وهو أمام عينيك.

- أين؟ راميل...ما؟ اختلط الأمر عليَّ فأنت تعرف أنني لم أتعلم الحروف كلها.

- حسنًا، حسنًا. سوف أطلبه لك إذًا. اجلسي في أيِّ مكان تريدينه وانتظريني.

تلقى الرجل المشروب وعاد إلى جدته. ابتسم عندما وجدها تجلس غير مرتاحة على أحد المقاعد الفردية بجانب النافذة.

- جدتي، لماذا تركتِ المقاعد المريحة وجلست هنا؟ تعالي. لنجلس في مقعد مريح.

قاد جدته للجلوس على إحدى الأرائك.

- ألن يتحدث الناس عنًا بالسوء إذا جلسنا هنا؟ أليس هذا مقعدًا مخصصًا لمن يطلبون طعامًا جيدًا ويدفعون الكثير من المال؟

- نحن أيضًا دفعنا الكثير من المال وطلبنا طعامًا جيدًا. لا تقلقي. وإذا رآكِ أحدهم تجلسين في مقعد مريح وتحدث عنك بالسوء، فهو الشخص الغريب وليس أنتِ.

- حقًّا؟ أشعر بالاطمئنان عندما أكون معك.

قال الرجل بخجل: «لم أفعل شيئًا».

- أنا أكبر الموجودين هنا سنًّا، أليس كذلك؟

- بلى، لكنكِ أكثر كبار السن مواكبة للعصر. ها أنت تشربين القهوة مع حفيدكِ في مكان كهذا.

- أنت دائمًا ما تقول كلامًا لطيفًا. كنت كذلك منذ صغرك.

نظرت إليه جدته بفخر فشعر الرجل بالحرج وحاول تغيير الموضوع.

- لكن لماذا لم تتعلمي الحروف بأكملها؟ عليك أن تتعلميها كلها. تبقى لكِ عدَّة حروف قليلة.

- منعني أبي من إكمال الدراسة. لو كنت ذهبت لمدَّة أربعة أيام أخرى لكنت تعلمتها. لكني لم أستطع الذهاب بعد ذلك. كنت دائمة مشغولة. كنت أساعد أبي في الحقل، ثم تزوجت، ثم كنت أربي أباك، وأربيك أنت بعدها. وعلى هذه الحال لم أفرغ للتعلم. ثم هأنذا، كاراميل ما؟ لا أستطيع حتى قراءة هذا. أمرٌ يدعو للسخرية، أليس كذلك؟

ضحكت جدته بخجل كالفتيات الصغيرات.

- لا يدعو الأمر للسخرية يا جدتي. سوف أعلمكِ أنا. سوف تتعلمين بسرعة لأنكِ ذكية. أنا مشغول حتى عطلة نهاية هذا الأسبوع لذا... سوف أعلمها لكِ في عطلة نهاية الأسبوع القادم.

- اتفقنا. أنت الأفضل.

شربت جدته رشفة من الكاراميل ماكياتو عبر الشفاطة.

- ما هذا! لقد تخدر لساني من كثرة السكر فيه.

- إذًا جربي هذا.

دفع الرجل الأمريكانو المثلج نحوها.

- لمَ هو مرٌّ هكذا؟

قطبت جدته حاجبيها فقهقه الرجل ضاحكًا.

- ستحبينه إذا اعتدتِ على طعمه. يجب عليكِ أن تأتي معي كثيرًا في المستقبل إذًا.

لكنها كانت المرة الأخيرة. اثنتان وثمانون سنة. ليست بالحياة القصيرة، ولكنها لا تخلو من الندم. اقتربت ذكرى وفاة جدته.

طلب الرجل مشروبه وجلس وحيدًا في المقعد الفردي بجانب النافذة. كانت دائمًا ما تخطر بباله أكثر من العادة عندما تقترب ذكرى وفاتها. عاشت معتمدة على فِطنتها وهي صغيرة، ثم عاشت معتمدة على حفيدها وهي كبيرة. لم تُكمل دراستها، ولكنها كانت غاية في الحِكمة والكرم. كم كان يعتمد عليها في طفولته. تذكر عندما كان يذهب إلى بيت صديقه ويخبرها كم كانت البطاطس المطهوة بصوص الصويا لذيذة، فتسلق قدرًا كاملًا من البطاطس في اليوم التالي. وإذا اشتكى لها من لدغة بعوضة تسهر الليل بجانبه حتى تصطادها.

نظر حوله في أرجاء المقهى. موسيقى جيدة ومقاعد مريحة وأجواء تدعو للاسترخاء. لاحت أمام عينيه صورة جدته وهي تنظر حولها بتوتر رغم أن الجميع يجلسون بارتياح.

- أنا أكبر الموجودين هنا سنًا، أليس كذلك؟

تذكر كيف كانت تشعر بالحرج، ولكنها تتلفت يمينًا ويسارًا في حماس لقدومها لمكان جديد. شعر بحرارة في عينيه رغم برودة مشروبه.

كانت كل أفعالها تفيض بالحب. فتغير له ملابسه لو اتسخت بشكلٍ طفيف، كانت لا تضع أي كريم على وجهها، حتى لو رخيص ورغم ذلك تشتري له زجاجةً ثمينة من كريم لا تستطيع قراءة اسمه قائلة إنه مفيد للإكزيما ثم تُفرغ الزجاجة بأكملها على جسده وتدلكه.

تمدد الرجل على سريره تلك الليلة واستغرق في التفكير.

تُرى ما الذي عاشت جدتي من أجله؟ تُرى ما معنى حياتها وقد رحلت دون أن تستمتع بالحياة فقط لأنها وُلدت في زمن قديم؟

عاشت في هذا العالم ولم ترَ حتى الجانب الجيد منه. ربما تكون أكثر راحة الآن. ربما لهذا السبب لم تزره ولا مرَّة في أحلامه.

جدتي، جدتي الحبيبة. اشتقت إليكِ.

انطوى على نفسه كالأطفال وخلد إلى النوم.

***

تأخرت طفلتهما ذات السنوات الخمس في الكلام. فالأطفال من عمرها يستطيعون قول جُمل كاملة، أما هي فبالكاد تقول بضع كلمات. ترددا على مراكز التخاطب والعيادات، ولكن قبل أن يفيض بهما القلق، بدأت طفلتهما في الكلام بشكل مفاجئ، فبدأت تُعبِّر عما تريده وما لا تريده وما تحب وما تكره في جُمل كاملة.

عندما قالت: «أحب عائلتي». شعر الزوجان أنهما يمتلكان العالم بما فيه.

ثم ذات يوم عندما قالت: «رأسي يؤلمني. اجعلوها تتوقف عن إيلامي». تلاشت سعادتهما. ومن يومها لم تغادر الطفلة المستشفى، ورحلت قبل نهاية العام.

مضى الوقت بعد رحيل طفلتهما. لا يزال الزوجان في شبابهما، وقد انشغل كل منهما في حياته العملية. لم يعد بيتهما يحوي آثار طفلتهما.

كانا في الماضي يمزحان قائلين إنه لن يأتي يومًا يريان فيه أرضية المنزل نظيفة دون ألعاب متناثرة. لكن بيتهما الآن أصبح منظمًا وهادئًا طوال الوقت.

كانا اثنين ثم أصبحا ثلاثة، ثم أصبحا اثنين مجددًا. بدا كأن الوقت قد داوى جرحهما. على الرغم من ذلك كانا لا يتوقفان عن الحديث عن طفلتهما.

في البداية كان ينتهي بهما الأمر بالبكاء، ولكن الآن أحيانًا ما يضحكان.

لم يتجنبا الكلام عن طفلتهما. في البداية حاولا جاهدين نسيانها، واعتقدا أنهما لن يستطيعا مواصلة حياتهما حتى ينسياها، لكنهما أدركا بعد فترة قصيرة أنهما لن يستطيعا نسيانها.

كانا ينهاران رغمًا عنهما كلما رأيا إعلانات ألعاب الأطفال، أو حافلة مدرسة، أو يعبران منطقة مدارس، أو يشاهدان أحد الممثلين الأطفال وقد كبر أمام أعينهما. أو كل مرة يأتي موسم الالتحاق بالمدارس، أو موسم التخرج.

قالت الزوجة إنها اشتاقت إلى رؤية وجه طفلتها وهي نائمة، وقال الزوج إنه يشتاق إلى رائحة طفلته الدافئة عندما يحتضنها بعد أن تستحم. صوت ضحكاتها الذي يتخلل أصواتهما، أفعالها المضحكة التي تشبه أفعالهما...

شعرا ببطء الزمن وهما يكبران في العمر بينما توقف عمر طفلتهما عند خمس سنوات. أراد كلاهما أن يذهب إلى طفلته قبل أن يتأخر الوقت وتصاب طفلتهما بالوحدة، ولكنهما لم يجرؤا على طرح الفكرة على بعضهما بعضًا.

تمددا على السرير تلك الليلة ظَهرًا لظَهرٍ.

اعتادا على ترك مسافة بينهما تسع طفلتهما. لم تكن المسافة كبيرة لتمنعهما من سماع بكاء بعضهما بعضًا، ولكنهما دائمًا ما كانا يتظاهران أنهما لم يسمعا شيئًا.

***

عندما وصل الزبائن الذين وصفهم دالوجوت لها، بدأت بيني في العمل. حملت صناديق الأحلام التي أعادت تغليفها بشكلٍ جميل على قدر الإمكان وذهبت للزبائن.

- شكرًا على قدومكم في الموعد.

رد الرجل متسائلًا: «ماذا؟ أنا؟».

وقف بجانبه زوجان قد انتفخت أعينهما بفعل البكاء. حدق ثلاثتهم إلى بيني كأنهم لا يفهمون ما تقول.

- هناك أحلام ستستلمونها اليوم. لقد أخبرتكم عدة مرات. وأنتم أتيتم في الوقت المناسب بالضبط.

- ما هذا؟

- إنها أحلام. أحلامٌ ثمينة للغاية. أحلامٌ صُنعت خصوصًا قد أرسلها إليكم زبائن آخرين.

أجاب الزوج قائلًا: «مَن؟ ليس لدينا أحد قد يرسل إلينا حلمًا».

- إنه مرسلٌ من مجهول. ستعرف عندما تحلم به.

***

في تلك الليلة، قابل الرجل جدته في الحلم.

كان المقهى الذي ذهب إليه مع جدته يشبه المقهى الذي يرتاده يوميًا، لكنه أفضل بكثير. كانت تفوح منه رائحة البيت الذي كان يعيش فيه مع جدته.

بدا الاسترخاء على جدته حيث لم تكتفِ بطلب كوبين من الكاراميل ماكياتو بثقة فحسب، بل أخذت أيضًا تمزح مع العاملين بالمقهى. بدت كأنها تأتي لهذا المكان يوميًا.

- جدتي، كيف تمكنتِ من طلب هذا المشروب الصعب؟

نظر إليها حفيدها بعينين يملؤهما الحب.

- هذا لأنك علمتني الحروف.

- لا أتذكر أنني علمتك.

- لا. لقد علمتني إياها كلها. تلك المرة. لماذا أصبحت ذاكرتك ضعيفة هكذا وأنت ما زلت شابًّا؟

نظر الرجل إلى المنظر خارج المقهى عبر النافذة. فكر أنه يشبه فناء المنزل القديم الذي كان يعيش فيه مع جدته، ولكنه لم يجد ذلك غريبًا داخل حلمه. بل كل ما فكر فيه أن هذا المقهى يعجبه. انهمكا في الثرثرة والضحك وهما يتحدثان عن طفولته ولم يشعرا بمرور الوقت. قدم لهما أحد الموظفين قطعة من الكعك كهدية.

- بدا أن علاقتكما ببعض جيدة للغاية لذا أردنا إعطاءكما هذه.

- كم أنتِ لطيفة. شكرًا. شكرًا.

ابتسمت جدته ابتسامة واسعة.

- انظري إلى الخدمات التي أتلقاها لأنني أتيت معك؟ يجب أن آتي معك باستمرار إذًا.

- يجب أن تأتي مع أصدقائك. وتوقف عن مرافقة جدتك العجوز.

- هذا الكلام يحزنني.

تمعن الرجل في وجه جدته التي تجلس أمامه، ثم طرح عليها السؤال المتبقي في رأسه. لم يكن يناسب الموقف الحالي، ولكنه شعر أن الأوان سيفوت لو لم يسأله في الحال.

- جدتي، كيف كانت حياتك؟

أجابته جدته بلا تردد: «رائعة».

- رائعة؟ حقًّا؟ ما الرائع فيها؟

جذب الرجل مقعده للأمام وأنصت إلى جدته.

- كانت رائعة في صغري قبل زواجي وقبل أن يتوجب عليَّ خدمة أحد. كنت أعيش مع عائلتي في سعادة.

- وفي شبابك؟ لقد عانيتِ كثيرًا؟

- كانت رائعة في شبابي لأني كنت أربي أباك.

- ...

- وفي كبري نعمت بمشاهدة حفيدي وهو يكبر. دعوتُ أن أعيش طويلًا حتى يصبح بإمكانك الاعتناء بنفسك. وقد استمع إله طيب القلب لدعوتي وحقق لي أمنيتي. لذلك كانت حياتي رائعة.

مسحت جدته بيدها على وجهه. كان يتذكر أن يديها كانت خشنة في صغره، لكنها اليوم ناعمة كبشرة الأطفال.

- كنت أنتظر اليوم الذي ستبدأ فيه المشي، الآن كبرت وأصبحت تسبقني، وتمسك بيدي لتسندني وتنتظرني لألحق بك جاعلًا قلبي العجوز يطير من السعادة.

انتبه الرجل لنفسه فجأة. سأل جدته بخوف: «جدتي. أعتقد أن هذا حلم. فأنتِ لم تعودي موجودة، أليس كذلك؟».

- لماذا لم أعد موجودة؟ فنحن معًا الآن. هذا يعتمد على تفكيرك. أليس كذلك؟

احمرت عينا الرجل.

- يا چيهو. لا داعي للبكاء. لو كنت أعرف أنك ستبكي لأتيت فيما بعد. لقد مرَّ الكثير من الوقت لا يمكنك أن تظل هكذا.

ردَّ الرجل وهو يحاول منع دموعه: «ماذا تعنين فيما بعد. كان عليك المجيء من قبل».

- أنا أعيش حيادة جيدة هنا. إن ركبتيَّ لا تؤلمانني هنا، وأقوم بزراعة الأعشاب التي أحبها. فلا تبكِ. أنا سعيدة أنني استطعت لقاءك.

- جدتي، لماذا يبدو كلامك كوداع؟ ابقي قليلًا بعد. هل هذا لأنك انتهيتِ من شرب قهوتك؟ سأشتري لك كوبًا آخر.

هزت الجدة رأسها.

- سعدتُ للقائك يا صغيري. اعتنِ بصحتك، واعمل على تحقيق أحلامك في حياتك. لقد حققت أحلامي كلها برؤيتك اليوم.

شعر الرجل أنه يستيقظ من حلمه شيئًا فشيئًا. تألم عندما فكر أن جدته غادرت مبكرًا بسبب سؤاله عمَّا إذا كان هذا حلمًا. استعاد وعيه، واستيقظ من النوم.

استيقظ من النوم، ولكنه لم يستطع فتح عينيه لفترة طويلة. لم يرغب بفتحهما حتى لا تختفي الصورة من مخيلته.

كان نادرًا ما يبكي، ولكنه استيقظ وعيناه مُبللتان بالدموع. ثم انحنى في مكانه وبكى لوقتٍ طويل.

***

كان الزوجان غارقين في الحلم. قابلا داخل الحلم ابنتهما الراحلة. كانت تتحدث بطلاقة.

- لديَّ الكثير لأقوله لكما. من قبل كان لديَّ الكثير لأقوله في عقلي، ولكنني لم أكن أجيد التحدث.

- حقًّا؟ أنتِ تجيدين الكلام الآن. وأصبحتِ أكثر جمالًا.

- أنتِ أيضًا جميلة يا أمي.

أمسكت الطفلة بوجه أمها وضحكت بلطف.

احتضن الزوجان ابنتهما بقوة.

- نحن آسفان لأننا تركناكِ ترحلين دون أن تحظي بشيء سوى الألم.

- هذا ليس صحيحًا. كنت سعيدة بقدر مئة، وأتألم بقدر واحدٍ فقط، والآن أنا لا أتألم على الإطلاق.

- لكنك لم تعيشي سوى القليل ورحلت قبل أن يتسنى لكِ فعل أي شيء.

ظلَّ الأب يحدق إلى ابنته بأسى شاعرًا بالأسف تجاهها.

- قلت لك هذا غير صحيح. لا أملك سوى ذكريات سعيدة. كما تعرف، لديَّ هنا الكثير من الأصدقاء، والمعلمين، والأجداد، والجدات. هم يقولون إنه لا يوجد شخص يعيش في سعادة تامة، ولكنني عشت في سعادة تامة! أليس أمرًا مذهلًا؟

- هذا صحيح، أنتِ مذهلة يا ابنتي. أنا أيضًا لا أملك سوى الذكريات السعيدة. أنا وأمك نشتاق إليكِ كثيرًا، أتشعرين بالحزن لأنكِ بمفردك؟

- أنا على ما يرام لأني أمتلك ذاكرة قوية. حتى لو لم أرَكما، فأنتما موجودان في عقلي.

تملصت الطفلة من حضن الزوجين. ثم قالت بحزم وهي تنظر إليهما بتعبير طريف: «لذلك لنلتقِ فيما بعد على مهل. وتوقفا عن التفكير في أمور غريبة».

كانا على وشك البكاء حتى رأيا ضحكة ابنتهما اللطيفة.

- اتفقنا، على مهل. لكن علينا أن نلتقي يومًا ما.

- حسنًا، حتى ذلك الوقت سوف أقضي وقتي في اللعب. أعدكما أنني سأحسن التصرف.

كانا يدركان أن هذا كله حلم، ولكن الفرحة ملأت قلبيهما كأنهما قابلا ابنتهما في الحقيقة. لم يسبق لهما أن حلما بشيء وأدركا أنهما في حلم.

استيقظ كلاهما في نفس الوقت. لا تزال الساعة تشير إلى الواحدة فجرًا. لم يناما سوى ساعتين فقط. كانا يحتضنان البطانية المكومة بينهما كأنهما يحتضنان بعضهما بعضًا.

عندما استعادا وعيهما، ظلّا متمددان في السرير لفترة وأصابعهما متشابكة ببعضهما بعضًا.

***

- سيد دالوجوت، هل يترك الكثيرون أحلامهم قبل أن يرحلوا؟

- يسعى الكثيرون لفعل ذلك. لدرجة أن هناك متاجر مخصصة لهذا الأمر وحده.

- منذ بدأت العمل هنا وكل يوم يحمل مفاجأة جديدة. كلما فكرت أنني لن أتفاجأ أكثر من هذا، حدث شيءٌ أكثر غرابة.

ضحك دالوجوت قائلًا: «حقًّا؟ لا بد أن العمل هنا ممتع بالنسبة لكِ إذًا. إنه أمر مذهل فعلًا كما تقولين. أعتقد أن الذين يخلدون إلى النوم بفعل حادثة مفاجئة أو مرض طويل يدركون بالفطرة أن حياتهم تنتهي شيئًا فشيئًا. ربما لأن حواسهم تصبح أكثر حدَّة مع غياب التأثيرات الخارجية».

- لا أفهم هذا الكلام المُعقد.

بدأت بيني تنتقي الصناديق القديمة في مكتب دالوجوت وتنقل محتوياتها لصناديق نظيفة.

- لكن كل ما أعرفه أنه يجب علينا الاعتناء جيدًا بهذه الأحلام الثمينة، حتى لو لم أتمكن كليًّا من فهم شعور الزبائن الذين تركوها.

- من الطبيعي أن يرغب الناس جميعًا بإيصال رسالة لمن تركوهم وراءهم بأيِّ طريقة كانت.

- أعلم أنه من المبكر قول هذا، ولكنهم جعلوني أريد التفكير في الرسالة التي أريد تركها من الآن.

- فكرة جيدة. بالنسبة لي، أعتقد أنني سوف أخبرهم بألا ينسوني أبدًا، أو أوصيهم بأن يتركوا المتجر للشخص المناسب.

مزح دالوجوت ثم أكمل قائلًا: «لكن عندما تقابلين الزبائن في الحقيقة، ستعرفين أنهم لا يهتمون حقًّا لتلك الأمور. كل ما يتمنونه هو أن يصبح الذين تركوهم وراءهم بخير. يبدو أن هذا هو كل ما يتمناه من رحل وترك أحباءه. أنا أيضًا ما زلت لا أفهم الأمر جيدًا».

شعرت بيني بالتأثر وهي تنظر إلى الصناديق التي تحمل حيواتٍ بأكملها، ثم أخذت تزيل الغبار المتبقي على الصناديق بعناية.

- سيد دالوجوت.

- ما الأمر؟

- أنا أحب هذا العمل للغاية.

أجابها دالوجوت بصدق: «وأنا أيضًا أحبه للغاية».

فجأة فتح الباب على مصراعيه، وأمامه وقف بيجو مايوس الذي كان يرتدي قفازًا طبيًّا، والعمة ويذر، وموج بيري حاملة كعكة كستناء جديدة، وبجانبهم سبيدو الذي بدا كأنه أتى رغمًا عنه.

دخل مايوس وقال بخيبة أمل: «إذا كنت تريد ترتيب كل هذه الأشياء كان عليك أن تناديني أولًا».

لم يستطع مايوس إخفاء حماسه عندما رأى الصناديق المبعثرة.

- اشتريت كعكة جديدة لأنك لم تستطِع الأكل معنا سابقًا. أعتقد أننا أوشكنا على الانتهاء من العمل، ما رأيك أن ننهي ترتيب هذه الأشياء بسرعة ونتناولها معًا؟

رفعت موج بيري الصندوق الذي يحمل الكعكة لتريه له. كان شعرها قد نما كثيرًا، فلم يعد متطايرًا في كل مكان حتى عندما تربطه.

- إذا كنتم تنوون القيام بالأمر فلننتهِ منه بسرعة إذًا.

كان سبيدو متعجلًا كعادته إذ كان بالفعل ينقل الصناديق.

قُرب مغادرتها للعمل ذلك اليوم، أخذت بيني تبحث عن مكان خالٍ لوضع ميزان الجفون الذي وصل حديثًا. حيث تلقوه أخيرًا بعد شهرين من طلب صناعته خصوصًا من الشركة المختصة. كان هناك مكانٌ فارغٌ تستطيع بيني الوصول إليه بالكاد إذا صعدت على السلم المتنقل. وضعت بيني الميزان بحرص ومسحت بخفة على المؤشر الذي يشبه جفن العين. اهتز المؤشر ثم توقف بين «الاستيقاظ» و«النعاس». ثم بعد لحظات تغير وأصبح يشير إلى «الدخول في النوم».

نزلت بيني من السلم وجلست تنتظر الزبون وهي تنظر إلى خارج المتجر. لمحها أسام وهو يمر أمام المتجر ولوح لها بيده. رأت بيني الزبون الذي تنتظره يأتي من بعيد في اتجاه المحل. بعد قليل انفتح الباب.

استقبلته بيني بالترحاب: «تفضل، أهلًا وسهلًا، تبقت لدينا اليوم العديد من الأحلام الجيدة».

الخاتمة 1

مقابلة عمل بيجو مايوس

كان بيجو مايوس يجلس متجمدًا أمام دالوجوت. أعطاه دالوجوت «كعك التهدئة» ولكنه لم يجرؤ على وضعها في فمه الذي جفَّ من التوتر.

- أيها الشاب، لماذا ترتعد هكذا؟ لا داعي للتوتر. كل ما سنفعله هو التحدث قليلًا وجهًا لوجه ثم يمكنك المغادرة.

حاول دالوجوت أن يهدئ من روع مايوس. لكنه كان يتفهم سبب توتر الشاب الجالس أمامه الذي بدا في منتصف العشرينات.

قال دالوجوت وهو يفحص سيرته الذاتية: «هل هذا لأنك رُفدت من الجامعة؟ هل تخاف أنني سأستبعدك على أيَّة حال، حتى لو أبليت حسنًا في المقابلة؟».

ثم أكمل مادحًا مايوس: «هل تظنني سوف أستبعد شخصًا قد حصل على المركز الأول في اختبار التوظيف؟ ظننتُ أنني وضعتُ أسئلةً صعبة، ولكنك أجبتها كلها بشكل صحيح. قمت بإدارة هذا المتجر لعشر سنوات ولم يسبق أن حصل أحدهم على الدرجة النهائية».

بالكاد قال مايوس بصوت خافت: «تلك الأسئلة ليست صعبة، الأصعب منها هو الحديث عن نفسي».

أحنى بيجو مايوس رأسه وأخذ يعبث بأظفاره. لم يكن يبدو مهندمًا كعادة الذين يأتون إلى المقابلة. كأنه بالكاد استيقظ وتوجه إلى مكان المقابلة، لكنه لم يقوَ على الاستحمام أو انتقاء ملابسه بعناية.

- يبدو أنك لا تحب التحدث عن حادثة رفدك من الجامعة. ولكن لا يوجد مفر من الأمر. فإذا أردتُ توظيفك يتوجب عليَّ التأكد من أنك لم ترتكب جريمة كبرى.

تحدث دالوجوت بصرامة.

- لم أرتكب جريمة!

رفع بيجو وجهه وحدق إلى دالوجوت بثباتٍ للمرة الأولى.

- لم أكن أعرف القواعد فقط... كانت مرة واحدة فقط، خطأ واحد فقط. حقًا.

- إذًا، ما الذي فعلته؟

ارتعشت شفتا بيجو كأنه نوى قول شيء ثم عدل عن رأيه، مما جعل دالوجوت يشعر بالقلق.

- لا بأس، لا ترهق نفسك. إذا كان من الصعب عليك إخباري فيمكنك أن تترك المقابلة، وإذا لم ترد تركها يمكنني أن أعرف ما حدث من الأستاذ الذي كان يُشرف عليك.

- لا، لا تفعل ذلك. حسنًا. سوف أخبرك بنفسي.

تنهَّد بيجو ثم بدأ في الكلام.

- حدث ذلك عندما كنت أحضِّر مشروع التخرج.

***

سأله أحد زملائِه في السنة الرابعة وهو مارٌّ: «بيجو! هل وجدت شريكًا لمشروع التخرج؟».

- نعم. بالكاد وافق أحدهم.

كان على طلاب الفرقة الرابعة أن يقابلوا زبائن حقيقيين بأنفسهم ثم يصنعوا حلمًا من أجلهم ويسلمونه كمشروع للتخرج.

طوال الشهر الماضي عسكر بيجو أمام متجر دالوجوت للأحلام يوميًّا، يتشبث بأيٍّ زبون يحاول دخول المتجر ويترجاه قائلًا: «هل تريد أن تكون شريكي في مشروع التخرج؟». لكن جميعهم كانوا ينظرون له شذرًا ويكملون طريقهم.

في آخر يوم في الشهر اقتربت منه فتاة في عمر مقارب لعمره. كانت ترتدي ثياب نوم واسعة بلون عاجي.

- أتريدني أن أقوم بذلك؟ أن أكون شريكتك في مشروع التخرج.

- حقًّا؟ سأكون شاكرًا للغاية!

- شاهدتك تقف هنا لمدة شهر. لا أدري ما الخطب، ولكن اجتهادك جدير بالإعجاب.

كان كلامها غريبًا. كيف تذكرت ما حدث في هذا المكان لمدة شهر؟ كيف وهي زبونة وافدة من الخارج؟ المعتاد ألا يتمكن الزبائن من تذكُّر ما يحدث في هذا المكان عندما يأتون إلى الزيارة في أثناء نومهم.

- كيف...؟

- هل تستطيع أن تُبقي الأمر سرًّا؟

تلفتت الزبونة حولها ثم همست في أذن بيجو قائلة: «أنا أحلم بأحلام واعية. ليس ذلك فحسب، وإنما أحلام واعية ذات جودة فائقة».

اندهش بيجو.

- هل تستطيعين القدوم إلى هنا بإرادتك داخل الأحلام الواعية؟ إنها أول مرة أرى شيئًا مثل هذا.

- أستطيع الذهاب إلى أيِّ مكان أريده عندما أنام. كما أنني أتذكر كل ما يحدث في هذا المكان عندما أستيقظ. أليس هذا رائعًا؟ حسنًا، كيف يمكنني مساعدتك في مشروع التخرج؟

ظلَّا يتقابلان كل يوم في نفس الموعد في المقهى المقابل للمتجر بحجة مشروع التخرج، فيتحدث كل منهم عن المكان الذي يعيش فيه حتى يسرقهم الوقت. وبالطبع انتهى الأمر ببيجو أن يقع في حب الزبونة.

- أريد دعوتك إلى حفل عرض مشاريع التخرج. يجب أن تأتي لمشاهدة الحلم الذي صنعته من أجلك. ارتدي ملابس عادية يومها قبل خلودك إلى النوم. سيكون هناك الكثير من الأشخاص في الحلم، إذا ارتديتِ ملابس عادية يمكنك أن تتجولي دون أن يكشفك أحدهم.

لكن نهاية القصة كانت واضحة. أتى يوم الحفل ولم تظهر الفتاة، ولم يرَها مجددًا بعدها.

***

استمر بيجو في الحكي: «في النهاية لم تأتِ واضطررتُ إلى بدء العرض. لكن واجهتني مشكلة...».

- لماذا؟

- لأنني صنعت حلمًا أظهر بنفسي فيه.

أحنى بيجو رأسه.

تنهد دالوجوت قائلًا: «يا لك من متهور... لا يمكنك فعل ذلك. لا يمكنك أن تظهر في أحلام الزبائن وتعقِّد حياتهم. على الأخص لو كانوا ممن يحلمون أحلامًا واعية. هذه فكرة خطرة».

- لم أكن أعلم حقًّا. فذكائي يقتصر على الدراسة. لم أكن أعلم في أثناء دراستي في الجامعة أن هناك قاعدة مثل هذه. وكيف كان لي أن أعلم أنني سأقابل شخصًا يحلم بأحلام واعية؟

بدا الإحساس بالظلم جليًا في عينيه.

- بالطبع لا داعي لأقول لك ما حدث بعدها، اشتاط الأساتذة غضبًا عندما اطّلعوا على مشروعي، وعُرضت على لجنة تأديبية، أخبرتهم الحقيقة، ولكنني تعرضت للرفد ولم أعد أستطيع العمل صانع للأحلام لأن الحادثة بقيت في سجلات الجمعية، لقد دمرت كل شيء بنفسي.

حدق دالوجوت بقلق إلى بيجو. كانت ملابسه غير مهندمة ويبدو عليه الإرهاق.

- هل قدمت على هذه الوظيفة لأنك ظننت أنه يمكنك مقابلة تلك الفتاة مجددًا إذا كنت تعمل هنا؟ هل قابلتها لأول مرة أمام متجرنا؟

اكتشف دالوجوت نية بيجو بسهولة فلم يستطع اختلاق أيِّ عذر.

- هذا صحيح. ولكن لم يكن هذا السبب الوحيد. فأنا أحب الأحلام. انتهى بي الحال هكذا، ولكني ما زلتُ أريد العمل في مجال الأحلام. لو لم أستطع حتى فعل ذلك... فلا يوجد غاية أعيش من أجلها.

قال دالوجوت بصرامة: «لا، أعتقد أنك ما زلت متعلقًا بالماضي، ولكن لا يمكنك قول مثل هذا الكلام».

- أعرف أنني أبدو كالحمقى. وأعرف أننا لا يمكننا أن نصبح معًا بهذه الطريقة. إنها تستطيع أن تأتي لرؤيتي، ولكنني لا أستطيع الذهاب إلى المكان الذي تعيش به. لذلك أردت أن أريها ذلك في الحفل. أنني أستطيع الذهاب إلى رؤيتها في الحلم...

- ستتعرض إلى المتاعب إذا كانت لديك مشاعر مثل هذه تجاه الزبائن. فالكثير من صناع الأحلام الشباب قد دمروا حياتهم بهذه الطريقة؛ فيظهرون في أحلام زبائنهم وينخرطون معهم في قصة حب. ليدركوا في النهاية أنهم لا يستطيعون أن يصبحوا جزءًا من واقعهم فيعانون ويصابون بالاكتئاب. وتكون النهاية دائمًا...

- لن أطمع مثل السابق. سوف أنتظرها هنا بهدوء! أرجوك.

قال دالوجوت بانزعاج: «هل فكرت من قبل لماذا لم تعد تأتي فجأة؟ قد تكون فقدت قدرتها على رؤية أحلام واعية، أو حدثت لها مشكلة ما. ربما لن تأتي مجددًا، حتى لو انتظرتها طوال حياتك».

- لا بأس. سواء انتظرت عشر سنوات أو عشرين سنة، بالتأكيد سأقابلها مرَّة على الأقل إذا عملت هنا. لا بد أن أخبرها أنني دائمًا ما سأكون هنا لتستطيع زيارتي في أي وقت.

عمَّ الصمت المكان..

نظر دالوجوت عابسًا إلى بيجو ثم إلى سيرته الذاتية وقال بعد صمت: «لكن أبقِ الأمر سرًّا».

- ماذا؟

- على الأرجح يعرف الجميع بأمر رفدك من الجامعة، ولكن لا يمكنك أن تخبر أحدًا بالسبب وراء ذلك.

- بالتأ...بالتأكيد!

- لكن من المذهل أن يتمكن طالب بالسنة الرابعة من صنع حلم يظهر فيه بنفسه... إنها ليست مهارة عادية. حسنًا، لنعمل معًا. يمكنك الذهاب الآن. فلدي موعد مع متقدم آخر للوظيفة.

- سيد دالوجوت، حقًّا... شكرًا لك.

قام بيجو مايوس من مقعده بارتباك وأخذ ينحني شكرًا لدالوجوت وهو يرجع بظهره ناحية الباب.

- وطلبٌ أخير، من الغد اهتم بمظهرك وارتدِ ملابس جيدة.

ثم أضاف دالوجوت وهو يفحص مظهر بيجو الرث: «فأنت لا تعلم متى ستقابل تلك الفتاة».

عندها ابتسم بيجو أخيرًا بإشراق.

- حسنًا! سوف أحرص على أن أبدو مهندمًا للغاية. سأنظف وأغسل ملابسي و... سأتولى تنظيف المتجر بنفسي! سأقوم بكل شيء بنفسي! شكرًا جزيلًا لك، شكرًا.

الخاتمة 2

يوم مثالي لسبيدو

- بيني! انتظري!

كانت بيني تؤرجح حقيبتها للأمام والوراء في طريقها إلى العمل عندما أوقفتها موج بيري. كانت تلهث وهي تحمل في كلتا يديها شطائر بيض مسلوق.

- كنت أناديكِ من بعيد، ألم تسمعي؟

ناولتها موج بيري شطيرة البيض المهروس.

- خذي، لم تتناولي الفطور قبل قدومك، أليس كذلك؟ كلي واحدًا من هذا.
- يا إلهي، أنا آسفة يا سيدة موج بيري. كنت منشغلة بالتفكير فيما سأفعل بعد أن أنهي العمل اليوم فلم أسمعك.

انبعث من الشطيرة التي ناولتها لها موج بيري رائحة صفار بيضٍ ذكية وفلفل أسود حار. انفتحت شهية بيني.

- هل حضَّرتِها بنفسك؟

أجابتها موج بيري وهي تأخذ بسرعة قضمة من الشطيرة: «جميعنا نفعل الشيء نفسه، نفكر فيما سنفعل بعد العمل ونحن في طريقنا إليه. لقد حضرتها أختي الكبرى من أجلي. فهي ماهرة في الطبخ على عكسي. أنا أقوم

ببعض الإصلاحات في منزلي، لذا أقيم في بيت أختي لفترة. سنتقابل كثيرًا في طريقنا إلى العمل من الآن فصاعدًا».

ابتسمت موج بيري ابتسامة واسعة. كانت تبدو اليوم أصغر سنًّا من العادة.

عندما أوشكوا على إنهاء شطائرهم كانوا قد وصلوا بالفعل إلى إشارة المرور التي تقع أمام المصرف المقابل للمتجر.

سألتها موج بيري بحرص وهما ينتظران الإشارة: «بالمناسبة يا بيني، ألم تمسكوا بذلك المجرم بعد؟».

- ماذا؟ أي مجرم؟

- أتتذكرين عندما ذهبتِ لإيداع زجاجتين من «رفرفة القلب» بالمصرف نيابةً عن السيدة ويذر قبل أن تكملي شهرًا في العمل، وسُرقت منك إحداها.

أشارت موج بيري بإصبعها إلى المصرف خلفها.

- هل كنتِ على علم بالأمر؟

- بالطبع. كل ما يحدث في المتجر يُعرف بطريقة أو بأخرى. بالإضافة لأننا كمديرين يجب علينا مراجعة المبيعات كل ربع سنة لذا أليس من المفترض أن نكون على علمٍ بأيَّة ملاحظات؟

- هذا صحيح. كنت أظن أن السيد دالوجوت والعمة ويذر وحدهم من يعلمون لأنكم تركتم الأمر يمر بهدوء.

احمر وجه بيني خجلًا.

- سبيدو لا يدري بالأمر. لقد خبأت الأمر عنه. فأنت تعرفين طبعه، إذا علم بالأمر فلن يتركك لحالك. عندما كان جديدًا في العمل ارتكب جميع أنواع الأخطاء بسبب تسرعه، ولكنه مع ذلك يحاسب الآخرين حسابًا عسيرًا.

هزت موج بيري رأسها.

- شكرًا جزيلًا لكِ. فالسيد سبيدو لا يكف عن توبيخي بالفعل يوميًّا. فمرة يسألني لماذا أنا دائمًا مشتتة ومرَّة يسألني لم لا أشعر بالأسف تجاه المتجر وأنا أتلقى راتبًا بينما لا أعمل بجد.

- لا تهتمي لكلامه. لو كنا خصمنا من راتبه تكاليف أخطائه وهو موظف جديد لكان لا يزال يحصل على نصف راتبه حتى الآن.

ربتت موج بيري بخفة على ظهر بيني.

- بالتأكيد قد فرَّ هذا المجرم، أليس كذلك؟ لقد مر ما يقرب من عام ولم يمسكه أحد بعد...

استدارت بيني لتنظر نحو المصرف وهي تعبر الطريق ثم تنهَّدت.

- سيهدأ بالي لو أمسكوه. إذا حالفنا الحظ قد نجد زجاجة «رفرفة القلب» الضائعة أيضًا.

- هذا صحيح. وسيصب ذلك في مصلحة المتجر. فنحن نادرًا ما نحصل على «رفرفة القلب» مقابل الأحلام... كما تعلمين هؤلاء الأشخاص دائمًا ما يعملون في عصابات. على الأرجح يسرق أفراد آخرون من العصابة بنفس الطريقة حتى الآن.

- لا أعتقد أنهم سيستخدمون نفس الطريقة مجددًا.

قالت موج بيري بحزم: «نحن لا نعرف ذلك. قد يكونون أمامنا ولا نراهم. ربما ينتظرون حتى نتخلى عن حذرنا ليظهروا مرَّة أخرى. يجب أن تمعني النظر حولك».

كان المتجر بالفعل ينبض بالحياة. كان يعجُّ بالموظفين القادمين إلى العمل وآخرين على وشك المغادرة بعدما عملوا طوال الليل بالإضافة إلى الزبائن الذين أتوا منذ الصباح الباكر.

لوح لهم أحد الموظفين بترحاب. كان نحيفًا ويرتدي بنطالًا من الجينز يكشف عن ركبته.

- موج بيري، ادخلي بسرعة. منذ الصباح وسبيدو يثير جلبة متسائلًا متى ستأتين.
- سبيدو؟ ألم يأخذ اليوم عطلة؟
- أنا أيضًا كنت أظن ذلك، لكنه أتى إلى العمل. سأغادر أنا الآن، بالتوفيق!
- هل اختلط الأمر عليَّ؟

أمالت موج بيري رأسها في حيرة.

- موج بيري! لماذا تأخرتِ هكذا؟ انتظرتكِ طويلًا، أكثر من ثلاث دقائق! لقد رتبت السلع الجديدة التي وصلت إلى الطابق الرابع كلها وفصلت الأحلام التي حجزها الزبائن اليوم مقدمًا، تحققي فقط من القائمة قبل مغادرة العمل. وأنتِ يا بيني، أتيتِ في الوقت المناسب. لقد انخلع البلاط أمام العمود رقم 17 في الصف D في الطابق الرابع، واتفقت مع عامل تصليح من القرية المجاورة على أن يأتي لإصلاحه اليوم. يمكنك أن تعطيه أتعابه من الميزانية المخصصة للإصلاحات في المتجر واحرصي على أن تأخذي الفاتورة. في العادة لا تكلف البلاطة الواحدة أكثر من 50 شيل، إذا شعرتِ أن السعر مبالغ فيه اتصلي بي، هل فهمت؟

لم يتسنَّ لبيني وموج بيري أن تخلعا معطفيهما وسارعتا في تدوين ملاحظات سبيدو التي انهالت عليهما كالسيل.

- تحدث ببطء. أعتقد أنني سأتقيأ الشطيرة التي أكلتُها منذ قليل.

بدت موج بيري كأنها تشعر بالغثيان.

- لقد أتيتُ من الفجر وأنهيتُ عملي رغم أنني أخذت عطلة اليوم. لا يمكنني أن أضيع دقيقة أكثر من اليوم.

واندفع مغادرًا المتجر قبل أن ينهي كلامه حتى.

كانت خطته اليوم مثالية في رأيه. كان أحيانًا ما يأخذ عطلة في وسط الأسبوع فجأة. والسبب وراء ذلك أنه عندما يُنهي مهامه ولا يضيع ثانية واحدة يومها يشعر بالرضا أكثر بكثير مما يشعر به عندما يقوم بالمثل في عطلة نهاية الأسبوع.

أخذ يدندن وهو يخرج مفكرته التي كتب فيها جدوله المزدحم لليوم وتحقق من خط سيره. كانت خطته للصباح كالتالي: يجب أن يذهب إلى المصرف ليفتح حساب ادخار جديد. ذلك لأنه سمع أن هناك نظامًا جديدًا ذا فائدة عالية. فبعد عدَّة محاولات فاشلة، أدرك سبيدو أنه لا يقدر على الاستثمار المحفوف بالمخاطر. عندما ينتهي من أمور المصرف سوف يتجه في تمام العاشرة لشراء كعك الفاصوليا الحمراء الذي سيكون قد خرج للتو من الفرن من مخبز كروكس بارير، ثم في العاشرة وعشرين دقيقة سيذهب إلى متجر الخضراوات ليستفيد من التخفيض الذي يقيموه في هذا الوقت. وبعدها سيذهب في تمام الحادية عشرة في نفس الموعد الذي يفتح فيه مطعم الأرز والخضراوات المحمرة أبوابه وسيتمكن من تناول غدائه مبكرًا دون أن يضطر إلى الانتظار في الصف.

تمتم سبيدو لنفسه وهو يعبر ممر المشاة الذي يقع أمام المتجر: «من المستحيل أن أنتظر يومًا في صف لتناوُل أي طعام مهما كان لذيذًا».

كان باب المصرف شديد النظافة يخلو من البُقع، نظر سبيدو عبره إلى الداخل ثم غطَّى فمه بيديه في صدمة.

- يا إلهي...

طبقًا للبيانات التي رصدها فيجب أن يكون متوسط عدد المنتظرين في المصرف في الساعة التاسعة وعشر دقائق صباحًا في وسط الأسبوع نحو خمسة أشخاص، ولكن اليوم كان عدد المنتظرين أحد عشر شخصًا.

- لا، هذا مستحيل. على هذه الحال، عند انتهائي من فتح الحساب ستكون الساعة قد تجاوزت العاشرة.

أصابه الإحباط للحظات ثم خطرت له فكرة جيدة. جثم على ركبتيه في الأرض وبدأ في البحث عن رقم قد يكون وقع من أحدهم. انحنى رافعًا مؤخرته إلى الأعلى وأخذ يبحث حتى تحت مُنقِّي المياه دون أن يدرك أن خياطة بذلته قد تفككت. لحسن حظه ما لبث أن وجد رقمًا يسبق خمسة من الموجودين. أخذ مَن حوله يختلسون النظر إليه بعدما زحف على الأرض وجلس ببهجة على المقعد، لكنه لم يعرهم اهتمامًا.

- ممتاز، سيكون الوقت ضيقًا، ولكنني سأصل في الموعد.

ولكنه منذ قليل لاحظ بانزعاج أحد الرجال. كان يرتدي بذلة رسمية أنيقة ويتحدث مع أحد رواد المصرف من كبار السن مبتسمًا.

- عذرًا هل...؟

كانت المسافة بينهم بعيدة فلم يستطع السماع، ولكنه توقع ما سيقوله الرجل. فبالتأكيد كان يريد إنهاء أموره في المصرف بسرعة مثل سبيدو، فانتقى عجوزًا بدا عليه اللطف وأخذ يتوسله لأن يتنازل له عن رقمه.

- يا لك من شاب وقح... كيف تجرؤ على محاولة استغلالي؟

نظر سبيدو إلى رقمه ثم نظر إلى الأرقام الظاهرة على نوافذ الخدمة. يستغرق كل شخص وقتًا طويلًا اليوم على غير العادة. لو حصل هذا الشاب على رقم قبل سبيدو قد يضطر إلى التخلي عن كعك الفاصوليا الحمراء من كروكس بارير. حيث اشتهر ذلك الكعك بأنه يُباع بأكمله بمجرد خروجه من الفرن. تسارعت أنفاس سبيدو بمجرد أن تخيل انحراف خطته عن مسارها.

قام فجأة بإصرار واقترب بثبات لحارس الأمن كبير السن الذي غفا أمام منقي المياه.

- سيدي، سيدي! هل ترى هذا الشخص؟ إنه يقوم بتصرفات مثيرة للريبة منذ قليل.

رمش الحارس بعينيه ثم فحص سبيدو من رأسه إلى قدميه.

- ما المثير للريبة في تصرفاته؟

يبدو أنه كان يرى سبيدو أكثر إثارة للريبة.

قال سبيدو بإبهام: «إنه ينتقي العجائز ويتحدث معهم! أعني... نعم! احتيال؟ نصب؟ شيء من هذا القبيل!».

- حقًّا؟

- نعم. اطرده بسرعة من فضلك. بأقصى سرعة.

- أنت! توقف عندك!

صرخ الحارس مشيرًا إلى الرجل المثير للريبة، ولدهشته، فزع الرجل كأنه كان مذنبًا بحق وأخذ يخطو للوراء.

- يا حراس! يا حراس!

عمَّت الفوضى أنحاء المكان حين انضم إليه الحراس المنتشرين في المصرف للإمساك بالرجل. جلس سبيدو برضا أمام إحدى نوافذ الخدمة متجاهلًا الضجَّة حوله تمامًا.

- سمعت أن هناك حسابًا يعطي فائدة سنوية قدرها ثلاثة بالمئة، هل يمكنك أن تفتح لي واحدًا منه؟

سار باقي يومه بشكلٍ مثالي. فقد استطاع أن يحصل على عشر قطع من كعك الفاصوليا الحمراء، واشترى صندوقًا من الجزر مقابل خمسين شيل لا غير خلال التخفيض. ووصل في موعد فتح مطعم الأرز والخضراوات المحمرة

المشهور. ورغم أن مذاق الطعام لم يكن مميزًا، ولكنه استمتع بمشاهدة صف المنتظرين أمام المطعم يطول شيئًا فشيئًا وهو يتناول طعامه.

تمكن أيضًا من ضبط الضغط بإطارات دراجته واستلام ملابسه من المغسلة ثم عاد إلى المنزل وارتمى على الأريكة وفتح التلفاز.

- ما زال هناك وقت حتى يبدأ مسلسل العاشرة.

شعر بجسده يسترخي بمزيج من الإرهاق والرضا.

- سأغفو للحظات فقط.

غلبه النعاس في مكانه على الأريكة.

كان التلفاز الذي تركه مفتوحًا يذيع الأخبار.

- ننتقل لآخر خبر لليوم. نزفُّ إليكم خبرًا سعيدًا حيث أُلقِيَ القبض على عصابة اتخذت من الشارع التجاري الرئيسي مقرًّا لعمليات السرقة المنتظمة التي تقوم بها. حيث يختارون ضحاياهم من العجائز الذين ينتظرون دورهم في البنوك أو المؤسسات الحكومية، أو من المواطنين الذين يبدو عليهم أنهم يزورون تلك المؤسسات لأول مرة، ثم يتقربون إليهم متظاهرين أنهم يعملون في تلك المؤسسة ثم يسرقون مقتنياتهم على غفلة ويهربون. أُلقي القبض على المجرم في أثناء محاولته ارتكاب أول جريمة له منذ انضمامه إلى العصابة وذلك بعد أن أبلغ عنه أحد المواطنين الموجودين بالمصرف، وقد أصيب المتهم بالذعر واعترف بمقرِّ العصابة ومعلومات عن أفرادها مما ساهم في القبض عليهم بسرعة. بعد البحث في مقر العصابة عُثر على عدد من الأحلام باهظة الثمن وزجاجة واحدة من «رفرفة القلب». وأفصح أحد مسؤولي الشرطة أنهم يخططون لإرجاع المقتنيات التي صُودرت لأصحابها. كما قال إن المواطن الشجاع الذي أبلغ حارس الأمن بالأمر قد غادر بهدوء

بعدما قضى حاجته دون أن يترك اسمه. إذا كنت تشاهد هذا البث من فضلك اتصل بأقرب مركز شرطة لك حيث ننوي منحك مكافأة مالية.

في تلك اللحظة استيقظ سبيدو وتحقق من الوقت في ساعة يده. أوشكت على العاشرة وخمس دقائق. التقط سبيدو جهاز التحكم بسرعة وغير القناة. لحسن الحظ لم تكن الإعلانات التي تُعرَض قبل المسلسل قد انتهت بعد. وبهذا يكون قد أكمل جدول اليوم بشكلٍ مثالي.

ابتسم سبيدو وتمتم: «يا له من يومٍ مثالي».

النهاية



لي مي يِيه

وُلدت في مدينة بوسان بكوريا الجنوبية عام 1990. نشرت كتابها الأول "متجر دالوجوت للأحلام" عام 2020 ليصبح من أكثر الكتب مبيعًا في كوريا بأكثر من مليون نسخة.

달러구트 꿈 백화점
متجر دالوجوت للأحلام

الكتاب الإلكتروني الأكثر مبيعًا
بيعت أكثر من مليون نسخة
اُختِيرَ كـ"كتاب السنة" و"الكتاب الأكثر مبيعًا" عام 2020

달러구트 꿈 백화점
متجر دالوجوت للأحلام

قرية فريدة يمكنك أن تزورها فقط إذا خلدت للنوم. متجر دالوجوت للأحلام هو متجر متعدد الطوابق يُعد الأكثر شعبيةً بين الزبائن في القرية، يبيع المتجر مختلفَ أنواع الأحلام، ويتردد عليه الزبائن النائمون من جميع أنحاء العالم لشراء الأحلام.

تبدأ بيني العمل في المتجر وتستكشف هذا العالم الجديد، فتقابل دالوجوت مالك المتجر الحكيم، والعمة ويذر موظفة الاستقبال، ومؤلفي الأحلام الغامضين. يُقبِل مختلف أنواع الزبائن كلَّ يوم لشراء الأحلام، فمنهم من ينام نومًا عميقًا، ومنهم مَن يبحث عن حلم قصير لقيلولة بعد الظهر، كلٌّ منهم يحمل حكاية وتساعدهم بيني وموظفو المتجر في العثور على الحلم المناسب.



غلاف: محمود هشام

9 789779 923178

عصير الكتب

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb